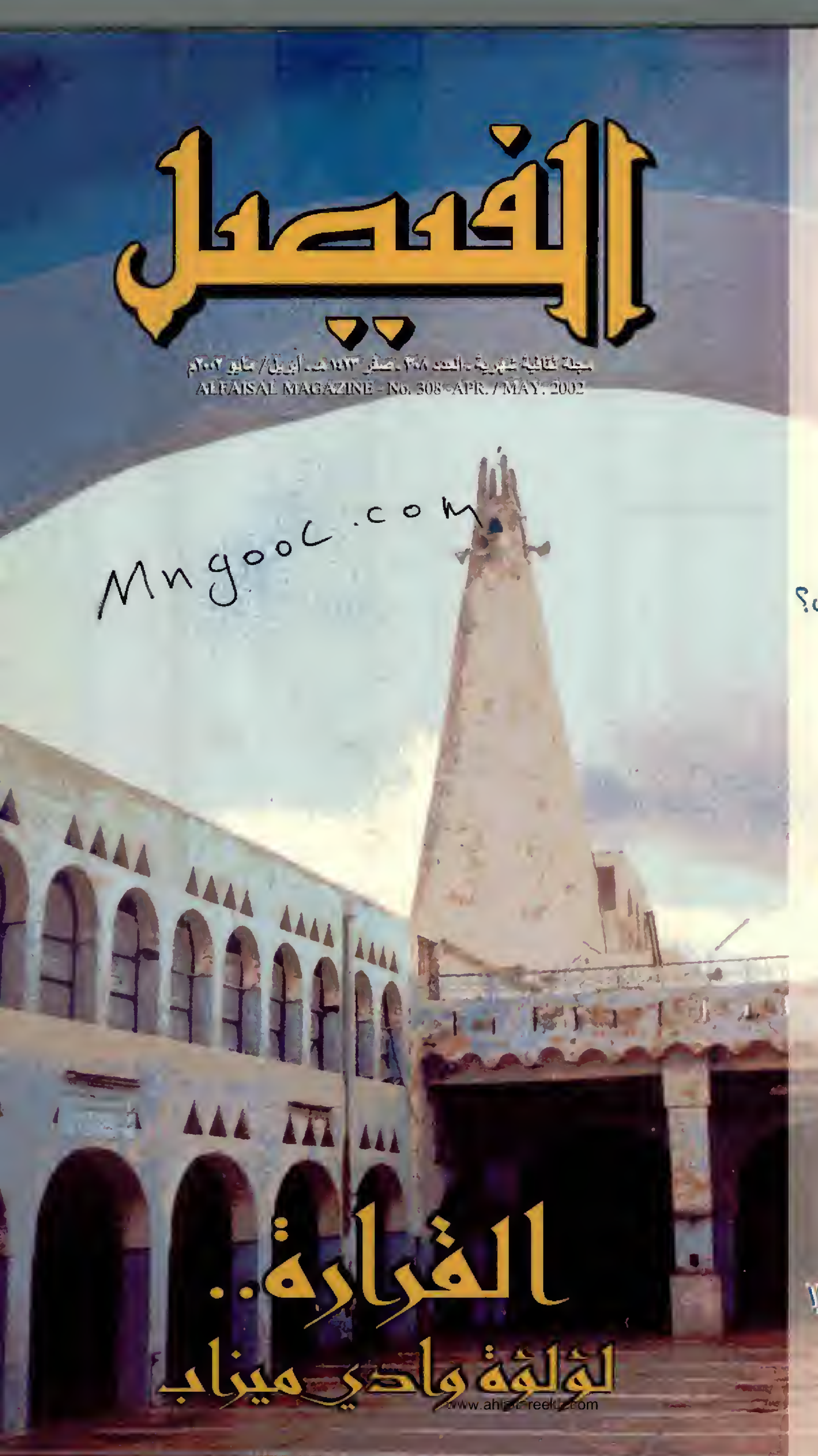


ندوة «الإسلام وحوار الحضارات»

الجنبيّة.. رمز الرجولة والوجاهة في اليمن

العولمة والعربية: استنهاض أم استنزاف؟

حرب الذهب الأزرق

رحلة «دجلة» للبحّار النرويجي «ثورهايردال»

الحوت القاتل

حكايات من الجانب المظلم لليابان

فيرناندو آرابال: أنا متصالح مع الهزيمة!!



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في غالبها إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

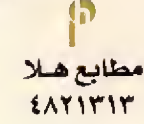
الموزعون

السعودية ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢..، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨ـ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ـ ٩٦٣..، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ١ ـ ٢١٦..، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٩٧٤..، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ـ ٩٦٢..، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٩٧٣..، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٩٧١..، الجزائر ـ مؤسسة E.B.D. PRESSE لتوزيع الصحافة. ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ ـ ٢١٣..، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥..، السودان شركة التحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب MOROCO - SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-2404041/32، باكستان PAKISTAN

PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.

الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ ـ ٣ ـ ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨







القرارة لؤلؤة وادي ميزاب

القرارة واحدة من سبع مدن واقعة في سهل وادي ميزاب بالجنوب الجزائري. استقر بها الميزابيون بعد أشواط وجولات من المضايقة والتشريد والترحال.
وتتميز القرارة بعمارتها المتميزة والفريدة في خصائصها وجمالياتها، وفي بساطتها، وتناغمها مع البيئة المحيطة بها، فما مظاهر الحياة الأخرى في القرارة؟ وماذا عن نسيجها الاجتماعي؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

صعوبة الشعر

أقول: إن الحديث عن المسابقة لن ينتهي لما فيها من جوائز مشجعة للاشتراك فيها، ولكن نمط الأسئلة الثابت الذي لم يتغير يحرمنا من الاشتراك فيها وخاصة نحن القراء ذوي الاهتمامات العلمية، فمثلاً سؤال من قائل بيت الشعر هو من أصعب الأسئلة في المسابقة، وأعتقد أن الذين يجيبون عنه هم من ذوى الاختصاص الأدبي، فجميع الأسئلة يمكن الرجوع إلى الكتب والموسوعات العلمية للحصول على الإجابة عنها، بينما سؤال الشعر من الصعب العثور على الإجابة إلا لمن عنده معرفة مسبقة، بينما من ليس لديه معرفة بالإجابة، فعملية البحث عن قائل البيت الشعري صعبة، ولابد أن يتوافر لديه ديوانا الشاعرين الوارد في أحدهما بيت الشعر ثم قراءتهما من الألف إلى الياء وهذا فيه مشقة، هذا إذا توافر الديوانان، فما بالك في ظل عدم توافرهما.

لهذا أرجو منكم العدالة، ولا تكون إلا بإلغاء هذا السؤال الذي يحرم الكثير من القراء من الاشتراك في «المسابقة»، وإذا كان لابد منه فعلى أقل تقدير إعطاء معلومة صغيرة عن الشاعر مثلاً كأن يقال. علماً بأن الشاعر من عصر كذا أو من مواليد كذا، أو ملقب بكذا أو له ديوان بعنوان كذا، وبهذه المعلومة يتم البحث عن سيرة الشاعرين لمعرفة الإجابة بدلاً من البحث عن بيت شعر في بحر متلاطم من الأشعار، ومن خلال ذلك تتحقق العدالة النسبية لجميع القراء بجميع اتجاهاتهم الفكرية، لأن البحث عن سيرة الشاعر أيسر وأسهل، وتوفر فرصة أكبر لعدد من القراء للاشتراك بالمسابقة بعد أن حرموا منها طويلاً.

عبدالسلام سالم عبدالله

اليمن - عدن

ص.ب ٧٢٦٨ المنصورة

التحرير:

نحترم وجهة نظرك ولكن لابد من تنويع الأسئلة حتى تتساوى الفرص بين أصحاب الاهتمامات المختلفة، علماً بأنه في ظل الانفجار المعلوماتي أصبحت دواوين الشعر متاحة على الـ CD، ويمكن الوصول إلى البيت المعني بسهولة في كثير من الأحيان. وعموماً في مرحلة تطوير المسابقة سنأخذ بكل الآراء والعمل على بلورتها بما يحقق التطور المنشود والعدالة كما تطالب.

كتب نافعة

منذ سنوات وأنا أتشوق إلى الحصول على تفسير القرآن لابن كثير أو مختصر تفسير ابن كثير للصابوني المطبوع في أرض المملكة العربية السعودية الحبيبة التي شع منها النور على الكون.

شاهدت ذلك المؤلف بأيدي بعض الناس إمّا في ثلاثة أجزاء مجلدة وإما في أجزاء كثيرة، مكتوب عليها كلها لا تباع لأنها هدية من قبل خادم الحرمين الشريفين وهو مثل تلك المصاحف الخضراء التي ترد علينا مثل الغيث النافع.

أخي العزيز.. مادام ذلك العمل هدية هل يمكن أن أحظى بنسخة منه؟

مبروك صالح المناعي

١١ نهج سيدي خليل ٢٠١٣ بن عروس

تونس

التحرير:

نشكر لك هذه المشاعر الصادقة الفياضة تجاه بلدك الثاني المملكة العربية السعودية؛ ويا للأسف فإن إهداء الكتب أمر لا طاقة للمجلة به، ولكن يمكنك مراسلة الجهات المختصة، وتتضمن هذه الكتب عناوينها، وهي لا تألو جهداً في خدمة المسلمين أينما كانوا.

موضوعات مترجمة!!

أتشرف بأن أرسل سيرتي الذاتية لرغبتي في الانضمام إلى أسرة مجلة الفيصل لموضوعاتها الشائقة التي تثير الإعجاب، والجديدة في الوقت نفسه لأحقق بذلك خطوة أكبر وأشمل في طريق نجاحي. وقد سبق لي النشر في جريدة القاهرة التابعة للمجلس الأعلى للثقافة، وكذلك مجلة العلم التابعة لجريدة الجمهورية المصرية، ومجلة المعرفة السعودية، ومجلة الثقافة العالمية.

وأود الانضمام إلى أسرة المجلة مترجمة لموضوعات أجنبية في كل المجالات. وعلى الرغم من ملاحظتي لقلة الموضوعات المترجمة، إلا أنني في الوقت نفسه سعدت بمستوى الدراسات والكتابات العربية والاعتماد على أن يكون الموضوع المترجم هو إضافة كبيرة للمجلة وثقافة القارئ، بالإضافة إلى الحرص على أن يصل القارئ العربي

إلى ما وصل إليه الكاتب الأجنبي. ورغبتي في المشاركة نابعة من حرصي أن أكون جزءاً ولو بسيطاً في الصلة التي تربط بين الثقافة الإنجليزية والعربية، وعلى أن أكون جزءاً من هذا الدور الذي تؤديه للمجلة، ومن الممكن أن تتضمن مشاركتي ترجمة المقالات الهادفة أو كتابة عرض الكتب الأجنبية.

ولكن أود أن أستوضح أحد البنود المذكورة في ضوابط النشر وهو ما يتعلق بالحصول على إذن من المعرفة السعودية، ومجلة المجلة العربية السعودية أيضاً، وكذلك مجلة الثقافة العالمية الكويتية التي تعد مرجعاً مهماً للمقالات الأجنبية في شتى الموضوعات، والتي لا تعتمد على موضوعات عربية لم تذكر هذا الشرط، ولكن كل ما في الأمر أنه تتم كتابة اسم المقالة الأصلي ومؤلفها وبالطبع اسم المجلة أو الصحيفة. وإن كانت تلك رغبتي فسأسعى في هذا الأمر، وإن كنتم ترغبون في أن أقوم بترجمة موضوعات ترسلونها لي فهذا قد يكون أفضل اختياركم أنتم المقالات التي تناسب الجو العام للمجلة من وجهة نظركم.

أتمنى أن أنال موافقتكم على الانضمام إلى النخبة المشرفة من الكتاب. أرسل لكم سيرتي الذاتية وأرجو أن أتلقى منكم رداً على طلبي وشكراً،

لكم أطيب التمنيات بدوام النجاح والتقدم.

دعاء محمد صلاح الدين الخطيب
أرض الجولف ـ مصر الجديدة
القاهرة ـ الدور الثالث

التحرير:

نشكر لك هذا الاهتمام، ونشير إلى أن المجلة حريصة على نشر مقالات مترجمة حتى يقف القارئ العربي على طريقة تفكير الآخرين، والموضوعات التي يناقشونها، إلى جانب نشر أعمال إبداعية مترجمة. ونحن إذ نرحب بمشاركاتك، ننبه على ضرورة إرفاق الأصل المترجم، للتحقق من مطابقة الترجمة العربية للأصل، وقد نرسل إليك مقالات بعد أخذ الإذن من ناشريها لتقومي بترجمتها، ونرحب أيضاً بعروض الكتب الحديثة لنشرها في بابي «قراءات» أو «رحلة في كتاب».

ردود سريعة

الإخوة والأخوات سليم شحيمة، سعاد غريرة، محمد عبيد، مسلم عبدالعزيز، عبدالحميد خالد، الجزائر:

نرحب بكم قراء أعزاء، وكتّاباً في مجلتكم «الفيصل»، ونشكر لكم ما تبدونه من اهتمام بالمجلة ومتابعة ما ينشر فيها، ونوضح لكم وللقراء الأعزاء أنه لا يوجد قسم للاشتراكات المجانية، كما أن إصدارات دار الفيصل الثقافية ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لا توزع مجاناً، بل لكل إصدار منها سعر محدد، وهو رمزي إلى حد بعيد، تيسيراً على القراء الأعزاء، ونأسف أيضاً لعدم قدرتنا على الطلبات الخاصة، علماً بأن هناك جهات مختصة تستطيع تلبيتها، ولا علم لنا أيضاً بوجود محلات توزع مجاناً.

الأخ حسن شحاتة ـ القاهرة ـ مصر:

نشكر لك اقتراحك بتصميم موقع للمجلة على الإنترنت، وهذا ما سيتم تنفيذه في القريب العاجل، ولعل في هذا ما يفيد الإخوة الذين يطالبون بأعداد المجلة مجاناً أو أولئك الذين لا تصل إليهم المجلة بانتظام لأسباب خارجة عن إرادتنا.

ونأمل أن نتلقى مشاركاتك، وأن تكون واحداً ممن يسهمون في تطور المجلة كما تود وتتمنى.

الأخ عفت إبراهيم ـ الرياض:

ليس صحيحاً أننا لا نهتم بأخبار السودان، لأننا نعمل قدر الإمكان على أن يكون الملف الثقافي مشتملاً على أهم الأحداث الثقافية في شهر، ولكن قد يكون هناك ضعف في مصادر الأخبار التي تخص بعض الدول، ونعمل على تفادي ذلك بالاعتماد على بعض المواقع الثقافية في شبكة الإنترنت.

الأخ نايف العنزي ـ جدة:

ليس صحيحاً أن المجلة لا تتيح المجال للشباب لإبداء آرائهم، لأن القيمة الأدبية والعلمية هي المعيار الأساسي لنشر المقالات، وعند عدم نشر بعض المقالات أو الأعمال الإبداعية يتم الاعتذار لأصحابها إذا لم تكن مستوفية شروط النشر، وقد يتأخر نشر بعضها لوجود كم كبير من المقالات والقصائد والقصص القصيرة، وهذا ما نود أن يعلمه الإخوة الذين وردت إليهم رسائل من المجلة بقبول نشر مقالاتهم.

الجنبيّة..
رمز الرجولة والوجاهة في اليمن

عدنان عبدالقوي الشميري
صنعاء - اليمن

الزائر لليمن، غالبًا ما تصيبه الدهشة، وتستهويه الروعة، ويقف مذهولاً أمام أبرز أزياء الموروث الشعبي المتراكم عبر الأزمنة والذي يسمى بين العامة «الجنبية».

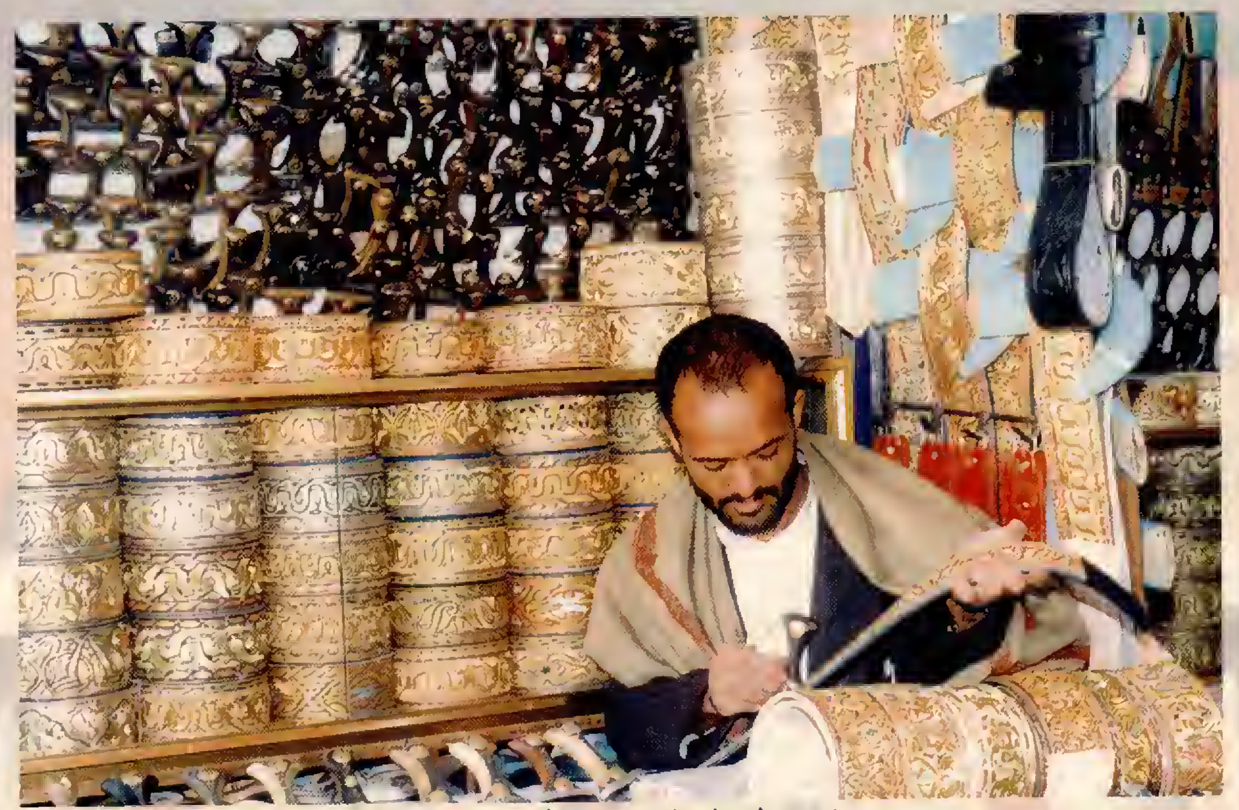
مجموعة من الشباب يرتدون الجنابي

وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن زيارة واحدة لسوق باب اليمن بمدينة صنعاء القديمة كفيلة بعدم تغييب مخيلتك لوجوه الناس، وشكل هندامهم الذي تتوسطه الجنبية لإكمال الزي الشعبي الجميل.

وإلى جانب الوجوه، فإن الأمكنة - أيضًا - تسترعي الانتباه، ولا سيّما - بعيدًا عن الفن المعماري الأصيل - محلات بيع الجنابي، التي يتدلى من واجهاتها مختلف أنواع الأحزمة المطرزة بالخيوط الذهبية اللامعة وهي تبدو في غاية الروعة والجمال.

تسمية الجنبية وأهميتها

يرجع السبب في تسمية الجنبية بهذا الاسم إلى أن الإنسان اليمني وضعها على جنبه فأصبحت جزءاً منه. أي إنها اشتقت من لفظ جانب، وأصبحت ملازمة جنب الرجل في هندامه. ولا يقتصر التزيّن بها على بعض الشرائح



حرفي ينقش أحد الأحزمة في متجره... وأحد محلات بيع الجنابي



الاجتماعية دون غيرها، إذ يتزين بها الكبير والصغير على اختلاف فئاتهم الاجتماعية، فالجنبية لا تفارق وسط اليمني للدفاع عن كرامته، ويحتفظ بها حتى عندما يمارس الزراعة أو إحدى الحرف اللائقة بعنوانه(١).

دلائل تاريخية

تشير بعض الدلائل التاريخية إلى أن بداية ظهور الجنبية، تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد (٣٠٠٠ ق.م)، تؤكد ذلك شواهد قبور لاتزال موجودة بمحافظة حضرموت، وهذه الشواهد منحوت عليها شكل الخنجر الهلالي، وتعد من أقدم الشواهد على الإطلاق، بينما يرى بعض الدارسين أن ارتداء الجنبية يعود إلى العصر السبئي للدولة الحميرية، أحد عصور تاريخ اليمن القديم.

ويؤكد هذا القول أعمال الحفريات الأمريكية التي تمت في بداية الخمسينات من القرن الماضي في معبد أوام حيث عثر على أكثر من (٢٤) تمثالاً، وقد عرف واحد منها، وهو أكبرها، وأكثرها كمالاً، بتمثال معديكرب (٥٠٠ ق.م) مرتدياً جنبيته وهو

واحد من أهم الآثار التي عثر عليها حتى الآن وأجملها، لكنه، أكثرها غموضًا وأكثرها موضوعًا للخلاف، ويرجع تاريخ معبد أوام إلى نحو القرن الرابع قبل الميلاد(٢) (٤٠٠ ق.م). والذي يؤكد أيضًا أن ارتداء الجنبية يعود إلى العصر السبئي للدولة الحميرية هو وجود النقود الذهبية الحميرية التي زينت بها معظم مقابض الجنبية اليمنية القديمة. وتذهب بعض الروايات إلى أن الجنبية في بداية عهدها كانت تشبه السيف في تصميمها إلاّ أن ذوق الصانع اليمني، وخلال فترات مختلفة، أدّى إلى أن يصبح شكلها بالصورة القائمة عليها الآن.

مكوناتها

تتكون الجنبية من أربعة أجزاء رئيسة هي: الرأس (المقبض)، والنصل، والغمد (العسيب)، والحزام.

وسوف نتناول تلك المكونات فيما يأتي:

رأس الجنبية (المقبض)

رأس الجنبية هو الجزء الذي تتوقف عليه قيمة الجنبية، ويعدّ من أهم أجزائها، ويصنع من بعض قرون الحيوانات، وعظام الزرافات، وأحيانًا من بعض



أحزمة متنوعة آية في الروعة والجمال



عريس يحمل على كتفه اليسرى السلاح، وفي يده اليمنى السيف والجنبية لتكتمل الفرحة

الأخشاب، أو المواد البلاستيكية، وهناك كثير من الرؤوس المختلفة، فمنها (الصيفاني) - يراوح عمره بين ٢٠٠ و ٥٠٠ سنة أو أكثر - ويُعد من أثمن الرؤوس على الإطلاق نتيجة لقدَمه إذ يزداد جمالاً وصفاءً مع مرور الوقت، كما أنه يؤخذ من قرن حيوان وحيد القرن. ويصل سعر هذا النوع من الرؤوس إلى ما يزيد على مليون ريال، نحو (ستة آلاف دولار). ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن أحد المشايخ اشترى جنبية خلال السنوات الأخيرة الماضية بما يقارب مليون دولار، وذلك لأنها ترجع، كما قيل، إلى الإمام شرف الدين أحد أئمة اليمن في القرن السادس الهجري، وهذا ما أعطاها قيمتها المعنوية العالية.

ويأتي في المرتبة الثانية بعد الصيفاني: الأسعدي - ويراوح عمره بين ٤٠ و ٦٠ سنة، ويسمى القلب. ثم يأتي الزراف في الدرجة الثالثة، ويصنع من بقية أجزاء القرن المتبقي - لقرن وحيد القرن -. ومن أنواع الرؤوس أيضًا: الكرك، ويصنع من قرون البقر الوحشي،



«باب اليمن» واجهة اليمن الحضارية.. وتكتظ الأسواق التي بداخله بمحلات بيع الجنابي

والغريزية، والعلو، .... إلخ.

أما بالنسبة إلى الرؤوس الأخرى فهي إما خشبية تؤخذ من أخشاب الأشجار وإما بلاستيكية يتم تشكيلها في قوالب حديدية بعد صهر المواد البلاستيكية، ومن ثمّ يتم تزيينها فيما بعد.

وفي جميع أنواع الرؤوس يتم وضع دائرتين من الذهب الحميري أو الفضة، وأحياناً من الحديد، بحسب أهمية الجنبية، تسميان الزهرتين، وذلك لتزيين رأس الجنبية، ويتم تثبيتهما من الخلف بمسمار من الحديد أو النحاس.



رقصة شعبية والجنابي تفرض حضورها أيضاً

النّصل

يعد النصل المكون الثاني الرئيس للجنبية، وهو قطعة حادة من الحديد القوي، لاسيما الهندوان القوي أو الحديد (جنزير) الدبابات. وتتم صناعة النصل بطريقة يدوية، فيتم طرق قطعة الحديد وطبعها، ومن ثمّ صقلها وتلميعها لتبدو في غاية الروعة والجمال.

وهذا ما يؤكد حقيقة كون الحديد المصقول يمانيًا، كما ذهب إلى ذلك الشاعر إذ يقول:



الرأس والنصل من مكونات الجنبية



عسيب مطرز بالذهب

وهل ينفعُ الفتيانَ حُسنُ وجوههم
إذا كانتِ الأعراض غيرَ حِسانِ
فلا تجعل الحسنَ الدليلَ على الفتى
فما كل مصقولِ الحديد يماني

وهناك أصناف من أنواع النصال المختلفة، فمنها الحضرمي، والصنعاني، والجوبي، والعدني، والذَّماري، والرّداعي، .... إلخ، وهي أسماء لمناطق يمانية تتم فيها صناعة تلك النصال، ويوجد في كل وجه من وجهي النصلة خط من المعدن الحديدي نفسه، يتميز بارتفاعه عن مستوى قطعة الحديد - النصل - وتتكون بعض النصال من ثلاثة خطوط، وقد توجد عليها رسومات محفورة أو نقوش... إلخ.

ولكل نصلة ثمن محدد يتم تحديده بناءً على المهارة الخاصة بالصانع.

ويرى الدكتور عدنان ترسيسي في كتابه «بلاد وحضارات العرب الأولى» أن اليماني لايزال يصهر الفولاذ المصقول الممتاز لصناعة خنجره التقليدي (الجنبية). ويضيف: «ولا نظن بأن صناعة الآلات الحادة قد تطورت كثيراً أو قليلاً منذ أن استولى اليماني على سر تلك الصناعة الدقيقة حتى الآن». كما يتساءل قائلاً: «من الذي لم ير إلى يومنا هذا يمنيًا يتحلى بجنبيته (خنجره) المصقولة التي لا تفارقه؟ أو يسمعه متباهيًا بها وبتاريخها؟، مما يؤكد أن صناعة الفولاذ المصقول هي من تقاليد اليمن العريقة، وأي زائر وصل إلى صعدة في الشمال لم يلفت نظره أمر استخراج الحديد وصهره بالطرائق

القديمة الموروثة؟ والواقع أن صناعة تعدين الحديد على مستوى مهني تعدّ حرفة تقليدية، وهي الصناعة الوحيدة التي استمرت ولم تندثر مع الأيام.. وكان المؤرخ الروماني سترابون قد أبدى إعجابه بمهارة أهل سبأ في صناعة المعادن(٣).

الغمد (العسيب)

يسمى الغمد عامة في اليمن العسيب، وهو ما يحفظ قطعة الحديد (النصل). ويصنع الغمد من بعض أنواع الأخشاب، مثل الصنوبر أو الطنب الذي يتوافر في اليمن. ويتم تلبيس ذلك الخشب بالجلد المدبوغ المصبوغ عادة باللون الأخضر، ثم يلف الغمد بطريقة هندسية متتالية بنوع من الحبال الرفيعة القوية ليظهره بصورة جمالية رائعة، ويمكن الاستغناء عن تلك الحبال بتلبيس الغمد بالذهب أو الفضة أو ترصيعه باللؤلؤ ليظهر في صورة أكثر جمالاً وروعة.

كما أن تحديد الهيئة العامة للغمد لا يأتي من فراغ، لأنه يصنع للغمد عدة أشكال مختلفة، فالغمد الذي يراعى في صنعه أن يكون شكله من الأسفل ذا زاوية حادة يسمى الـ «حاشدي»، والذي يراعى في صناعته أن يكون في شكله من الأسفل ذا زاوية منفرجة يسمى الـ «بكيلي»، أما الغمد الذي يكون شكله من الأسفل ذا نصف دائرة فيلبسه أبناء المناطق الشرقية مثل حضرموت، ومأرب، وصعدة، والبيضاء، إلى جانب ذلك، فهناك الغمد المسيّر الذي يلبسه سكان صنعاء القديمة، والغمد الثومه أو التوزه الذي يلبسه السادة والقضاة.

الحزام

يعدّ الحزام المكوّن الرابع الذي تتكون منه الجنبية، والذي يتم بواسطته تثبيت الجنبية في جنب الرجل،



حرفي يتردد عليه الناس لإصلاح جنابيهم

وتتم عملية صناعة الحزام إما من الجلد المدبوغ، وإما من بعض الأقمشة التي تتميز بسماكة خيوطها وقوتها ومتانتها، وهناك أنواع غالية الثمن من تلك الأحزمة تستغرق عملية صناعتها عدة أشهر، وغالباً ما تتم صناعة تلك الأحزمة من قبل حرفيين متخصصين في هذا الجانب، ولاسيما في مدينة صنعاء القديمة، وتحديداً في «باب اليمن» وكذلك في عدد من المناطق اليمنية الأخرى، كما يتم تطريز تلك الأحزمة بخيوط من الذهب، أو بخيوط لامعة ذات

لون ذهبي، وبنوع من الزخـرفـة الجميلة التي يتم من خلالها كتابة بعض آيات القـرآن الكريم، أو الأقوال المأثورة، أو كتابة أسماء الأشخاص حسب رغباتهم.

وعملية صنع الحزام المطرز تتم بعـدة خطوات، إذ تطبع أو ترسم على نوع معين من القماش الأبيض، ثم تتم عملية التطريز، وذلك بجعل خيوط الذهب والفضة، وبعض الخيوط الملونة تغطي المساحات والخيوط المرسومة على النقاش. أو يتم تطريز الخيوط بعضها إلى جانب بعض بشكل منظم ليبدو في شكله الأخير آية من آيات الروعة والجمال.

وتتفاوت أسعار أنواع الأحزمة تبعًا لاختلاف أنواع الخيوط المطرزة المستخدمة، وطريقة التطريز، ومهارة الصانع. وتصل أسعار بعض الأحزمة إلى ما يقارب أربعين ألف ريال - أي ما يعادل ٢٥٠ دولارًا - غير أن هناك أحزمة رخيصة الثمن.



تمثال معديكرب - العصر السبئي (٥٠٠ ق.م)

الجانب الأسطوري للجنبية

إلى جانب كون الجنبية الحلية التي يتحلّى بها اليمنيون إلا أن الوجه الآخر لها يتمثل في المعتقدات الشعبية الأسطورية الراسخة في أذهان بعضهم، ففريق منهم يؤمنون بأن الجنبية تمثل «حِرْزًا» من المردة والشياطين، إذ يمكن لها في حال التزيّن بها، أن تمنع الشخص من الإصابة بالمسّ الشيطاني، كما اعتاد بعضهم أن يضع الجنبية قبل أن ينام تحت الفراش كي تحد من «الرازم» أو ما يمكن أن يطلق عليه الكوابيس المفزعة في أثناء النوم.

وإلى جانب ما سبق فإنه في كثير من المناطق لا يسمح الأهل بخروج ابنتهم - العروسة - من منزلها إلاّ بعد أن يعطيها العريس جنبيته، كي تتخذ منها حرزًا في أثناء مشيها إلى بيت الزوج. وعند وصولها لا يمكنها إرجاع الجنبية بسهولة إلا بعد أن يدفع الزوج مبلغًا من المال قد يكون باهظًا، ولا يمكننا بدورنا هنا أن نعلّق على ذلك إلاّ بالقول «وللناس فيما يعشقون مذاهبُ».

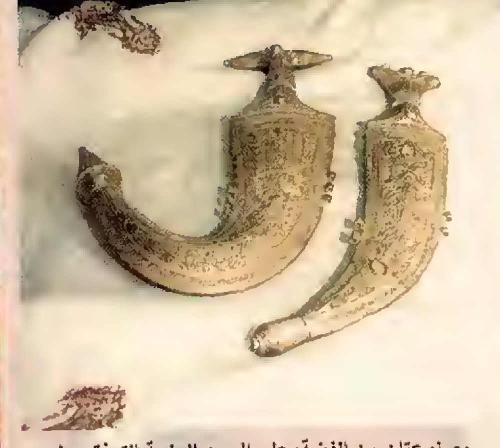
وللتحكيم أيضًا

وتستخدم الجنبية أيضًا للتحكيم، وإجراء التحكيم يتم بين قبيلتين متنازعتين أو شخصين متشاجرين، إذ تسلم كل قبيلة جنبية ثمينة للشخص المحكَّم - بفتح الحاء - وهو عادةً شخص يتم اختياره برضا الطرفين.

وبعد الفصل بينهما بإصدار الحكم، تتم مصادرة

المهنّد اليماني

وفي سياق الحديث عن الجنبية، لابد من الإشارة إلى أن السيف المهنّد اليماني الذي اشتهر في العالم أجمع لحدته، وصلابته مع الليونة في وقت واحد مما يحول دون انكساره، هو بخلاف الجنبية إذ لا يتجاوز طوله المتر ووزنه أقل من نصف وزن سواه من السيوف، وكانت اليمن ودمشق أشهر مصادر المهند اليماني، ويعتقد أن كلمة (مهند) تعود لانتقال صناعته أو تصميمه من بلاد الهند التي كانت مشهورة بصناعة الأسلحة الحادة(٤).



مصنوعتان من الفضة: على اليمين الجنبية التوذة وعلى اليسار جنبية أخرى ثمينة



أشكال مختلفة من الجنابي

الجنبية من القبيلة المحكوم ضدها، ويعد هذا التحكيم نوعًا من أنواع العُرف(٥).

وأيضًا.. زينة العريس

أكثر ما يشد الانتباه في أثناء إقامة الأعراس، وكذلك في أيام الأعياد الدينية أو غيرها على السواء هو اقتران حضور الناس وارتداؤهم الجنبية التي تفرض حضورها بدورها أيضًا وبشكل كبير.

فالعريس لابد أن يتزين بها يوم عرسه حتى يكتمل هندامه، ويظهر بالمظهر اللائق به، كما أن حلاوة الفرحة في تلك المناسبات لا تكتمل إلاّ بالرقص الشعبي الذي يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالأعراس والأعياد، والذي يسمى بالعامية بالبَرَع أو الشَّرْح الذي يصاحبه صوت إيقاع الطبل أو الطاسة(٦).

وميزة البرع هي إشهار نصل الجنابي والتفنن في تحريكه باليد يمينًا ويسارًا ورفعه فوق الرأس.. إلخ، وبحركات متتابعة سريعة مصحوبة بخفة في حركة القدم والمشي السريع ذهابًا وإيابًا، وهي عادة متوارثة منذ القدم.

نهاية المطاف

وكل ما يمكن قوله في الأخير أن لكل شعب من شعوب المعمورة خصوصياته وعاداته وتقاليده المتوارثة، والجنبية تعد من أبرز أزياء الموروث الشعبي اليمني توارثها الآباء عن الأجداد منذ آلاف السنين، كما أنها أيضًا ـ وكما يعرف الجميع ـ من أبرز أزياء الموروث الشعبي العماني الشقيق.

وأيًا كان ما تقوله الجنبية كما يرى صلاح ستيتيه في دراسته المتضمنة في كتاب «اليمن في بلاد ملكة سبأ»، فإن عاشقها يظل شعبًا ذا حضارة صحبته آلاف السنين عبر التاريخ، وهو شعبٌ حسن المعشر، له انفعالات عارضة، ولكن مَن هو الشعب الذي يخلو منها؟!

المراجع والهوامش

١ـ د. عدنان ترسيسي، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، اليمن (البلاد السعيدة)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٠م، ص٣٤٤.

٢ـ اليمن في بلاد ملكة سبأ، مجموعة دراسات لعدد من الباحثين المهتمين، ترجمة: د. بدر الدين عرودكي، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، الطبعة العربية ١٩٩٩م.

٣ـ بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، مرجع سابق، ص٢٣٣.

٤ـ المرجع السابق ص٢٤٩.

٥ـ العرف هو مجموعة من القوانين غير المكتوبة، ومن العادات والتقاليد التي تناقلتها الأجيال شفويًا، متضمنة أحكامًا وقرارات لزعماء القبائل وحكمائها، وهو في الواقع قانون قبلي، وقد ظل العرف على الرغم من وجود الشريعة الإسلامية يحكم كل أوجه الحياة تقريبًا مما ساعد على استمرار تأثيره ـ إضافة إلى أسباب أخرى ـ كون الشريعة الإسلامية تتيح المجال للاحتكام إليه شريطة ألاّ يحرّم حلالاً أو يحلل حرامًا.

انظر: قائد الشرجبي، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص٦١.

٦ـ الطاسة هي وعاء معدني نحاسي مكسو بجلد مشدود، وهي شبيهة بالطبل تصدر صوتًا رائعًا عند القرع.

مئة عام من التألق

معرض تشكيلي نمساوي - مجري في بودابست

ثائر صالح

بودابست - المجر

أقام المركز الثقافي في قصر كاروي ببودابست معرضًا للفن التشكيلي من مقتنيات الثري اليهودي ينو آيزنبرغر، تغطي أكثر من قرن من تاريخ الفن التشكيلي النمساوي والمجري. وآيزنبرغر اليهودي المجري الذي ولد في منطقة «ستمار» شرق المجر في عام ١٩٢٥م، هو صاحب متاجر «لوفا» و«بام بام» ثم «آيزنبرغر» الشهيرة في العاصمة النمساوية فيينا، وتشارك مع شركات «ماينل» الشهيرة التي يملكها كذلك يهود نمساويون. وسأتناول سبب تطرقي الى الانتماء الديني لجامع التحف الفنية واللوحات هذا لاحقًا، لكن لندخل قاعات المعرض أولاً.



رودولف فون آلت: كاتدرائية ميلانو، أكواريل على الورق، ١٨٤٣



رودولف فون آلت: بيت لويس غرُل في زالتسبورغ، ١٨٨٩

عـرضت في المعـرض ٨١ لوحـة لـ ٢٦ فنانًا نمساويًا أهمـهم غـوسـتـاف كليـمت (١٨٦٧ - ١٩١٨م)، وأوسكار كـوكـوشكا (١٨٨٦ـ ١٩٨٠م) عـلاوة على الفنان والمصـمم فْـريـدِنْسْـرايخ هوندرتْفاسَر (١٩٢٨ـ ٢٠٠٠م)، و١٦ فنانًا مجريًا أهمهم إشتفان تشوك (١٨٦٥–١٩٦١م)، ويوجف ربل - روناي (١٨٦١–١٩٢٧م)، ومن الفنانات النمساويات تينا بلاو (١٨٤٥ - ١٩١٦م)، وأولغا

فيزنغر فلوريان (١٨٤٤ـ ١٩٢٦م)، وماري أيغنر (١٨٥٠ـ ١٩٤٠م)، وبرونتسيا كولّر ـ بينل (١٨٦٣ـ ١٩٣٤م)، والمجرية يوليا فايدا.

إن الارتباط بين النمسا والمجر قديم، إذ حكمت النمسا المجر قرونًا، منذ تحرير بودا من سيطرة الأتراك عام ١٦٨٦م. ولم تفلح المحاولات المجرية المتكررة في نيل الاستقلال، فأخفقت حرب راكوتسي الثاني التحررية في نهاية القرن الثامن عشر، والثورة المجرية في ١٨٤٨ـ ١٨٤٩م. لكن المصالحة بين النبلاء المجريين والحكم النمساوي في عام ١٨٦٧م لحقها نمو اقتصادي ومادي وعلمي وثقافي وعمراني متسارع في الأجزاء المجرية وعموم إمبراطورية النمسا ـ المجر، وحصلت الفنون ومنها الفنون التشكيلية والعمارة على حصتها من ذلك التطور.

وبرع الفنانون المجريون والنمساويون في إعلاء شأن إحدى أكثر المدارس الرومانتيكية تأثيراً، الفن الحديث (بالفرنسية Art nouveau أو Secession) الذي ابتكرته فرنسا وبلجيكا. ويعدّ غوستاف كليمت أشهر فنان نمساوي جسّد هذا الاتجاه الفني الذي نجد بصماته إلى اليوم في كثير من أبنية بودابست وفيينا وأحيائهما وباقي مدن إمبراطورية النمسا ـ المجر التي انفرط عقدها بعد خسارتها الحرب العالمية الأولى، وخسرت أراضيها نتيجة لصلح فرساي، فانسلخت صربيا وكرواتيا والبوسنة وما يعرف اليوم بسلوفاكيا، وتشيخيا وترانسلفانيا وغيرها من الأراضي التي كانت تابعة لتاج آل هابسبورغ.

بيد أن المعرض يأخذنا أول الأمر الى بدايات الرومانتيكية ممثلة بالفنان رودولف فون آلت (١٨١٢ ـ ١٩٠٥م) أحد أشهر رسامي الأكواريل (الألوان المائية)، فنجد أربع لوحات مائية له تعود إحداها إلى عام ١٨٤٣م، والباقية من المراحل المتأخرة. تميزت



هوغو شايبرت: لقطة في مقهى، تقنية متنوعة على الورق



فريدنسرايخ هوندرتفاسر: شجرة روح موجبة - مساكن سالبة، تقنية متنوعة، ١٩٨٧



كسرات من حلم-نساء تائبات، أقلام ملونة على الورق، ١٩٢٢

لوحاته المائية بتفاصيل دقيقة مذهلة، مثل «كاتدرائية ميلانو» (١٨٤٣م) أو «بيت كارل غرل في زالتسبورغ» (١٨٨٩م). استمر آلت برسم مشاهد من مدينة فيينا حتى بعد تخطيه التسعين من العمر.

ولا تقل لوحتا أرنست غرانر (١٨٦٥ - ١٩٤٣م) «فايبورغ غاسه في فيينا» (١٩١٠م)، (أكواريل على الكرتون) و«الأمير راينر في سوق الخضار العتيق» (أكواريل على الكرتون) إغراقًا في التفاصيل عن لوحات آلت، وكأنها صور فوتوغرافية لدقتها. بيد أننا نلمس لمس اليد تأثير المدرسة الانطباعية وبالدرجة الاولى بصمات الفن الحديث في اللوحة بألوانها وبضربات الريشة.

عرضت ثلاث لوحات بالأقلام الملونة للفنان التعبيري الشهير كوكوشكا، تعود جميعها الى فترة خدمته العسكرية على الجبهة الإيطالية في الحرب العالمية الأولى، وإلى عام ١٩١٦م تحديداً.



يوجف ربل ـ روناي: امرأة شابة بقبعة سوداء، باستيل على الورق، ١٩١٨

وتخطيطات كوكوشكا لا تجلب إلينا بشاعات الحرب العالمية الأولى بكل عفونتها وعبثيتها، بل تعكس مناظر مسالمة إذا ما أهملنا موقع المدفعية الظاهر في إحداها.

ويضم المعرض تخطيطين بالرصاص لغوستاف كليمت، أحدهما يصور من الأمام نموذجاً (موديلاً) في وضع أروتيكي وهي مستلقية على ظهرها وممسكة بإحدى قدميها (١٩١٤ ـ ١٩١٥م). أما الثاني فهو تخطيط يعود الى عام ١٩١٧ ـ ١٩١٨م. ومثل هذه التخطيطات موجودة بوفرة في المجموعات الخاصة التي يمتلكها عشاق الفنون. ويذكر أن ٤٣ من لوحاته تدمرت في حادثة احتراق قصر ريفي بالنمسا في عام ١٩٤٥م.

إلى جانب غالبية اللوحات التي تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تضم المجموعة المعروضة عدداً من لوحات لفنانين معاصرين مثل هوندرتفاسر الذي تميز باستعمال



أندريه بالنت: تشكيل، زيت على الخشب



أوسكار كوكوشكا: لوم دي تولمينو، بطارية ٤/٥٠، طباشير ملونة على الورق، ١٩١٦

خاص للألوان والأشكال، والبناية التي صممها في مدينة فيينا مزار للسياح الأجانب لما تتفرد به من انعدام التناظر والانقلاب شبه الكامل على أصول التصميم التقليدية. وينعكس ذلك في لوحته المعروضة «شجرة روح موجبة ـ مساكن سالبة» (١٩٨٧م)، (ألوان مائية وتمبرا البيض وألوان زيتية على ورق مكبوس على القماش الخام). ونجد ثلاث لوحات لأرنست فوخس (١٩٣٠م) تتميز كلها بموضوعات توراتية، مثل «داود وملكة سبأ» (فحم على ورق). أما الرسام والمصمم والكاتب كاري هاوزر (١٨٩٥ ـ ١٩٨٥م) الذي بدأ تكعيبيًا ثم عاد إلى الكلاسيكية، فمن بين لوحاته الثلاث المعروضة نجد «كسرات من حلم ـ نساء تائبات» (١٩٢٢م، أقلام ملونة على ورق)، لا تزال تحمل بصمات التكعيبية.

بين اللوحات التي رسمها الفنانون المجريون، تبرز لوحة يوجف ربل ـ روناي «امرأة شابة بقبعة سوداء» (١٩١٨م، باستيل على ورق)، وأسلوبه يتبع الفن الحديث بألوانه وخطوطه وأحاسيسه. وهناك لوحات لفنانين يهود نشطوا في فترة بين الحربين وجرى إهمالهم (عن حق أو دونه) ومنهم هوغو شايبر (١٨٧٣ ـ ١٩٥٠م) وعرض عمله «الراقصون» و«مشهد في مقهى»، أو لوحات بيلا كادار (١٨٧٧ ـ ١٩٥٦م) ومنها لوحة «زهور». ويتميز عمل أندريه بالنت «تشكيل» (زيت على خشب) بالمواد المستخدمة وهي جذع شجرة.

بقي أن نعود الى «يهودية» المعرض، والتي ربما كانت قد تمر دون ذكر، لولا «صفاقة» الدليل (الكاتالوك) الذي يتحدث عن المعرض. بدءاً أود التركيز في نقطة جوهرية: في نظري ليس للانتماء الديني أهمية في تحديد أهمية الفرد، بدلاً من تقويم دوره في خدمة الإنسانية.

وتتفرد الصهيونية بتمجيد العبقرية اليهودية إلى حد التقديس، وهذه نتيجة منطقية لفكرة لا توصف بأقل من

«القضية اليهودية» لخدمة مصالح سياسية أنانية وضيقة وعدوانية، ووقفوا ضد الصهيونية وإسرائيل وممارساتها.

لكن السيد كالمان كتشكميتي، في تقديمه للمعرض الذي كان للرسامين اليهود فيه الغلبة، يذكر نقلاً عن آيزنبرغ صاحب المجموعة أنه «ذهب في ١٩٤٧م إلى فلسطين لمجرد الحماسة العالية وحب المغامرة، ليشترك في تأسيس الدولة اليهودية. حارب عامين، وعمل في البناء، وبعد تسريحه عاد الى أوربا».

هل ينظر اليهود الأوربيون الشرقيون اللاساميون، أحفاد الخزر الذين اعتنقوا اليهودية في عام ٧٤٠، إلى تشريد شعبٍ ودكّ مدنه وقراه وسلب أرضه وتزوير تاريخه ونكران حتى وجوده، لكونه مجرد مغامرة؟. مجرد سؤال يفرض نفسه. وبعد إحلال المأساة يترك هذا الأشكنازي المتحدر من أكثر فئات اليهود المجريين تعصباً «دولته اليهودية» ليعود إلى أوربا ليؤسس «إمبراطوريته» التجارية بدأب وجهد مبتدئاً ببيع العلكة ثم الشوكولاتة قبل أن يفتح أول مخزن له لتحميص القهوة وطحنها. لم تتجاوز مغامرة السيد آيزنبرغ السنتين ليتبعها رخاء وتجميع التحف الفنية واللوحات بينما لا تزال المأساة والآلام التي سببتها «مغامرته» وجرائم الصهيونية مستمرة وفي تفاقم إلى اليوم.



أرنست غرانر: فابورغ غاسه في فيينا، أكواريل على الكرتون، ١٩١٠

التمييز العنصري، وهي فكرة مبنية على أوهام وأكاذيب أجبر الغرب على تجرعها تحت تهديد الاتهام بمعاداة السامية، وهو الانتماء العرقي الأسطوري المفترض. من جانب آخر هناك عدد من الفنانين والعلماء والمفكرين اليهود ممن خدموا الفكر الإنساني والإنسانية، ولا حاجة هنا الى تعداد الأسماء (وهي كثيرة). كذلك ليس هناك من داعٍ لتكرار أسماء مفكرين يهود وقفوا ضد تجيير

العولمة والعربية: استنهاض أم استنزاف؟

دراسة تقويمية لوضعنا اللغوي

الحسن سعيد جالو
مساكن - تونس

صدرت دراسة لغوية في قسم اللغات في جامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس، وأثارت تخوفًا عالميًا لم يسبق له مثيل، إذ بينت بما لا لبس فيه أن وضع عالمنا اللغوي ليس بأفضل من وضعه الفيزيائي. فهناك ستة آلاف لغة ولهجة ستختفي نهائيًا خلال هذا القرن، ويذهب معها تراثها ومعارفها. وهذا بلغة الحساب والإحصاء خسارة لا تعوض(١). لم ينبع خوف العالم من حقيقة الموت، فالحياة والموت آيتان من آياته جل وعلا، وإنما خوف العالم نابع من سرعة تحقيق هذا الموت الرهيب.

يستثني بعض الناس اللغة العربية من هذه الكارثة لما لهذه اللغة من ارتباط وثيق بالقرآن الكريم، وهو وعاء الإسلام دين الله الخالد، فهو بمنزلة الصدفة التي تحمي اللؤلؤة في قاع البحر. لكن هذا لا يمنعنا من الاعتقاد أن الإسلام دين العقل والمنطق الذي يعترف صراحة بقوانين الكون السارية في الطبيعة والإنسان.

سأتطرق في هذا الموضوع إلى عدة مسائل منها: العولمة بوصفها امتداداً للخيار الغربي الرأسمالي، والمسألة الثانية: اللغة العربية بين الماضي العريق والمستقبل العسير، والمسألة الثالثة: هل من الضرورة أن نواجه القدر بكل حزم وجد ونترك الاتكاء على جدار الدين في أمور لا يمكن الحسم فيها بالدين وحده؟

العولمة

ليست جديدة، بل هي تواصل مستمر للخيار الغربي الذي له جذران: جذر مسيحي تبشيري، وجذر استعماري عدواني واستغلالي، فهذان الجذران لا ينظر إليهما نظرة الأسود والأبيض، فهما معقدان، ولهما ملابسات تاريخية أكثر تعقيداً.

الجذر المسيحي

ولد المسيح عليه السلام في مجتمع يهودي، وتلقى جل

مبادئه منه، إلا أنه من البداية سعى إلى إصلاح عقليته الهرمة التي جعلت الله خاصاً باليهود، على ما يعنيه هذا الموقف من تناقض سافر مع نصوصهم التأسيسية، مثل موقف إبراهيم عليه السلام من الملك الصادق ملك شالم (التكوين ١٤:١٨ ـ ٢١) والنبي أيوب وسيرة إينوخ في التكوين (٢٢:٥) وغيرهم من الأنبياء والصالحين الذين كانوا أبراراً على الرغم من كونهم غير يهود باعتراف نصوصهم نفسها(٢). لم تسع اليهودية إلى معانقة الأمم قبل المسيح عليه السلام، فكان جهد اليهود مركزاً على تخليص أمتهم من نير الأمم الأخرى، ولاسيما الإغريق والرومان وغيرهم.

ومع أن المسيح لم يترك بعده كتاباً على غرار القرآن يمكن الرجوع إليه(٣)، فإن الحواريين جمعوا تعاليمه وأقواله في أربع نسخ سميت بالأناجيل الأربعة: ثلاثة منها ملخصة من مصدر سابق لم يعثر عليه فسموه المصدر الملخَّص Synopsis، وهذه الأناجيل: هي إنجيل متّى، وإنجيل لوقا، وإنجيل مرقس، وإنجيل يوحنا. فالإنجيل في الحقيقة مشروع تحول من المركزية اليهودية إلى الأممية، فكانت الرسالة في البداية تعاني الاضطهاد من أختها اليهودية التي كانت ترى فيها الانحراف الخطير عن الأصل الصحيح، فسادت الخلافات بين الطرفين نتيجة الاختلاف في التأويل(٤)، ووصل الخلاف ذروته في نهاية القرن الأول الميلادي عندما منع اليهود المسيحيين من دخول معابدهم Synagugues نهائياً فكانت القطيعة النهائية إلى اليوم(٥).

المصدر الثاني من معاناتها هو الأمم غير اليهودية، ولاسيما الرومان والإغريق الذين كانوا يحكمون البحر المتوسط وما حوله بما فيه فلسطين مسقط رأس المسيح، إلا أنه في تطور موالٍ، دخلت هذه الأقوام إلى الدين المسيحي بفضل اعتناق إمبراطور روما قسطنطين الدين الجديد في مدينة ميلانو عام ٣١٣م، فهذا الاعتناق، على كونه سطحيًا وسياسيًا، فقد حولها من مجرد طائفة مضطهدة تلاقي القمع من كل الأطراف: (قتلى المسيحية سقطوا في كامل الإمبراطورية الرومانية من دون استثناء) إلى دين له الحظوة في جميع أقاليم الإمبراطورية، هذه الخطوة العملاقة مكنتها من السيطرة على مقاليد الأمور سياسيًا واجتماعيًا في العصور التالية، كما حوّلتها من دين الفقراء المقموعين إلى دين الملوك المستبدين، مع بقاء نزعته التبشيرية التي تحولت بدورها من اللين والإقناع إلى التسلط والتجبر، خاصة مع الوثنيين، بل مع اليهود أيضاً، فقد وصلت هذه الشدة ذروتها في أثناء الحروب الصليبية وحروب «استرجاع» الأرض مع المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية أو ما يعرف بـ Conquista-dore التي مكنتهم في النهاية من تحرير بلادهم ممن يسمونهم بـ «العرب الكفار» Infidelmoors، وإقامة محاكم التفتيش Inquisition ضد من بقي من هؤلاء في الأندلس، ومن ثم ارتكاب أفظع جريمة في حق الإنسانية في العصور الوسيطة، ومازال شبحها يطارد الكنيسة إلى اليوم.

إذا كان الغرب يتميز بشيء يجعله في صدارة الأمم، فهو عدوانيته ليس غير، فهذه العدوانية هي التي مكنته من إخضاع الأمم واستغلال ثرواتها المادية والمعنوية

وقد أدى تحالف الكنيسة مع الملوك إلى انحسار دورها الديني، وإلى تقوية الفرق الاحتجاجية والانفصالية، ومن ثم إلى قطيعة نهائية بين الكاثوليك والبروتستانت(٦) وكلاهما تحالف مع ملوك الدول القومية الجديدة، فكان أكثر هؤلاء الملوك متعطشين للحرب إلى أقصى الحدود، على الرغم مما يتظاهرون به من روح التدين المزيف، فهذه النزعة العدوانية هي التي قادت إلى الاستعمار وما نتج منه من المآسي.

الجذر الاستعماري العدواني

منذ الوهلة الأولى من سقوط الإمارات الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية، انطلق الوحش الأوربي من قفصه نحو العالم الخارجي، فاحتل الضفاف الجنوبية للبحر المتوسط، فالضفاف الغربية للسواحل الإفريقية،

فبدأ يتاجر مع الهند وشرق آسيا مباشرة، وأول مرة في التاريخ من دون وساطة، وما إن حل عام ١٤٩٢م حتى قضوا على آخر إمارة إسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية وهي إمارة غرناطة، وغزوا القارة الأمريكية بقيادة المكتشف المزعوم كريستوف كولومبس(٧).

فمنذ ذلك الوقت، سعى هذا الجزء الصغير من العالم الذي لا يمثل آنذاك أكثر من ١٪ من سكان العالم، إلى السيطرة على مصير العالم.

فقد جمع ثروات هائلة من أركان العالم الأربعة، بطرائق جلها غير شرعي، وسخر لذلك شعوباً كثيرة مثل: الشعوب الإفريقية التي سخروها لخدمتهم في مستعمراتهم الجديدة في ظروف لا يتحملها الحيوان الأعجم، كما سخروا شعوباً أخرى لاستهلاك بضاعتهم المسمومة، مثل تجارة الإنجليز مع الصين بالأفيون، مع العلم أن قيادة العالم منذ ذلك الوقت، لم تنتقل من هذا الجزء من العالم إلى جزء آخر، وكل ما في الأمر أنها تحولت من دولة أوربية إلى دولة أوربية أخرى، وبقي الأمر على هذا المنوال إلى اليوم.

لقد قيل حول هذه السيطرة كلام كثير، جله يصب في خانة التسويغات الاستعمارية، مثل أقوال دافيد لندوس David Lendos الذي قال: «إن الغرب أخذ مكانه في العالم بجدارة طبيعية، إذ كلنا يعرف أن الغرب أخذ حروفه الهجائية من الحروف الفنيقية الساكنة، فطوّرها وجعل لها حروفاً صائتة Vowels قضى بفضلها على الأمية في ربوعه مبكراً لسهولتها وقدرتها على التكيف مع الأصوات، ثم إن ظهور المطبعة في هذا الجزء من العالم، مكنه من الاستفادة من ثورة الكتاب قبل البلاد التي اخترعت الورق، وهي الصين والبلاد التي ساعدت على انتشاره، وهي البلاد


نابليون بونابرت

الإسلامية(٨)، فالأمر كذلك في الأصعدة الأخرى التي ساعدت على توزيع الثروة في العالم، كالتجارة والصناعة وغيرها من الميادين، فالغرب لم يمنع أحداً من تطوير إمكاناته، ومن ثم تحقيق أحلامه، فالأمم الأخرى على الرغم مما توافر لديها من إمكانات، لم تقدر على استغلاله في مسيرتها الوجودية(٩). لا يخفى على أحد أن مثل هذه المقاربات تدخل ضمن تسويغ الوضع القائم اليوم والأمس القريب، والحال أن الغرب، إذا كان يتميز بشيء يجعله في صدارة الأمم، فهو عدوانيته ليس غير. فهذه العدوانية هي التي مكنته من إخضاع الأمم واستغلال ثرواتها المادية والمعنوية، وقد لخص الشاعر الإنجليزي وليام بليك W. Blake هذه الفكرة بإيجاز ووضوح يعجز أبلغ الناس عن بيانه وذلك في بيتين من الشعر يقول فيهما: «مهما يكن من أمر، فلقد كان لنا بندقية ماكسيم وهم ليس لهم».

Whatever happened, we have got the Maxim Gun and they have not(10)

فالتفوق الغربي لم يكن أخلاقياً ولا نفسياً، ولكنه آلي، وقد أخضع به كل الشعوب في العالم، ومنذ ذلك الوقت، غلب بقية الأمم وأخرجها من مسرح التاريخ، فظل القوة الوحيدة المؤثرة في التاريخ، وأصبح غيره خاضعاً له.

لكن هل يعني هذا أن تستسلم بقية الأمم؟ الجواب طبعاً: لا، بل عليها أن تقاوم كما قاومت العبودية والاستعمار بالأمس، فقدَرُها أن تقاوم اليوم أيضاً في كل المجالات بما فيها العولمة التي هي نتاج للصيرورة التاريخية، فرضها الغرب على كل الأمم، ومنهم العرب الذين يمرون بأدق فترة في حياتهم الثقافية اليوم.

اللغة العربية بين الماضي العريق والمستقبل العسير

نظرة تاريخية:

تعدّ اللغة العربية من أقدم اللغات الحية اليوم وأعرقها، فهي من حيث الأرومة تنتمي إلى الأرومة السامية، أو السامية الحامية Hamito - Semitic Languages مثل البابلية والكنعانية وغيرهما. فهذه المجموعة اللغوية أصيلة في الجزيرة العربية، ومن هناك انتشرت إلى الهلال الخصيب فشرق إفريقية وشمالها. ماتت كل أخواتها ولم تبق منها اليوم إلا لغتان تواصلان حياتهما في معزل عنها، إن لم نقل في قطيعة معها هما اللغة العبرية والإثيوبية، ويقول بعض المختصين في هذه الأرومة: إن اللغة العربية أوفى لأمها من جميع أخواتها الحية والمنقرضة(١١).

مع أننا لم نجد نصاً عربياً يعود تاريخه إلى ما قبل القرن الثالث الميلادي، فإن الخبراء يؤكدون قِدَمَها وجمالَها اللذين يتجليان في نظام إعرابها، وهو أحد أبرز خصائصها، والقدرة الهائلة على تفريع أصولها(١٢) فجاء الإسلام ليمدد في عمرها، ويبلور جمالها عبر المحطات الكبرى في رحلتها، منذ أن نزلت فيها الآية الأولى من آي الذكر الحكيم، ساعدتها ظروف تاريخية طيبة تتمثل في دمج الدولة الدنيوية في الدين الأزلي، فاستعربت أمم كثيرة حبًا في فهم دينها الجديد الذي ظل عصيًا على من يجهلها، كما استعربت أمم أخرى بدوافع مشروعة، وإن كانت غير دينية، وإنما حبها للحياة ورغبتها في تحقيق أحلامها، لأن العربية أضحت لغة علم ومعرفة وثقافة، لا يتسنى للمرء أن يتبوأ مكانة مرموقة في أي مجال من مجالات العلم والمعرفة إلا بها، وهذا لم يكن يقتصر على العالم الإسلامي فقط، وإنما كل العالم المعروف آنذاك، فسخرت الأمم التي كانت تملك الخبرات في شتى المجالات، سخرت إمكاناتها في دراسة هذه اللغة تأصيلاً وتفريعًا، وتصنيفًا وتبويبًا وإلى ما هنالك من الأعمال(١٣).

انتشرت اللغة العربية في جميع الدول الإسلامية، ليس بوصفها لغة دينهم فحسب، وإنما لغة عن طريقها يحققون أحلامهم، فلم تستطع بل لم تجرؤ اللغات المحلية على مزاحمتها، فحتى تلك التي كتبت منها، كتبت بحرفها، وكان الناس يقرؤونها ليس تعويضًا عن العربية، وإنما تمهيداً لها، إذ كل المصطلحات العلمية والتقنية عربية، مما حولها إلى لهجة من اللهجات العربية من حيث المعجم، مثل التركية العثمانية والفارسية في الشرق الأوسط، والسواحلية في شرق إفريقية والفلانية وهاوسا في غربها.

التعريب قطرة قطرة أدى إلى نتيجة وخيمة تتمثل في التعريب الفكري والعقدي (الإيديولوجي) الذي خلق طبقة من أنصاف المثقفين لا يصلحون في العير ولا في النفير لما يفتقرون إليه من أساسيات بديهية ووسائل المعرفة

يقول علي أمين المزروعي: «إنه من المفارقات أن يكون الإنجليز والألمان الذين أوقفوا الزحف الإسلامي في شرق إفريقية هم الذين شجعوا السواحلية على نشر قيمهم ودينهم، والحال أن هذه اللغة متشبعة بروح الإسلام قيمًا وحضارة، فالسواحلية اليوم تنتقم للإسلام من الإنجليز؛ وذلك بطرد لغتهم من المنطقة كما طردوا الإسلام منها أول مرة(١٤).

فرسالة التعريب إذن كانت تسير جنبًا إلى جنب مع الرسالة الإسلامية، لذلك نرى أن الانتكاسة التي وقعت للأولى انعكست على الثانية، ولسنا هنا بصدد عرض الأسباب الكامنة وراء هذه النكسة لأنها نوقشت في أكثر من عمل، لكننا نعتقد أن الأسباب الداخلية كانت أقوى من غيرها، مثل غلق باب الاجتهاد الذي بدوره غلّق باب البحث والابداع العلميين، وباب الثورة الدينية داخل المجتمع الإسلامي، على غرار الثورة البروتستانتية في الغرب التي كانت، في نظري، وراء إطلاق المارد الغربي من قمقمه مقابل جمود عام في العالم الإسلامي، مما جعل

الناس يجترون القديم اجتراراً أو ما يعرف بفترة الشروح، وشرح الشروح والحواشي، وحاشية الحواشي، مع احتقان الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية دون أن يؤدي ذلك إلى الانفراج، هذا كله أدى إلى النزعة الامتثالية Conformity، والخوف من الجديد. فقامت حروب الإصلاح الدينية في أكثر من جهة في البلاد الإسلامية، لكنها كانت، في كثير من الأحيان، حروباً سياسية وقبلية أضرت بالمجتمعات الإسلامية في وقت حساس ودقيق جداً، إذ وافق زمن الحملة الغربية على العالم بما فيه العالم الإسلامي.


كريستوفر كولومبوس

العربية المعاصرة:

غني عن القول أن الحضارة الإسلامية حضارة تبشيرية ورؤيوية Eschatological(١٥) ومن ثم فإن أي تقوقع على الذات يؤدي إلى الموت المؤكد في كل المستويات، خاصة في المستوى اللغوي، لذلك لا نستغرب من الصدمة التي أحدثتها حملة نابليون على الشرق عامة، وعلى مصر خاصة(١٦). فمنذ ذلك الوقت يحاول العالم الإسلامي اللحاق بالغرب، وأكبر جهد تم في هذا النطاق حتى الآن هو ما قام به محمد علي باشا، من ترجمةٍ وبعثات علمية إلى الغرب، وكان أكبر هذا الجهد ينصب على إحياء اللغة العربية وعصرنتها، إلا أن هذا الجهد لم يؤتِ أُكُلَهُ نتيجة الحملة الاستعمارية على المنطقة، فالأدبيات التي كتبت في هذه الفترة جلها تمجيدية أو تنفيسية لا تجد وراءها خطة مدروسة أو برنامجاً متكاملاً إلى فجر الاستقلال، وهنا كانت الكارثة، إذ كثيرة هي الدول التي ناضلت من أجل استرجاع سيادتها الوطنية، وعلى رأسها اللغة العربية، لكنها ما إن استقلت، حتى زادت تمسكاً باللغة الأجنبية، ونادى بعضهم بالتعريب قطرة قطرة بدعوى أن الطبقة الأكاديمية لا تتكلم باللغة العربية أو أن المصطلحات العلمية والتقنية كلها أجنبية إلى ما هنالك من أعذار، وهي كما ترى واهية في أكثرها، إذ تشبه بما يسمى «الديمقراطية قطرة قطرة» التي هي في حقيقتها ليست إلا دكتاتورية مغلفة بثوب عقلاني لا يقنع أحداً.

التعريب قطرة قطرة أدى إلى نتيجة وخيمة تتمثل في التعريب الفكري والعقدي (الإيديولوجي) الذي خلق طبقة من أنصاف المثقفين لا يصلحون في العير ولا في النفير لما يفتقرون إليه من أساسيات بديهية ووسائل المعرفة، ومن الملاحظ أن أكثر هذه الفئة ينتمي إلى الأكثرية المعدمة، بينما تواصل الطبقة الخاصة المحظوظة، والأقلية تواصل دراستها باللغات الأجنبية، فرنسية كانت أم إنجليزية، لأن هذه اللغات هي الوحيدة التي توصل إلى سدة الحكم(١٧) أو المراكز المهمة في البلاد.

فالطريق إلى التعريب مسدود في كل الصعد، فلا يغرنَّك ما تراه أو تسمعه من (بهرجات ديكورية)، فوراءها حقيقة مخيفة وهي أن الناس يزدادون نفوراً من التعريب، ولكنهم لا يصرحون بذلك علناً، خشية تعرضهم للأذى، وهو خلاف ما كان سائداً في الماضي حينما كان الناس يدافعون عن آرائهم حول قصور التعريب، أو ما يزعمون أنه قصور، بصراحة تامة.

اللغة العربية اليوم تشهد تراجعاً خطيراً في كل أرجاء العالم الإسلامي: العربي منه وغير العربي، أما في جزئه الأخير فتلاحظه في عدة مستويات، وأهمها إبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني في كل اللغات التي


محمد علي باشا

كانت تستعمله في الماضي، ما عدا لغات قليلة جداً حتى هي مرشحة في المستقبل إلى إبداله(١٨).

هنا أريد أن أفتح قوساً واسعاً، لما لهذا الموضوع من أهمية قصوى، ولما يشوبه من سوء فَهْمٍ من كل الأطراف، إذ يربطه بعض الناس بالدين مباشرة ولو أنهم يفتقرون إلى حجج دامغة من النصوص التأسيسية. كما يسعى الآخرون إلى تهميشه وهو مهم جداً، كل يدلي بدلوه. لن أتعرض إلى الجدل الذي دار بين دعاة اللاتينية ومناوئيها في الوطن العربي في الثلاثينيات من القرن الماضي، وأعتقد أنه قد تجاوزته الأحداث، إذ لا أحد يثيره اليوم في كامل الدول العربية، حتى أشد الناس تفرنجاً، كما لا أريد إثارته في تركيا التي أصبح الحرف اللاتيني فيها واقعاً غير قابل للتغيير.

يبقى الجزء المسلم في إفريقية ماوراء الصحراء الذي يمتد من السودان الشرقي إلى المحيط الأطلسي، حيث تجد شعوباً كثيرة أسلمت منذ أزمنة غابرة فأصبحت الثقافة العربية جزءاً لا يتجزأ من ثقافتها، وكانت تكتب لغاتها بالحرف العربي فيما مضى، إلا أن هذا الجزء تم إخضاعه برمته للسيطرة الاستعمارية الإنجليزية أو الفرنسية، وهو مازال في تشكل مستمر، ومازالت اللغات المحلية فيه مستضعفة، زيادة على النشاط التنصيري المكثف فيه، فهو مرشح لاحتمالات ثلاثة: فإما أن يقوم بزحف ثقافي نحو الشمال أي نحو الدول العربية أو المعرَّبة في الشمال، مع العلم أن هذه الدول أيضاً تعربت على مراحل، مازال بعضها يأخذ مواقعه في الساحة، وهذا دليل على أن التعريب ليس أمراً مستحيلاً في الجزء الذي نحن بصدده، وإما أن يقوم بزحف داخلي، أي نحو الثقافة المحلية التي هي بدورها معرّبة إلى حد كبير. والخيار الثالث هو اللحاق بالغرب نهائياً ثقافة ولغة وربما ديناً أيضاً. مع العلم أن من يفوز بالمعركة في هذا الجزء فقد فاز فوزاً عظيماً لما يمثله من ثقل يؤثر في كامل إفريقية، إذ نجد فيه ثروات هائلة، من معادن وزراعة وحيوان وإنسان، ويكفي أن يكون أكبر قطر من حيث السكان في القارة، يوجد هنا، وهذا القطر هو نيجيريا، فإذا أُخفق التغريب والتنصير في هذا الجزء، فلن يكون لهما أثر دائم في الأجزاء الأخرى، وذلك على الرغم مما حققاه من نجاح فيها، خاصة في جنوب القارة، كما أنهما، إذا نجحا في هذه المنطقة، فإن الدفاعات الثقافية في الشمال، بل في كامل الوطن العربي سوف تنهار عاجلاً أم آجلاً، إذ لكل ثقافة خطوطها الدفاعية، وخطوط دفاع الثقافة العربية، توجد في إفريقية وليس في غيرها، لأن الثقافات المحيطة بالوطن العربي تتميز بخصائص لا يمكن اختراقها بسهولة، هذه الحقيقة مع الأسف، لا تعيها الجهات الثقافية العربية، لذلك لا تتعامل معها بطريقة مناسبة، وهي نقطة مهمة تسجل على العقلية العربية إن كان لها وجود!.

فالأطراف كما قلنا إذن منقسمة على نفسها: فقائل بضرورة التمسك بالحرف العربي في اللغات المحلية، خاصة تلك التي كانت تستعمله على الأقل مثل: السواحلية والهاوسا والفلانية، ويتزعم هذا الفريق يوسف الخليفة أبو بكر الذي يرى أن كتابة هذه اللغات بالحرف اللاتيني اعتداء على تراثها الديني والقومي،

لأن لهذه اللغات تراكماً معرفياً من النصوص الدينية والأدبية وغيرها لا تتسنى للأجيال المعاصرة والقادمة قراءته، إذا لم تعرف الحرف العربي، والحال أن هذا الحرف أصبح مخزوناً في وجدانهم، فهو عندهم ليس مسألة كتابة فحسب، وإنما مسألة ذاكرة جماعية، ومسألة جمال ووجدان لدى الإنسان الذي لا يقدر بالثمن، فالاقتراح إذن ليس إبدال هذا الحرف بحرف آخر مهما كان نوعه، وإنما إجراء تغييرات مناسبة ليتلاءم أكثر فأكثر مع الأوضاع الجديدة في هذه اللغات(١٩).

أما الذين يرون عكس ما يراه يوسف الخليفة أبو بكر، فهم كثيرون أيضاً، وفي مقدمتهم أحمد حمباتي با، أبو مشروع الكتابة اللاتينية للغات الإفريقية في اليونسكو، فهؤلاء يرون رؤية براغماتية، مضمونها أن الماضي مهما كان أثيراً فهو ماض يجب ألا يؤثر سلبياً في الحاضر، وعليه فإن للحرف العربي دوراً مهماً في اللغات الإفريقية التي تبنته مثل السواحلية والفلانية والولوف والهوسا وغيرها، إلا أنه اليوم، لم يعد قادراً على النهوض بها وإخراجها من العزلة والتخلف.

من أهم حججهم ما ذكره أحمد حمباتي با، الذي يرى أن الثقافة الإفريقية مهددة من جهتين: الأولى القراءة الإسلامية الخاطئة التي ترى في الثقافة الإفريقية المحلية شركاً بالله، والجهة الثانية هي القراءة المسيحية المتطرفة التي ترى في الثقافة المحلية نوعاً من التخليط بين المسيحية والوثنية Syncre-tisme.

فبما أن الأفارقة اليوم أو أكثرهم، إما مسيحيون وإما مسلمون، فلابد من القيام بعمل ما، وهو كتابة المعارف والثقافات الإفريقية بلغات الأفارقة التي قد تكون أوفى لتراثها وأقدر على التعبير عنه من غيرها، ثم إن الذين يقومون بهذا العمل هم الأفارقة أنفسهم، لأنه كما يقول المثل الإفريقي: «إذا حضر الماعز، فينبغي ألا نقوم باليَعْر في مكانه»(٢٠) (اليَعْر واليَعْرة: الشاة أو الجدي)، فالكتابة عنده، لتكون عملية، يجب أن تكون لاتينية لأسباب عدة منها:

أن القارة برمتها استعمرتها الدول الأوروبية، وهذا الاستعمار أفرز فيها واقعاً، لابد أن نتعامل معه بموضوعية، وهو أن الطبقة المثقفة برمتها تثقفت باللغات الأوربية، ثم إنها لا تعرف الحرف العربي، ولا يمكن تجاهلها أو إقصاؤها، لأنها هي التي تحكم، والسبب الثاني يعود إلى طرائق استعمال الحرف العربي في الماضي التي لا يمكننا اليوم أن نتغاضى عنها، إذا أردنا أن نقوم بنقد علمي بناء، فهذا الحرف لم يقع ضبطه رسماً وإملاء بين الجهات، فكانت كل جهة، بل كل شيخ يقرأ بطريقته الخاصة، قد لا يفهمها غيره، باستثناء جهة واحدة وهي فوتاجالون (غينيا) التي كانت تقرأ كل الكتابات الفلانية بالحرف العربي، كما يستطيع كل فلاني أن يقرأ كل ما يكتب في فوتاجالون بغض النظر عن جهته وموطنه، فهذا يدل على ما وصل إليه الحرف العربي من ضبط ونظام في هذه الجهة، فقد ترجم علماؤها كل الكتب العلمية إلى لغتهم، والسبب الأخير هو أن الأوربيين، قاموا بمجهود كبير في اللغات الإفريقية من كتابة المعجمات وكتب الإملاء وترجمة الأعمال الكبرى والكتاب المقدس إلى اللغات الإفريقية، بل حتى إلى بعض لهجاتها، مقابل جهل تام لهذا الموضوع في الوطن العربي.

تحولت الفضائيات العربية إلى مراكز إشعاع للعاميات العربية عوضاً عن اللغة الفصحى الموحدة التي تدّعي كل دولة عربية أنها تعمل بها وتسعى إلى إغنائها

مهما يكن من أمر، فإن الثقافة العربية شهدت تراجعاً كبيراً من حيث الإقبال في هذه المنطقة نتيجة إخفاق المدرسة العربية فيها، خاصة في مجالي التكوين والتشغيل، وهما مهمان جداً، إذ الناس في العادة تحركهم آمالهم وأحلامهم أكثر من أي شيء آخر، حتى النزعة الدينية داخلة في هذا الأمر وناشطة فيه، وإن غابت عن الرصد في بعض الأحيان، لكن ذلك لا ينفي تفاعلها مع العناصر المذكورة.

أما في الجزء العربي من العالم الإسلامي، فيبدو

التراجع أوضح، خاصة في الميدان التعليمي، نرى تراجع اللغة الفصحى وقواعدها في كل الأقطار العربية، بل أصبح بعض الأساتذة في اللغة العربية لا يتكلمون بها في حصص التدريس، وعندما يتكلمون بها، لا يلتفتون إلى قواعدها، إما جهلاً وإما استنكافًا منها وكأنها لغة ميتة لم تعد جديرة بالاهتمام، كذلك نرى تراجع الإقبال عليها من حيث التخصص، فلا يتوجه التلاميذ «الممتازون» إلى التخصصات العربية الإسلامية، فمن يتوجه إليها فهو إما ضعيف العلامات، وإما غلط حاسوب في حقه، وفي كلتا الحالتين، يظل يلعن حظه إلى الأبد(٢١).

الميدان الاقتصادي هو في جوهره لم يُعَرَّب بعد، بل بقي إنجليزيًا أو فرنسيًا إلى اليوم، وقد يظل كذلك في المستقبل المنظور. أما الميدان الإعلامي، فهو أدهى وأمر، فنحن نلاحظ زيادة فضاء العاميات في وسائل الإعلام العربية، مرئية كانت أم مسموعة، والحال أن من يستعمل العامية في المرئيات الأجنبية، يترجم كلامه على الشاشة فورًا، كائنا من كان فلا ينظر إلى عاميته، أكانت قريبة من لغة الأم أم بعيدة عنها، فرنسية كانت أم إنجليزية. أما في الوطن العربي، فنجد الناس يتحاجّون في كون عاميتهم أقرب إلى اللغة الفصحى، بل يدعي بعضهم أنهم يتكلمون الفصحى سليقيًا، والحال أن العرب الأوائل أصحاب اللغة قطعوا قولهم في هذا الموضوع منذ القرن الثالث الهجري، وبينوا أن:لاسليقيون بعد ذلك القرن(٢٢). فكيف يأتي اليوم أناس ويدَّعون السليقية؟ ولا يراعون في ذلك العنصر الزمني ولا الإنساني (الأنثروبولوجي) من حيث الهجرة والاختلاط بين الأعراق واللغات. كل هذه العوامل وغيرها أدت بالفضائيات العربية إلى أن تتحول إلى مراكز إشعاع للعاميات العربية عوضًا عن اللغة الفصحى الموحدة التي تدعي كل دولة عربية أنها تعمل بها وتسعى إلى إغنائها!.

انتشرت اللغة العربية في جميع الدول الإسلامية، ليس بوصفها لغة دينهم فحسب، وإنما لغة عن طريقها يحققون أحلامهم، فلم تستطع بل لم تجرؤ اللغات المحلية على مزاحمتها

من غرائبهم كذلك تقليدهم الأعمى للأجانب خاصة الإنجليز، فبما أن لهؤلاء كتبًا مؤلفة للأجانب غير الناطقين بالإنجليزية English for non native speakers فنحن أيضًا نؤلف كتبًا لغير الناطقين بالعربية أو للأجانب، والسؤال هنا من هم هؤلاء الأجانب؟ أهم الأوربيون والأمريكيون؟ لكن هؤلاء لا يقبلون على تعلم العربية، إلا ما ندر، وحتى في تلك الأحوال، فهم يعتمدون على وسائلهم الخاصة، المعنيون إذن هم المسلمون غير العرب من الآسيويين والأفارقة؟ لكن هل يحتاج هؤلاء إلى مثل هذه الكتب؟ خاصة أنهم يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب وهم صغار، إضافة إلى بعض القواعد النحوية؟ أليست العربية في هذه الحالة لغتهم الأم؟ ما الفرق بينهم وبين العرب الحقيقيين؟ أليسوا كلهم يحتاجون إلى صقل مواهبهم في اللغة الفصحى؟ هل يحتاج أبناء المسلمين إلى العاميات العربية؟ أسئلة كثيرة يسوِّغها الواقع المعيش، فقد قال لي أحد الطلبة الأجانب: «تصور إن أستاذنا في اللغة العربية لا يعرف ضمير الشأن، ولا عطف البيان، فكل ما يعرفه هو أكل ريموند كسكسًا لذيذًا عندما زار بلادنا، ولبست زوجته كاتيا روبة تقليدية»!!.

الخلل في رأيي يكمن في موازنة الإنجليزية بالعربية، والبريطاني والأمريكي بالمواطن العربي، والحال أن الفارق كبير، في مستوى الواقع والتاريخ، فاللغة العربية أقدم من الإنجليزية بقرون كثيرة، إذ أقدم نص إنجليزي حتى الآن لا يتجاوز عمره خمسة قرون(٢٣). بينما أقدم نص عربي يتجاوز عمره ثمانية عشر قرنًا.

نقول باختصار: إن البون الذي يفصل بين العاميات الإنجليزية واللغة القياسية Formal English سواء في أمريكا أم في المملكة المتحدة، أقل بكثير من مثيله بين العاميات العربية واللغة الفصحى، ثم إن الإنجليزية اليوم، بفضل وسائل الاتصال الحديثة ومحو الأمية، أصبحت موحدة أكثر من أي وقت مضى، فالمواطن

الأمريكي أو البريطاني مضطر إلى استعمالها بصفة مكثفة لينجح في حياته العملية، والمواطن العربي غير مضطر إلى الفصحى بهذه الدرجة. كل هذه العوامل تجعل أي موازنة بين اللغتين موازنة مغلوطة في الأساس، القصد منها ترك الحبل على الغارب، ومن ثم إحلال العامية محل الفصحى(٢٤).

هذه العقلية في الحقيقة ناتجة من فرضية Premis خطيرة ومضلِّلة مضمونها أنه يكفي المرء أن يكون أبواه مسلمين، ومولوداً في بلاد إسلامية ليعرف الإسلام معرفة جيدة، وهي الحالة نفسها لمن ولد من أبوين عربيين وعاش في بلاد عربية، ليعرف اللغة العربية، بل ليكون مرجعاً فيها، والخطورة تكمن في أنهما يفتيان في أمور يجهلانها، أو يتطاولان على العقائد والقواعد التي انعقد فيها إجماع الأمة، مثل تطاول بعض الناس على القرآن الكريم فيتعاملون معه مباشرة كأنه جريدة يومية لا تصعب عليهم قراءتها، والحال أن القرآن كتاب موحى من الله فيه علوم كثيرة يصعب على الشخص الإلمام بها، وهي متداخلة بعضها ببعض، منها ما يتعلق بالشريعة التي لابد لمن يريد فهمها أن يرجع إلى شروحها في كتب الفقه وأصوله مع إلمام واسع بالمذاهب الفقهية، ومنها ما يتعلق بالعقيدة وهي أخطر، فأرضها أوعر، ومسالكها أصعب على الحاذق المتمرس، فما بالك بالغر المتسرع؟!

أما اللغة العربية الفصحى فإن الخطب أكبر، والبلاء أعم؛ لأن هذه اللغة كما يعرف الجميع حظيت في الماضي بعناية لم تحظ بها أي لغة في الأرض، لما لها من علاقة وثيقة بالدين، فقعدت في أزمنة مبكرة جداً ودونت، فلا مناص اليوم لمن يريد أن يتجنب اللحن الفاحش كتابياً وشفاهيًا، أن يرجع إلى قواعدها ويحفظ منها ما اتفق عليه على الأقل، أما أن يركب رأسه، ويتكبر على غيره، فلن يزيد الأمور، إلا تعقيداً، لأنه إن كانت بعض العلوم تقبل المدعي ساعة أو لحظة في حياضها قبل أن ينكشف


وليم بليك

أمره، فإن الإعراب والرياضيات لا يفعلان ذلك، فإما أن تعرف القاعدة، فلك فسحة للمناورة، وإما ألاّ تعرفها، فأمرك مكشوف، ورأيك مرجوح.

عولمة غير مُعَدٍّ لها

An Unprepared Globalization

إن العولمة، بوصفها تطوراً طبيعياً للنظام الرأسمالي الغربي المفروض على بقية الشعوب، لا تناسب أحداً، لكن هذا لا يمنع أن تكون هناك شعوب أكثر استعداداً للتأثر بها من غيرها، وذلك يرجع إلى الأنظمة السياسية والنظم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها. أما في الوطن العربي فإن الدلائل تؤكد مجيئها قبل الأوان، فلو كان من الممكن تأجيلها لفعلنا ذلك لأننا غير مهيئين لها، ويتجلى ذلك في مواقفنا المتذبذبة، بين القديم والحديث، بين القبلي والإنساني، وبين العلمي والمحلي، فدخول لغتنا اليوم إلى المنافسة المحتدمة سوف يجعلها منافسة غير متكافئة مقابل سباق لغوي جهنمي لم يسبق له مثيل وتقوده اللغة الإنجليزية، التي تشتكي منها كل اللغات حتى تلك المعدة إعداداً جيداً مثل اللغة الفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات، فهذه اللغات على الرغم مما رصد لها من ميزانيات هائلة وتشجيعات مغرية لأبنائها وغيرهم ممن يدخلون في فضائها من كتاب ومدرسين وطلبة.. فإنها ترى نفسها مقصرة بالموازنة مع المجهودات البريطانية والأمريكية في هذا الميدان، في المقابل، نجد أولئك الذين ساقهم القدر إلى الفضاء العربي الإسلامي مثل الطلبة الأفارقة، يعانون أمرين، فكثير منهم ظل في الدول العربية ما لا يقل عن عشر سنوات من دون أن يزور أهله وذويه، ليس لأنه لا يرغب في ذلك، وإنما لقلة ذات اليد وغياب التشجيع. وهذا الوضع المأساوي انعكس على مستواهم التعليمي، ومعنوياتهم النفسية(٢٥).

هذا كله أدى إلى كثرة التسرب المدرسي بل الجامعي في صفوفهم: فمنهم من انقطع عن الدراسة في مستوى

الإجازة، بل حتى في مستوى الدكتوراه، ثم ذهب إلى الغرب ليعمل سائق تاكسي! لسنا هنا بصدد الاستنكاف من أي عمل كان، لكننا إذا نظرنا إلى الجهد الذي بذل ليصل إلى هذا المستوى، والآمال المعلقة عليه في منطقة شحيحة في التكوين عامة، والتكوين في الثقافة العربية الإسلامية خاصة، نجد أن الكارثة كانت كبيرة، لأنك أن تكوّنَ ألف طالب ممتاز في اللغات الغربية، إنجليزية كانت أم فرنسية أسهل عليك من تكوين مئة طالب متوسط في الثقافة العربية الإسلامية خاصة، وصاحب هذه السطور شاهد على ذلك، كل هذا مؤشر من مؤشرات وضعنا اللغوي في ظل العولمة، إذ إن العولمة كغيرها من المسائل، لم تأت فجأة أو على حين غرة، وإنما هي مسيرة طويلة عرفها من عرفها، فاستعد لها، وجهلها أو تغافل عنها من تغافل عنها، فدهمته ليتحول إلى وقودها.

هذا عن الأجواء اللغوية، أما عن أجواء البحث العلمي وما يتعلق به، فإن الإنجليزية تستأثر به كاملاً، فليس هناك لغة تزاحمها فيه، بل حتى الترجمة، فاللغات عاجزة عن مواكبة ما ينتج في هذه اللغة، فاللغة اليابانية هي اللغة الوحيدة في العالم التي استطاعت أن تواكب ما ينتج في الإنجليزية بالترجمة فور إنتاجه، هذا ما جعل دولاً كثيرة تتخذ من الإنجليزية لغة تكوين مباشر؛ لأنها عجزت عن الترجمة، أو وجدتها مكلفة وغير فعالة(٢٦).

فما يُقرأ لكاتب عملاق مثل نجيب محفوظ في اللغة العربية أقل بكثير مما يقرأ لكاتب مغمور في اللغة الإنجليزية أو الإسبانية، بل حتى الفرنسية، والحال أن تعدادنا السكاني يتجاوز ثلاثمئة مليون عربي، وزد عليهم ضعف هذا العدد من المسلمين، فنحن إذن لسنا أقلية في العالم، إن لم نكن الأكثرية.

فأمام هذا الوضع الغريب والمختل في موازينه، لا يمكن للغة العربية أن تسهم في العولمة إسهامًا خصبًا، كما لا يمكن لها أن تنافس اللغات الأخرى في الإنتاج الكمي والنوعي وهو شرط أساسي لدخولنا العولمة بحظوظ وافرة ولا نكون وقودها. نقول هذا مع أسف شديد كحقيقة مرة ومزعجة أيضًا، لكن كما قال نزار قباني:

لا تَعْذِليني إنْ كَشَفْتُ مَواجِعِي
وَجْهُ الحقيقةِ مَا عَلَيْهِ نِقَابُ

مواجهة القدر بحزم وجد

سوء فهم النصوص:

لقد دأب بعض الناس في مناسبة وفي غير مناسبة على الاتكاء على جدار الخوارق والمعجزات للتنفيس عن أنفسهم وعن غيرهم ظنًا منهم أن هذا العمل مطلوب في الإسلام لرفع المعنويات وإيقاظ الهمم وطرد اليأس والقنوط، وذلك اعتمادًا على استنتاجات ناقصة ونصوص ظنية الدلالة مثل قوله تعالى: *إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ*. **الحجر:٩**. من هذه الآية انطلق بعضهم إلى الجزم بأن الله أعطى اللغة العربية ضمانًا واضحًا لصك الخلود! مع العلم أن هناك احتمالاً آخر لمعنى الآية، فالضمير المتصل (لَهُ لَحَافِظُونَ) يمكن أن يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم(٢٧) ثم إننا لو جزمنا بأنه يرجع إلى الذكر الحكيم، وهو أقرب الاحتمالات إذ بعد خمسة عشر قرنًا من الزمن، لم يطرأ على القرآن تحريف أو تبديل، لكن هذا لا ينسحب على اللغة العربية، لأن الحفظ موجه إلى الكتاب وهو جزء من اللغة وليس اللغة كلها التي هي كائن حي كأي لغة أخرى سبق أن نزل فيها وحي من الله من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

البون الذي يفصل بين العاميات الإنجليزية واللغة القياسية سواء في أمريكا أم في المملكة المتحدة، أقل بكثير من مثيله بين العاميات العربية واللغة الفصحى

فالاتكاء على الخوارق والمعجزات نتيجة للعجز أو التقاعس، قد لا يكون عملاً مطلوباً في الإسلام دين العقل والمنطق والواقع، لأن عملاً كهذا، إذا سُوّغ في ظروف استثنائية، فقد يؤدي إلى تسويغ أعمال أخرى في ظروف أكثر استثناء، وهذا بدوره قد يقود الأمة كلها إلى متاهات أخرى.

قبل عشرين عامًا، كنت أعدّ نفسي - وما زلت - مرتبطًا باللغة العربية أكثر من أي لغة أخرى في العالم، كما كنت أعتقد أن مستقبلي ومستقبل كل مسلم فيها وليس في غيرها، وأن المسألة مسألة وقت فقط، حتى يعود الجحدة والعققة إلى رشدهم ويقبلوا ويتوبوا إلى المولى عز وجل الذي لا يخلف وعده، وقد قال في آية صريحة بأنه سيحافظ على الذكر ومعه طبعًا لغته العربية، فهذا الشعور لم يكن غريبًا عن شباب مثلي تربوا في عائلات مسلمة وضعت كل رهانها على هذا الدين ولغته وحضارته العظيمتين.

لكن بعد عشرين عامًا من الزمن وبعد دراسة وتجربة، تعمق فهمي للدين نسبيًا، وزادت معرفتي لمن حولي، وزاد إيماني بمدى ارتباط الإسلام بالعقل والمنطق، وأنه لا مبدل لسنة الله في الكون، وأن هذا القانون يسري في كل شيء بما فيه اللغة العربية. فأي تعارض إذن بين الإسلام وهذه القوانين، يجب الرجوع إلى فهمنا للدين فسوف نجد الخلل فيه وليس في الدين في حقيقته ولا في القوانين الكونية، هكذا تعدل موقفي وهدأت حماستي فوجدتني أرى أن المستقبل ليس كما كنت أراه، بل هو نتيجة ما ينحته كياني في جدار القدر.

كنت محظوظًا في أنني تخصصت في هذه الثقافة التي هجرها كثيرون بدعوى أنها لم تعد تساير العصر، من دون أن يعطونا حجة تستند إليها، شأنهم شأن أولئك الذين يريدوننا أن نتمسك بكل شيء باسم الدين دون أن يكون رأيهم مقنعًا، فهذان الفريقان في رأيي يفعلان اليوم في المجتمعات الإسلامية ما لا تفعله النار في الهشيم، وأن المعركة الحقيقية هي التي تدور بينهما وبين المثقف المعتدل المقبل على العولمة المفروضة عليه وهو لا يملك لها ردًا، فكل مايملكه هو أن يستعد لها خير استعداد حتى لا تفاجئه وتطأه بمنسمها.

تناقض الاتكالية:

فمسألة اللجوء إلى الدين كلما تعلق الأمر باللغة العربية مسألة معروفة في أوساط المثقفين وغير المثقفين، وفي التيارات الدينية والقومية وغيرها، وهنا وقعوا جميعًا في تناقض صريح، فبعضهم لا يرى الفصل بين الدين والمسائل المتشابكة في الحياة، لكنهم عندما يتعلق الأمر باللغة، لا يرون غضاضة - ولو مؤقتًا - في معانقة الدين ناسين المسائل الأخرى ذات الصلات المباشرة بالحياة. وكأن الإسلام هو المسوّغ الوحيد لوجود اللغة العربية، وهذا ما يرفضه بعضهم في المسائل الأخرى، خاصة السياسية مثل المواطنة على سبيل المثال.

إن ما أدى إلى هذا التناقض الصارخ هو وعيهم جميعًا بأن اللغة العربية لم تجد إلى الآن دعمًا ماديًا يعينها على الاستمرار إلا الإسلام، وهو كما ترى غير طبيعي في عصر يتسم بالنزعات القومية والمادية، لا يمكن حصرها أو السيطرة عليها، إذ باستثناء حفنة من المستشرقين ورجال المخابرات الغربيين، لن تجد من يقبل على دراسة العربية دراسة جدية وعميقة، إلا العرب والمسلمين، وهنا تكمن المأساة، إذ إن أغلب هؤلاء الدارسين المسلمين غير العرب بصفة خاصة، لا تعمل بلدانهم باللغة العربية، ولا توجد فيها مؤسسات عربية قادرة على استيعابهم(٢٨) ولن يجدوا عملاً بطبيعة الحال في الدول العربية، ويبقى الحلّ الوحيد لديهم هو المسجد الذي قد يكون غير محتاج إليهم؛ لأن الخبرة المحلية من إمامة وكتاتيب، قد تكون كافية خاصة في منطقة لا تدفع المقابل المادي إلى أئمتها، مما جعل كثيرًا من هؤلاء الأئمة يلجؤون للحصول على المقابل إلى الطرائق الملتوية، منها بيع آيات القرآن الكريم (حروز) أو المعالجات الخرقاء باسم «البركة» وغيرها من الدجليات والتلاعب بالعقل والمنطق، كل هذه الأساليب في الواقع، إن سوغها بعض الناس تحت غطاء الثقافة الاجتماعية و«السيكلوجية» الدينية(٢٩) فهي تُضرّ بالإسلام وباللغة العربية، لأنها لا تربطهما فقط بعقلية تم تجاوزها Archaique، وإنما

خطوط دفاع الثقافة العربية، توجد في إفريقية وليس في غيرها، لأن الثقافات المحيطة بالوطن العربي تتميز بخصائص لا يمكن اختراقها بسهولة

بعقلية خرقاء منفرة، ويكفي أن نتصورها في مجتمع متعدد الديانات: المسيحية والإسلام كما هي الحال في أغلب المجتمعات الإفريقية، هل من المعقول أن ننظر إلى بني وطننا من المسيحيين وهم يدرسون في أرقى المدارس، ويتخرجون في أعظم الجامعات، ويتقلدون أعلى المناصب، في البلاد وخارجها، بينما نجلس متفرجين أو نلجأ إلى أعمال خرقاء باسم الدين أو الثقافة الاجتماعية؟ أليس هذا العمل في حد ذاته يقدم للطرف الآخر دعاية مجانية؟ فالاتكالية الدينية في بعض الأحيان قاصرة حتى عن فهم الدين نفسه، دع عنك العولمة.

العولمة، بوصفها تطوراً طبيعياً للنظام الرأسمالي الغربي المفروض على بقية الشعوب، لا تناسب أحداً، لكن هذا لا يمنع أن تكون هناك شعوب أكثر استعداداً للتأثر بها من غيرها

فكثيراً ما ينظر إلى الشخص حسب انتمائه الجغرافي أو العرقي، وليس حسب مقدرته وكفاءته، يمكن أن تلاحظ ذلك في كثير من المؤسسات العربية ذات الصبغة الثقافية أو الدينية، أو ذات العلاقة باللغة العربية عموماً، فتوظيف شخص ذي أصول عربية أسرع من غيره، لقد تعرض صاحب هذه السطور مع الأسف لهذه التجربة في عدة مناسبات، بينما نجد اللغات الغربية التي كان من المفروض أن تكون أكثر التصاقاً بالعرق والجهة، نجدها على العكس أقل التصاقاً بهما اليوم، موازنة بالعربية التي كان من المفروض أن تتجاوزهما، فأنت إذا كنت متخصصاً في الآداب الإنجليزية أو الفرنسية وأنت عربي، لا ينظر إليك على أنك عربي، لأنهم يعرفون جيداً أن هذه اللغات منذ أن تم تقعيدها بقواعد، تجاوزت حدود العرق والجهة، فالقيمة الوحيدة التي ينظر إليها هي المعرفة والقدرة على التواصل مع الآخر.

أليس من حق اللغة العربية أن تعامل بعدالة مع اللغات الأخرى حتى تكون حظوظها وافرة في هذا الخضم اللغوي؟ فكيف نعامل حذاقها بالحيف في الوقت الذي نريدهم فيه أن يقبلوا عليها؟ ألا يكون هذا التصرف مدعاة للتنفير منها؟

لست هنا ضد ربط اللغة العربية بالدين الإسلامي فهو أجلى من أن ينفى، كما أنني لا أقلل تأثيراته فهي عظيمة في كثير من الميادين، خاصة في ميدان العقيدة والشريعة، وإنما أردت أن يكون هذا الربط صادقاً وواعياً، ونابعاً قبل كل شيء من إيماننا بهذا الدين، وليس مجرد نزعات عرقية أو قومية نتخبط فيها خبط عشواء، متناقضين مع أنفسنا ومع غيرنا، فعندما تكون هناك مصلحة مادية أو معنوية، ننسى الدين والأخوة الدينية، رغبة في استئثار بها من دون الناس جميعاً، وعندما تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، نلجأ إلى الدين لنربطه بأوضاعنا الثقافية، بل بكل أوضاعنا حتى تلك التي لا علاقة له بها(٣٠). فهذا الموقف المتناقض انعكس سلبياً على وضعنا اللغوي فخبت الحماسة في قلوب الشباب، إذ وازنوا بين المتمسكين باللغة العربية وثقافتها والمتمسكين باللغات الغربية، فكان الفرق هائلاً، وقد نتج من هذه الموازنة موقفان: موقف مؤسف، ولكنه صريح، إذ يتمثل في رفض اللغة العربية رفضاً مبالغاً فيه ينم على خلفية عقدية (أيديولوجية) تكره كل ما يمت إلى اللغة العربية بصلة بعيدة أم قريبة، نجد هذا الموقف غالباً عند بعض الفرنكفونيين، وموقف ثان لا يقل خطورة عن الأول، لكنه يداهن بذكاء وخبث كبيرين، في الظاهر يحب العربية وفي الباطن يسخر منها ويتآمر عليها(٣١)، وبين هذين الفريقين فريق ثالث ليس بذي نفع ولا بذي خطر فهو هامشي لا يكاد يذكر.

تجربة تستحق الاهتمام:

ما دمنا نتكلم عن الصدق في ربط اللغة بالدين ربطاً واعياً، فأرى أنه من الضروري أن أذكر تجربة معاصرة وفريدة من نوعها، تكاد تكون معجزة إن جاز لي استعمال هذه الكلمة، فقد ذكرها الأستاذ ربحي كمال في كتابه القيم: «دروس في اللغة العبرية»(٣٢) هي تجربة

اليعيزر بن يهودا المهاجر اليهودي الليتواني الذي هاجر إلى القدس عام ١٨٨١م. لكن لماذا تجربة اليعيزر بن يهودا بالذات وليس غيرها؟

تجربة اليعيزر لأسباب متعددة: منها أنها ناجحة حسب الخطة التي وضعت لأجلها، ولو كانت خائبة لما ذكرها أحد، ثم إن اليهودية، على الرغم من عدائها أو عداء بعض معتنقيها للإسلام، فهي شبيهة به في نواحٍ كثيرة، منها: العقيدة التوحيدية والتطور التاريخي، أي إحلال الأمة الدينية مكان الأمة العرقية، ربط اللغة بالدين ربطًا نهائيًا، مكانة التوراة العبرية في حياة اليهود شبيهة بمكانة القرآن الكريم في حياة المسلمين، فلولا التوراة العبرية لضاع اليهود في خضم الأمم، كذلك لولا القرآن لضاع المسلمون واللغة العربية في العصور الحالكة، خاصة في فترة الاستعمار، وأهم من ذلك كله هو أن اليهود أنفسهم يعترفون بأيادي الإسلام البيضاء عليهم، فلولاه لضاعوا أو قضي عليهم ثقافيًا ودينيًا، خاصة في العصور الوسطى في الأندلس(٣٣)، وأنهم لم ينعموا بالحرية والراحة خلال تاريخهم الطويل إلا في ظل الدولة الإسلامية في الأندلس(٣٤).

أخيرًا الشبه الموجود بين العربية والعبرية لكونهما أختين شقيقتين، ولما عانته كل واحدة منهما في حياتها، بقيت العبرية قابعة في المعابد ومجالس الأحبار بعيدة عن الحياة النابضة قرابة ألفي عام، إلى إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨م. ثم انطلقت، أما العربية، فعلى الرغم من حيويتها فهي مبعدة عن الحياة العملية، وأضحى من يتكلم بها في الشارع، ينظر إليه نظرة تحمل معاني شتى، بل وصل الأمر بأحد الفنانين الناجحين إلى السخرية منها في أنجح مسرحية في الوطن العربي (الواد سيد الشغال)، لا أحد استنكر أو أبدى ملاحظة عابرة، فلو صدرت هذه السخرية من الأجانب، لقامت الدنيا ولم تقعد، أما مادامت صادرة من أحدنا، فلا بأس!!

لنرجع إلى الموضوع الأساسي وهو تجربة اليعيزر بن يهودا، يقول ربحي كمال: «إن الحركة الصهيونية نشأت في روسيا لم تكن مقصورة على الدعوة إلى الهجرة إلى فلسطين وتأسيس المستعمرات فيها فحسب، بل كانت ترمي، بالإضافة إلى ذلك، إلى إحياء الثقافة اليهودية واللغة العبرية (...) وفي عام ١٨٨١م هاجر اليعيزر بن يهودا مع زوجته إلى فلسطين وأقام في القدس، وظل مدة أربعين عامًا يناضل باستمرار من أجل إحياء اللغة العبرية وجعلها لغة المخاطبة والمحادثة (...) فرض على نفسه وعلى زوجته وأولاده التحدث بالعبرية، فأشار عليه أصدقاؤه بالعدول عن هذا الجنون، وألا يكون سببًا في إتعاس ولده الذي لن يستطيع الاشتراك مع لداته.

ظل ميدان اللغة منذ فجر التاريخ ساحة صراع بين الأمم، من أجلها قدم الإنسان أغلى ما يملكه ألا وهو النفس، ومن أجلها كتب لبعض الأمم البقاء على بساطتها وإمكاناتها المتواضعة، بينما اندثرت أمم وصلت من الحضارة إلى ذروتها

أسس في القدس رابطة المتكلمين باللغة العبرية ونشرها بين ظهراني النشء اليهودي، وكان بيته محجًا للشباب المثقف، إلا أنه لقي صعوبات جمة منها موقف الحاخامات اليهود منه الذين كانوا يعدّون اللغة العبرية مقدسة لا يليق التحدث بها في الشارع، لكنه رفض ذلك، فوشوا به لدى السلطات العثمانية بأنه ثائر فاعتقل، فلما توفيت زوجته، رفضوا دفنها في مقبرة اليهود بجبل الزيتون في القدس. أما المشروع الكبير الذي أنجزه اليعيزر بن يهودا فهو تأليف قاموس اللغة العبرية القديمة والجديدة، قد ثبت له بعد الاستقراء أن مفردات اللغة العبرية في ذلك الحين لم تكن تصلح إلا للتخاطب في شؤون نظرية وروحية مجردة، لكنها غير كافية (...) وانكب دون كلل ولا ملل ينقب عن كنوز اللغة العبرية في كتب الأقدمين: في العهد القديم والتلمود واللغات السامية، وقد ثابر أربعين عامًا على إصدار المعجم

العبري الكبير، وأعد منه تسعة مجلدات في حياته، ويصدر المعجم العبري الكبير الآن في ستة عشر مجلداً مدققة ومنقحة من قبل المحققين واللغويين(٣٥).

هذه التجربة جديرة بالاهتمام؛ لأنها ـ كما قلنا سابقًا ـ ناجحة، ومن يزر الكيان الصهيوني، ير ذلك بأم عينه، حيث يتكلم الناس ذوو الأصول المختلفة والأعراق المتباينة والثقافات المتنوعة باللغة العبرية التي قربتهم بعضهم إلى بعض، وجعلت منهم أمة واحدة، ولو مؤقتًا، هذا ماكان يسعى إليه اليعيزر بن يهودا إذ قال حكمته المشهورة التي يعرفها المثقف الإسلامي والأمي معًا: «لا حياة لأمة لا لغة لها، ولا لغة لأمة لا تستعملها في حياتها اليومية»(٣٦).

الخاتمة والمقترحات

ظل ميدان اللغة منذ فجر التاريخ ساحة صراع بين الأمم. من أجلها قدم الإنسان أغلى وأنفس ما يملكه ألا وهو النفس، ومن أجلها كتب لبعض الأمم البقاء على بساطتها وإمكاناتها المتواضعة. بينما اندثرت أمم وصلت من الحضارة إلى ذروتها، ومن العلم إلى غايته. فطبيعة الأمم بالأمس، لا تختلف كثيراً عن طبيعتها اليوم، لذلك فهي اليوم تتصارع صراعًا حادا في ميدانها كما كان الوضع دائمًا، وكما يبدو في المستقبل المنظور، إذ تنفق من أجلها ميزانيات خيالية تفوق كل التصورات. فهي إذ تقوم بهذا العمل لأنها تعرف جيداً أن النصر لا يكتب لأمة من أجل تفوقها العسكري، وإنما لأجل تفوقها الثقافي الذي لا يخفى على أحد أن اللغة جوهره إذا كان له جوهر.

العولمة آتية لا ريب في ذلك، وهذا ليس من باب القدرية التاريخية، وإنما من باب الواقعية التاريخية نفسها، وهي ـ كما قلنا سابقًا ـ استمرار لتطور الرأسمالية الغربية التي استعارت من المسيحية بعدها التبشيري الرؤيوي، مع العلم أن للغة العربية أيضًا البعد نفسه، فهو عامل مهم، ولكنه ليس حاسمًا في هذه المعركة لأن العولمة دنيوية غير دينية Secular إلى حد كبير، ثم إن هذا العامل نفسه، ليس لمصلحتنا تمامًا، فعدد الذين

المراجع والهوامش

1 - Russell G. Schuh. Hundreds of African Languages Face Extinction. University of California Los - Angels. Departement of Linguistics. 1999.
تتحدث هذه الدراسة عن اللغات المعرضة للانقراض في العالم وهي ستة آلاف لغة ولهجة، في القارة الإفريقية وحدها سبعمئة لغة ولهجة، في القديم كانت اللغات تنقرض، وليس في ذلك أي غرابة، لكن هذه المرة، كانت العملية أسرع مما كانت عليه في السابق، حين كانت تأخذ عشرات السنين، بل مئات السنين في بعض الأحيان، مع العلم أن أهم أسباب هذه الكارثة هي العولمة.

2 - Jacques Dupuis Toward a Christian Theology of Religious Pluralism Pluralism. New York. ORBIS, 1977 pp. 25 - 56.

٣ـ هذه الرواية مسيحية أعتمدناها لتكون منسجمة مع مصادرهم الموثوقة، وهي بطبيعة الحال مخطئة في الإسلام، لأن المسيح عليه السلام مثله مثل الرسل عليهم السلام من قبله، بعثه الله إلى قومه بكتاب الوحي إليه من الله جل وعلا وهذا الكتاب هو الإنجيل قال تعالى: وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ. المائدة:٤٦.

4 - Understanding the Bible: The old and the New Testament. Cambridge University Press, London, Cambridge. 1966.

5- Marie Vidal. Un Juif nomme Jesus: une lecture de l'evangile a la lumiere de Torah. Albin Michel. 1996.
هذه الكاتبة يهودية أرادت أن توصل المسيح داخل الفكر اليهودي وأنه لم يكن شاذا عنه، بل إن دخول غير اليهود في فكره هو الذي شوش تعاليمه التي لم تكن شاذة عن تعاليم الأحبار، فهي بعملها هذا لم تسئ إلى المسيحيين فحسب عندما عدتهم «جهلة»، ومن ثم عليهم أن يقرؤوا كتابهم في ضوء التوراة، بل أساءت إلى المسلمين كذلك، إذ هم يرون المسيح مجرد حبر من الأحبار، وإنما هو رسول من الله.

6 - C-D.Darlington. The Evolution of Man and Society. George Allen and Unuin London. 1963.pp.327 - 357.

7- Ibid. PP. 327 - 357.

8- David Lendos Richesse et Pauvrete des nations. Tr. Par Jean Francois Sonnet. Paris. Albin Michel. 2000/cf Ziauddin Sardar. Post - modernism and the Other: the New Imperialism of Western Culture, London - Chicago, Pluto Press. 1998.

9- Ibid. PP. 24 - 67.

10 - Walter Rodny. How Europe Underdeveloped Africa. Washington. 1974 - PP.45 - 47.

١١ـ تاريخ اللغات السامية، إسرائيل فولفنسون، دار المعارف القاهرة، ١٩٢٦م.

١٢ـ المصدر نفسه، ص ص ٢٦٠ ـ ٢٧٤، انظر كذلك نبيل علي في قدرة اللغة العربية المعلوماتية وكفاءتها في عصر المعلومات «العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في دولة الكويت عدد:١٨٤، أبريل/نيسان ١٩٩٤م، ص ص ٣٤٧ ـ ٤٤٩.

١٣ـ المقدمة، عبدالرحمن بن خلدون، مكتبة ودار المدينة المنورة والدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج١، ص ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

14 - Mazrui Ali Amiun. The Secularization of an Afro - Islamic Language: Church and market place in the spread of kiswahili. Journal of Islamic Studies Oxford University press. vol. 1. 1990. pp.24-53.

15- Henri Sanson. Universalite du Christianisme et Universalite de l'islam Islamochristiana. Rome pisia: 1987. pp. 47-59.

16- Ibrahim Abul Lughod. Arab Rediscovery of Europe: Sudy in Cultural Encounters princeton university press. Prirceton. New Jersey. 1963. pp-. 9-60.

يدخلون في المسيحية في العالم أكبر من عدد الذين يدخلون في الإسلام، فالقارة الإفريقية على سبيل المثال إلى وقت قريب كانت الأغلبية فيها مسلمة، أما اليوم فقد رجحت كفة المسيحية خاصة بعد أن بدأت تأخذ مواقع لها في المناطق الإسلامية التقليدية مثل شمال إفريقية وغربها(٣٧). فأمامنا إذن خيارات قليلة وكلها تتطلب مزيداً من المجهود العملي والفكري، وعلى رأسه الانقطاع نهائيًا عن التعريب قطرة قطرة، فهو مضيع للوقت، بالعكس علينا أن ننزل اللغة العربية في الميدان فوراً، من حظيرة البناء إلى المخبر، ومن المساجد إلى المعامل، ومن المهندس إلى العامل اليومي، مع جهد مستمر لإيجاد مصادر المعلومات ومراجعها، من ذرة إلى زبلة، ومن الموسيقى الشرقية إلى الموسيقى الأبوريجنيّة في أستراليا مروراً بالموسيقى الغربية والإفريقية.

كل ذلك لتكوين ثقافة إنسانية (أنثروبولوجية) تجعل من ثقافتنا جزءاً لا يتجزأ من ثقافة العالم، لا ثقافة الملائكة، يتخصص فيها المستشرقون هواة الغرائب والطرائف. وهو عكس ما نراه اليوم في جل الفضائيات العربية التي تفتقر إلى العنصر العالمي، لذلك لا يشاهدها إلا العرب أو من يحنون إلى الشرق البريء. وهذا ما جعل الشباب وكثيراً من المثقفين الذين يبحثون عن التنوع الثقافي يتوجهون إلى القنوات الأجنبية أو القنوات الخاصة، وأخيراً علينا أن نرجع الأمل إلى دارسي العربية لأن أهم حافز للناس هو رغبتهم في تحقيق آمالهم وأحلامهم، لا الحماسة القومية والدينية، وإن كانتا داخل القضية.

فاللغة الإنجليزية التي يتفاخر بها شباب اليوم، هم في الواقع لا يحبونها ولا يحبون الأنجلو - سكسونيين، وإنما يحبون تحقيق أحلامهم المجسدة إن صواباً أو خطأ - في اللغة الإنجليزية وتوابعها أي إنه في كلمة واحدة «النجاح» Success لا شيء غيره، وهو خلاصة فكر (أيديولوجيا) العولمة: أليست جديرة بهذه المشقة، وهذه المعاناة الجاثمة على صدر كل واحد منا، حيث لا يمكن إسقاطها بمجرد انتفاضة؟!

17- Omar Assous. Arabization and Cultural conflict in Algeria, North Eastern University, Boston Massachussett, 1985, pp. 44-56.

18- Mazrui Ali Aminu. Opcit' pp. 24-56.

١٩ـ الحرف العربي واللغات الإفريقية، يوسف الخليفة أبو بكر، تونس ألكسو، ١٩٩٢م، ص ص. ١١ ـ ٣٧.

20 - Amadou Hampate Ba. Aspects de la Civilisation africaine, Paris Presence, 1972. PP. 28 - 34.

من مداعبات أحمد حمباتي با اللطيفة والساخرة في آن معا، أنه عندما اقترح عليهم في اليونسكو ضرورة إنقاذ الثقافة الإفريقية، ضحك الحاضرون من الأوربيين قائلين: «إنهم أول مرة يسمعون شيئًا اسمه «الثقافة الإفريقية»، فرد عليهم قائلاً: «لو لم تكن وراءها إلا هذه الضحكات البادية على وجوهكم، فالفائدة عظيمة للغاية، لأنكم محرومون من الضحك البريء في ثقافتكم الأوربية».

٢١ـ مجلة الفيصل السعودية، عدد ٢١٨ كانون الثاني/يناير ١٩٩٥م، ملف كامل عن اللغة العربية بأقلام ثلة من العلماء والباحثين.

٢٢ـ تلوث اللسان العربي، قطب الريسوني، المرجع نفسه، ص ص ٣٩ ـ ٤٥.

23 - Lamin Sanneh. Translating the Message: The Impact of Missionary on Culture. New York. ORBIS. 1993.

٢٤ـ اللغة العربية بين العامية والفصحى، مرزوق بن تنباك ، مجلة الفيصل، سبق ذكرها، ص ص ٢٦ ـ ٣١.

٢٥ـ مدخل لقضايا المسلمين في غرب إفريقيا: دراسة في الإنسان والمجتمع، عبدالله صالح سانا، القارئ العربي للتوثيق والأعلام والنشر، القاهرة ب. ت. يصف الأستاذ عبدالله ظروف الطلبة الأفارقة، وهو واحد منهم، في جامعة الأزهر الشريف، هذا الكتاب مهم جداً لمن يريد أن يطلع على موقف بعض المثقفين غير العرب من اللغة العربية الذين أفنوا أعمارهم في دراستها فهو موقف جدير بالدراسة لما يتسم به من تعبير تلقائي حر بعيد عن المجاملات التمجيدية.

26 - Kaplan Robert B.Language Planing. L T D Clerendon Pheladelphia. 1997.P.123.

٢٧ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الجيل، بيروت، ب ت ج٢ ص ص ٥٣٠ ـ ٥٣٥.

28 - Bour John. 2000 Years of Christianity African History; 1962 - 1992 Nairobi Paulines ,1994 PP.256 - 367.

29- Nicolas Guy Dynamique de L'Islam au Sud de Sahara, France POF,1981.PP.83 - 135.

30- Monteil Vincent L'Islam Noir, Paris, Seuil 1980.

31- Omar Assous Opcit PP. 40 - 62.

32- Ibid. PP. 84 - 86.

٣٣ـ دروس في اللغة العبرية، ربحي كمال، مطبعة محمد الهاشم الكبتي، دمشق ١٩٧١م، ط٥، ص ص ٦٠ ـ ٦٣.

٣٤ـ المصدر نفسه، ص ص ٥٥ ـ ٦٩.

٣٥ـ المصدر نفسه والصفحات نفسها.

36 - Steven J.Zipperstein. Elusive Prophet ahad ha. am and the Origins of zionism university of California Press Berkly Los Angels 1993.

(أحد هعم) كان زعيم الصهيونية الثقافية، بينما كان (هيرتزل) زعيم الصهيونية السياسية كان (أحد هعم) يؤثر في أتباعه أكثر من (هيرتزل) وهاجر إلى فلسطين حيث توفي فيها عكس هيرتزل.

37 - John Bauer. Opcit. PP 526 - 527.

مياه أقل، صراع أكثر، حرب الذهب الأزرق

ترجمة: سهام شاهين
دمشق - سورية

زيادة في الاستهلاك، سقاية غير مضبوطة.. العالم تنقصه المياه، وهذا النقص يمكن أن يكون في صميم صراعات القرن الحادي والعشرين كما تشير إلى ذلك دراسة حول المناخ.

أربعون عاماً بدءاً من عام ١٣٨٠، ستون عاماً بدءاً من عام ١٥٦٠م، ثمانون عامًا بدءاً من عام ١٧٦٠م عرفت من خلالها منطقة بحيرة نيفاشا Nivasha في كينيا عبر القرون الماضية جفافًا مأساويًا فاق بشدته تمامًا الأحداث الرهيبة لسنوات ١٩٣٠م التي ألمت بالولايات المتحدة أو سنوات ١٩٧٠م لمنطقة الساحل Sahel في إفريقية حسب تعليق ديريك فيرشورن Dirk Verschuren.

وديريك فيرشورن هو عالم أحياء في جامعة غاند Gand في بلجيكا قام مع كاثلين ليرد Cathleen Laird وبريان كومينغ Brain Cumming بدراسة مناخية لهذا الموقع في كينيا، وللحصول على معلومات دقيقة حول تغيرات معدلات الهطل في المنطقة تفحص الباحثون الثلاثة رواسب عمق بحيرة نيفاشا والرواسب القابعة في أعماق البحيرة، وهكذا عادوا بالزمن ١١٠٠ عام إلى الوراء، وهذا العمل له أهميته المناخية، فضلاً عن أهميته الجغرافية السياسية. ويشرح ديريك فيرشورن أن «الصراعات الاجتماعية، والمجاعات والحروب العرقية، والهجرات الشعبية التي عاشتها المنطقة تركزت حول الفترات الثلاث الكبرى من الجفاف المذكور أعلاه».

أحداث تحددها الذاكرة الشعبية كما يأتي: جفاف وامارا Wamara ١٣٩٠ - ١٤٢٠م، وجفاف نيارو بانغا Nyarobanga ١٥٦٠ - ١٦٢٥م، وجفاف لابانارا مهلاتول Lapanarat - Mahlatule ١٧٦٠ - ١٨٤٠م».

وعرف التاريخ كذلك عدة أمثلة عن حضارات كان مصيرها رهنًا بنضوب الماء، فمثلاً الجفاف الذي حدث منذ ٤٢٠٠ عام، وأصاب مدة ثلاثة قرون الشرق الأوسط وضع نهاية حضارة من أهم الحضارات الكبرى الأولى للإنسانية، وهي حضارة الأكاديين في بلاد الرافدين. وقد أسهم نقص المياه في تسريع سقوط ثقافات ما قبل الآنكا في أمريكا الجنوبية، ومملكة سبأ في اليمن؛ إذ سقطت سبأ بعد انهيار سد مأرب في القرن الأول قبل الميلاد.

ويتابع آرون ولف Aaron Wolf؛ وهو جغرافي في



مصر وحرص شديد على حصتها من مياه النيل

جامعة آلاباما في الولايات المتحدة، «أن الحالة الأكثر توثيقًا هي حالة الصراع المسلح الذي واجه المدن السومرية في لكش Lagash وأوما Umma بسبب مياه نهر دجلة عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد».

ليس الجفاف هو السبب الوحيد لزوال الحضارات القديمة، فنظام السقاية أيضًا أضعف بعض الحضارات، وأدى في الواقع إلى عدد من المشكلات، كالتوحل، ونضوب المياه في الطبقات المائية الجوفية، وتملح الأراضي. وتؤكد الأمريكية ساندرا بوستيل Sandra Postel ـ من المشروع العالمي للسياسة المائية ـ أن «هذه الكارثة أدت دوراً مهمًا في سقوط مجتمعات بلاد الرافدين، وأن الحضارات التي اعتمدت اعتماداً كبيراً على نظام السقاية قد انهارت».

وأول من أطلق فكرة «سلطة المياه» هذه هو المؤرخ الماركسي كارل ويتفوجيل Karl Wittfogil خلال السنوات ١٩٤٠ ـ ١٩٥٠م، الذي أعد نظرية مضمونها أن سيطرة الإمبراطور الصيني على مصادر المياه بفضل نظام السقاية كانت إحدى الوسائل، إن لم تكن الوسيلة الوحيدة لاستبعاد الشعب، مستنتجاً أن «المجتمعات المائية» قد ألهمت الاشتراكية الحديثة إلهاماً يتلخص في كلمتين: «مركزية السلطة».

وبعيداً عن النظريات الماركسية فإن دراسة عالم الأحياء ديريك فيرشورن تفحصت أعمال ويتفوجيل، وحددت ضرورة القرارات السياسية لإدارة دائمة للمياه: «مع الأخذ في الحسبان تسجيل كمية المياه الهاطلة الإقليمية، هناك احتمال كبير أن يصيب إفريقية الاستوائية جفاف عنيف في السنوات الخمس القادمة، ويمكن أن تكون نتائجه مرعبة أكثر من نتائج ازدياد عدد السكان المحليين خلال ربع قرن إلى الضعف».

وليست إفريقية وحدها المعنية بالأمر، فبعض المتخصصين مثل هانزفان هينكل Hans Van Hinkel رئيسة الأمم المتحدة ترى أن النزاعات المسلحة المتعلقة

بالمياه سواء الإقليمية أو الدولية تهدد بأن تشغل حيزاً كبيراً من أحداث القرن الحادي والعشرين. والمعطيات المأخوذة عن التقرير «رؤية حول مياه العالم»، والتي أعلنت في المؤتمر العالمي الثاني للمياه، وهي معطيات تنذر بالخطر، لأن خمس سكان الكرة الأرضية لا يحصلون على مياه صالحة للشرب، والنصف لا يملك الأسس المتعلقة بالمياه الصحية، ويموت ما بين ٣ و٤ ملايين شخص سنوياً بسبب أمراض تتعلق بالمياه غير الصالحة للشرب، منهم مليونا طفل يموتون بسبب الإسهال.

إن نقص المياه هو السبب في ٨٠٪ من الأمراض في العالم الثالث، ولسوف يزداد الوضع سوءاً، فقد ازداد سكان الأرض ثلاثة أمثال خلال قرن من الزمن بينما ازداد استهلاك المياه ستة أمثال.

فضلاً عن ذلك تستنتج ساندرا بوستيل أن «خمس الأراضي المروية ضحية للتملح، ويتركز قوت مجتمعنا اليوم في زراعات يتعلق ٤٠٪ منها بالري». وفي الهند يقدر علماء الهيدرولوجيا أن كمية المياه الجوفية التي يتم استهلاكها تفوق مرتين كمية الهطل التي تعوضها، وعلى هذا المعدل فإن نضوبها يؤدي إلى خسارة ٢٥٪



التلوث يزيد من أزمة المياه

من المحاصيل الزراعية، وهذا رقم مخيف جداً لبلد يزداد ١٨ مليون نسمة كل سنة.

والطريف في الأمر أن مياه الشرب متوافرة عموماً، وتصل حتى ١٨٠٠م٣ للشخص الواحد بالسنة، ولكنها موزعة توزيعاً غير عادل، فمثلاً يحصل المصري على ٣٠م٣ بالسنة، بينما يحصل الإيرلندي على ٧٠٨٠٠م٣، ومشكلة «أزمة المياه» تتمركز في ثلاثين بلدا يملك كل منها أقل من ١٠٠٠م٣، وهي الحد الأدنى ومن دونه لا يتوافر أقل الاحتياجات الصحية البشرية حسب تقديرات الفاو.

ويأتي عاملان ليزيدا من خطورة هذا التفاوت، العامل الأول: الكثافة السكانية التي تفرض حراثة أراض تنقص إنتاجيتها شيئاً فشيئاً في مناطق تتطلب مقننات مائية مفرطة من الري، والعامل الثاني: هو الازدياد المتنامي لاستهلاك الفرد المرتبط بمستوى معيشة متنامٍ هو الآخر «الفروقات الملحوظة في استهلاك المياه في الحوض نفسه، والتي تعود إلى ارتباطات قسرية، منها على سبيل المثال اختلاف مستوى التطوير، تجعل المفاوضات حول تقاسم أحد مصادر المياه، والتي تعد قضية حاسمة في أمن بعض البلدان أكثر وعورة»، حسب تحليل فريدريك لاسير Fredric Lasser الباحث المساعد في مركز الدراسات الاستراتيجية والدبلوماسية في جامعة كيبيك مونتريال كندا.

وأكثر هذه النزاعات وضوحاً يقع في الشرق الأوسط في حوض نهر الأردن إذ يتفق المؤرخون على القول: إن إعلان حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧م له علاقة كبيرة بمسألة المياه. فسورية كانت قد خططت لإنشاء سدود على رافدين لنهر الأردن على مرتفعات الجولان، وقدرت إسرائيل بأن ذلك سيهدد تزودها بالمياه. واليوم أيضاً تشكل مياه نهر الأردن جزءاً متمماً من الصراع ما بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، ونجد ذلك في اتفاق المنطقة الذي كان من المفترض أن يوقع بين الطرفين خلال فبراير/ شباط ٢٠٠٠م، ويتابع فريدريك لاسير «مشكلة المياه تسمم العلاقات بين فلسطينيين وإسرائيليين في حياتهم اليومية: يدفعون ثمناً للمياه



موريتانيا والسنغال وصراع مستمر على المياه

الزراعية مثل ما يدفعون ثمناً لمياه الشرب، ولكن ذلك لا ينطبق على المستوطنين اليهود، بينما يصل عمق آبار فلسطين إلى ٧٠ متراً وسطياً وآبار اليهود إلى ٣٥٠ متراً».

ولتعقد الوضع الجغرافي فإن سورية والأردن يعتمدان أيضاً اعتماداً كبيراً على مياه نهر الأردن واليرموك رافده الرئيس الذي كانت كمية المياه المارة في هذا الرافد من خلال عام ١٩٩١م على حدود الأردن - سورية تصل إلى ١٤٨ مليون م٣ مقابل ٤١٠ ملايين م٣ عام ١٩٦٣م. وحتى البلدان الأكثر هدوءاً من الناحية السياسية لا تنجو من هذا النزاع المائي. فكندا والولايات المتحدة الأمريكية تتواجهان بانتظام حول التزود بمياه البحيرات الكبرى، وأنهار شمال البراري الكندية إلخ... وهناك طرفة ذات دلالة، ففي عام ١٩٩٥م أصدرت مقاطعة كولومبيا البريطانية قانوناً يمنع بيع المياه كي تحمي نفسها من ضغوط جارتها الولايات المتحدة التي تحرضها على تصدير المياه.

والنزاعات المائية هذه كثيرة ومتنوعة، ولكن فريدريك لاسير يعود فيقول: «الماء ليس العامل الوحيد في تطور النزاعات، فالنزاعات القديمة والأهداف السياسية والإستراتيجية إضافة إلى الخصومات الدولية تشارك جميعها في زيادة التوتر». أصبح الماء إذاً سلاح حرب، أو على الأقل، وسيلة ضغط سياسية وعسكرية كنهر الفرات الذي ينبع من تركيا، ويزود بمياهه سورية والعراق، فإذا أراد الأتراك أن يضمنوا تدفق الغزارة الدنيا أي ٥٠٠م٣ بالثانية، فإنهم يشترطون ألا تستقبل سورية المزيد من المقاتلين الأكراد على أراضيها.

ومع ذلك فالحلول لتخفيف الأزمات متوافرة، تمر عبر «السقاية الفعالة» لأن نصف ما هو مخصص للزراعة فقط يصل إلى الجذور، وعبر «تغيير السياسة المائية» إذ ورد في تقرير «رؤية حول مياه العالم» أن خدمات المياه مدعومة بشدة من قبل الحكومات لتغدو المياه غير ذات

قيمة ملموسة، والعالم الزراعي المغالي في محافظته يجهل التقنيات الناجعة فعليا في الحفاظ على المياه.

عندما يحدث فعلاً هذا التطور، يتوجب عندئذ إيجاد المال لتمويله؛ إذ يقدر البنك الدولي أن ما بين ٦٠٠ و٨٠٠ مليار دولار هو المبلغ اللازم لتلبية الاحتياجات الأساسية لتوزيع المياه وإعادة معالجتها، بينما تبلغ ٢٢٥ دولاراً حسب تقديرات خبراء هيئة الأمم المتحدة وما بين هذين الرقمين يقع دون شك الثمن الواجب دفعه لتجنب حرب المياه.

الماء حق إنساني

يُعَدّ الصليب الأخضر الدولي من ضمن المنظمات غير الحكومية التي أحيت الملتقى العالمي الثاني للمياه، وفي تقريرها عن المياه أجرت مجلة Science Al Avenir الفرنسية الصادرة في أبريل/نيسان ٢٠٠٠م لقاء مع المدير العام لهذه المنظمة برنارد شارييه Bernard Charrier:

ـ العلم والمستقبل: هل يكون الماء برأيكم عامل سلام أكثر منه عامل توتر؟

ـ شارييه: هذا هو مغزى عمل منظمتنا، السعي كي تقبل الدول أن تَعُدَّ الحصول على الماء حقًا من حقوق الإنسان، وأن تهتم هذه الدول أخيراً بالبلاد التي ينتهي إليها النهر، وباختصار أن يقتنعوا بمفهوم يصعب تقبله، وهو الحد من «سيادتهم القومية» على المياه، وتفويض سلطة دولية ذات إمكانات مالية حقيقية بالتنظيم المشترك، وهكذا يمكن أن يصبح الماء مصدر سلام.

ـ لم تقحم الهند والباكستان أبدًا تقسيم مياه الهندوس على الرغم من كل الحروب التي خاضها في الستينيات والسبعينيات أو المزايدات الحالية في التسلح النووي، هل لديكم مقال عن التآزر بين عدة بلدان؟

ـ الحصول على المياه مسألة حيوية جداً حتى إنها تفرض على الدول أن تتفاهم لا محال. ونجد مثالاً واضحًا وقريبًا منا ألا وهو نهر الراين Rhin، فألمانيا وفرنسا قد بدأتا منذ ٥٠ عامًا تعاونًا من أجل إصلاح النهر، أي إن ذلك حدث في زمن لم يكن التفاهم الألماني الفرنسي يتقدم من تلقاء ذاته. واليوم أصبح النهر في حالة صحية جيدة كان يفتقدها فيما مضى، ويمكننا الاعتقاد في أن تعاونًا كهذا قد ساهم في تقارب الشعبين. وبينما تنتظر الكرة الأرضية ٤ مليارات ساكن جديد في أقل من ٥٠ عامًا، فإن هناك حاجة ملحة إلى مضاعفة هذه الاتفاقات بأمر من العالم أجمع، وبهذا الشكل نتدارك النزاعات المستقبلية.

مصادر النزاع

٢٦٠ نهراً في العالم تجتاز بلدين أو أكثر، وفي معظم الحالات لا توجد معاهدة تفاهم حول حوض النهر بأكمله، وهنا مكمن عدد من النزاعات. تفقد الكرة الزرقاء بعض تسميتها، فإن كانت مغطاة في ثلثيها بالماء، فإن ٥ر٢٪ فقط من هذا الحجم العام ماء عذب وصالح للشرب، وهذا الرقم ينخفض إلى ٧٧ر٠، إذا حذفنا منه كمية الماء المحجوز في جليد القطبين والجبال، ويبقى ٨٢٠٠٠كم٣ من مياه الطبقات الجوفية والتربة والمستنقعات والأنهار والنباتات وحجم الماء الجاري الحر لا يزيد على ٤٠٠٠كم٣، وفي النهاية لا يبقى من ٥ر٢٪ من الماء العذب إلا ٠٠١ر٠٪ من الماء الذي يمكن أن تستفيد منه البشرية فعليًا.



تلوث المياه يضر بالأحياء المائية


مشروعات تركيا على نهري دجلة والفرات تقلق العراق وسورية

ـ كولومبيا: تتجابه الولايات المتحدة وكندا بصورة دائمة فيما يخص حوض نهر كولومبيا من ناحية التلوث والصيد وتوليد الكهرباء، إضافة إلى مواقع نزاع أخرى مثل النزاع حول نهر فرازر Frazer، والبحيرات الكبرى.

ـ ريوغراند وكولورادو: تلوم الولايات المتحدة المكسيك على تلويث نهر ريو غراند. والمكسيكيون يتهمون الأمريكيين بسحب الكثير من مياه الكولورادو حتى إن النهر اختفى عملياً من مصبه الواقع في المكسيك.

ـ سينيبا: أجج رسم الحدود الجديد بين الإكوادور والبيرو بعد النزاع المسلح عام ١٩٩٥م التوترات الناجمة عن السيطرة على نهر سينيبا ومصادره.

ـ غواديانا، دورو، تاج: مشروعات إقامة السدود على عالية النهر في إسبانيا، مرده النزاع خلال المفاوضات بينها وبين البرتغال.

ـ السنغال: نزاع بين موريتانيا والسنغال للسيطرة على منبع مياه النهر.

ـ النيل: ٩٥٪ من المياه الجارية في مصر تأتي من خارج البلاد وخاصة مياه النيل. وتضع مصر كامل ثقلها الدبلوماسي والعسكري في المنطقة كي لا يتغير تقسيم حصص المياه. ويبقى التوتر قائماً مع السودان وأثيوبيا وأيضاً مع أوغندا وتنزانيا وكينيا حيث منبع نهر النيل.

ـ مياه الطبقات الجوفية الصحراوية: يولد المشروع الليبي للنهر الكبير الاصطناعي والمستثمر مياه الطبقات الجوفية للصحراء نزاعاً مع الدول المجاورة التي تستفيد من هذه المياه كمصر وتشاد والنيجر والسودان.

ـ زامبيز: تعتزم جنوب إفريقية أن تتزود بالمياه مباشرة من زامبيز، ومن هنا مصدر التوترات مع زامبيا وزيمبابوي وبوتسوانا.

ـ شوب: أرادت بوتسوانا أن تحول مجرى نهر شوب نحو نهر فال لتغذية جنوب إفريقية فاعترضتها ناميبيا وأنغولا.

ـ نهر الأردن: تعترض كل من لبنان وسورية والأردن وإسرائيل والأراضي الفلسطينية على مسألة تقسيم مصادر المياه.

ـ نهرا الفرات ودجلة: يقلق المشروع التركي لبناء السدود على هذين النهرين البلدان المجاورة الدنيا التي يمر بها النهر وهي العراق وسورية، والصراع معلق بشكل واضح.

ـ سيرداريا: تنوي قرغيزيا الاستفادة من توليد الكهرباء الكامنة في أوديتها، وهذا ما تعارضه أوزباكستان وطاجاكستان وكازاخستان.

ـ الغانج: تحويل الغانج نحو كالكوتا، ومشروع نيبال وبهوتان لاستثمار المياه... إلخ تثير التوترات بين الهند وبنغلاديش.

ـ ميكونج: تعتزم تايلاند أن تحول جزءاً من هذا النهر، وتعتزم الصين ولاغوس بناء السدود عليه، مما يولد الخلافات مع كمبوديا أو فيتنام.

وادي كلانج: عدة مظاهرات من الاستياء جرت عقب انخفاض تدفق المياه.

المراجع

Vicent Gaullier
Science et Avenir Avril 2000
La guerre de l'or bleu p70 - 73.

رحلة «دجلة»
للبحّار النرويجي «ثور هايردال»

سمير عطا
الجيزة - مصر

الأربعاء ٢٩ مارس/ آذار ١٩٧٨م..

اتصل بي أحد ضباط الحركة البحريين من المصريين العاملين في ميناء «جيبوتي»، وأخبرني بوصول مركب البردي للبحار النرويجي ثور هايردال Thor Heyerdahl والذي كان أطلق عليه اسم «دجلة Tigris»، وكنت وقتها قائمًا بأعمال السفارة المصرية هناك.

شكرت للقبطان اتصاله إذ أتاح لي ذلك فرصة التوجه مباشرة إلى الميناء لأكون من أوائل من استقبلوا بحارة «دجلة»، وهنأت هايردال على سلامة الوصول بعد رحلته التي كان العالم يتحدث عنها وقتئذ، والتي بدأها من «شط العرب» بالعراق، ومنها إلى الخليج العربي متجهاً إلى شبه


بناء «دجلة»

القارة الهندية، ثم منها إلى ساحل إفريقية الشرقي، واستغرقت حتى الآن ما يقرب من خمسة أشهر بعد أن قطعت نحو ٦٠٠٠كم.

وفي المساء، وقبل التوجه إلى الفندق المتواضع الذي أقام به هايردال وبحارته بعد أن غادروا المركب، أذاع تلفاز جيبوتي في نشرة الأخبار بلغاتها الأربع (العربية والفرنسية والصومالية والعفرية) نبأ وصول المركب مع بعض مشاهد مصورة له ولبحارته ونبذة من مهمته.. وفي لقائي مع هايردال الذي ضم عدداً من الدبلوماسيين والمسؤولين دار الحديث عن الرحلة ودوافعها وما تم فيها، ثم تحول الحديث سريعًا إلى الوضع المتدهور في القرن الإفريقي، والحروب الدائرة فيه.. وقد لاحظت آنئذ، وفيما تلا ذلك من لقاءات، شيئًا في عين هايردال، ذلك البحار والمستكشف النرويجي الذي قام برحلات بحرية تاريخية دونت اسمه في سجل كبار البحارة والمستكشفين العالميين، ومن أهمها رحلات كون تيكي ورع١ ورع٢.. كان الألم يبدو على وجهه، والحديث يدور حول الصراعات القائمة، وسخطه على الدول التي تزود القائمين على هذه الحروب

بالأسلحة بما يساعد على زيادة هذه الحروب والنزاعات واستمرارها.. وعندما سئل هايردال عن المرحلة المقبلة من رحلته بعد جيبوتي أجاب ببسمة، لاحظ الموجودون أنها بسمة حزينة، أنه سيفكر في ذلك مع زملائه..

كان جواباً مقتضباً لكن أحداً لم يعقب عليه..

وفي مساء يوم الاثنين ٣ أبريل/نيسان أي بعد خمسة أيام من وصول المركب فوجئت بالتلفاز الجيبوتي يعلن أن هايردال قد أنهى هو وزملاؤه رحلتهم هنا في جيبوتي بمحض اختيارهم احتجاجاً على تلك الحروب القائمة في القرن الإفريقي، ولأن سلطات أريتريا (وكانت الحرب دائرة هناك بينها وبين أثيوبيا) لم تسمح لهم باستكمال الرحلة إلى مصوّع حسب ما كان مقرراً، ولأن سلطات اليمن لم تسمح لهم التوقف في مياهها لأسباب أمنية، وأنه بعد مقابلة مع الرئيس حسن جوليد رئيس جيبوتي في ذلك الوقت كتب رسالة إلى كورت فالدهايم الأمين العام للأمم المتحدة يبلغه هذا القرار، ويشكره على سماحه من قبل برفع علم الأمم المتحدة على المركب، إذ ينتسب بحارته الأحد عشر إلى جنسيات دولية مختلفة.

وبالفعل قام هايردال بإشعال النار في المركب في غفلة من أعين المراقبين ما عدا بحارته. وعندما ذهبنا في اليوم التالي ننظر بأعيننا تجاه جزيرة موشي الصغيرة على بعد ١٢ كم من العاصمة جيبوتي حيث كانت تقف «دجلة»، لم نر لها أثراً.. لقد غاصت في المياه، وأصبحت أثراً في كتاب الزمن.

وفي حديث تلفازي لهايردال قال: إنه يرى أن أهداف الرحلة، على الرغم من ذلك، قد تحققت، وهي الاقتناع بإمكانية الإنسان القديم استخدام مثل هذه القوارب من البردي في عبور البحار والمحيطات منذ آلاف السنين، وأنه كان قادراً على تبادل أسس الحضارات القائمة منذ أكثر من خمسة آلاف عام.. مع التركيز هذه المرة في إنسان العراق القديم.

لقد أضافت هذه الرحلة صفحة إلى صفحات الجهد الإنساني المتفرد للبحث عن الحقيقة مهما أحاط بالأمر من صعوبات وعقبات.



«دجلة» في طريق رحلتها عبر المحيط الهندي

وهايردال.. رجل كانت تستهويه دائمًا فكرة دراسة استخدام البحر طريقًا للمواصلات والاتصال بين شعوب العالم في الحضارات القديمة.. ولكي يضع أفكاره موضع التجربة والتنفيذ، فقد بدأ برحلة «كون تيكي» عام ١٩٤٧م من أمريكا الجنوبية عبر المحيط الهادي (الباسيفيكي) لإظهار أن نصف الكرة الغربي كان على صلات الحضارات البولينيزية. وفي عام ١٩٦٩م ابتنى قاربًا من البَردي بمواصفاته المصرية القديمة أسماه رع١ على اسم المعبود المصري القديم، وأبحر به من إفريقية غربًا عبر المحيط الأطلنطي، غير أنه اضطر لإيقاف رحلته بعد أن تفسخت حزم البرديّ لقاربه.. وبعد عام قام ببناء رع٢ وهو قارب أكثر تطورًا ودقة استطاع به القيام برحلته عبر الأطلنطي من ساحل المغرب إلى باربادوس بأمريكا الجنوبية.. مثبتًا إمكانية الإنسان القديم القيام بمثل هذه الرحلة وبمثل هذا القارب.

رحلة «دجلة»

وفي عام ١٩٧٢م - وكان هايردال في رحلة إلى العراق - لاحظ أن البدو في منطقة الأهوار يستخدمون الأعشاب من نبات الأسل والبردي في صنع قوارب لهم، بل وفي صنع بعض بيوتهم وأكواخهم التي يعيشون فيها، كما كان أسلافهم في هذه المنطقة.

وكان هايردال قد رأى في المتحف البريطاني قدرًا يعود تاريخه إلى ٣١٠٠ عام قبل الميلاد، منقوشًا عليه صورة قارب يرجع إلى الحضارة السومرية (إحدى حضارات ميسوبوتاميا - العراق القديم) يظهر فيه قمرات ومسطح تجديف، ويقترب شكلاً من النقوش التي سبق أن رآها شرق النيل، والتي ربما كانت ترجع إلى تاريخ أسبق من ذلك.. مما أقنعه أن المصريين القدماء كانوا على درجة من المهارة البحرية أكثر مما نتصور أو نعتقد.. وكانت أشرعة السفن المربعة هي الجدّة الأولى لما عرفه ملاحو «الفايكنج» ومن جاء بعدهم حتى أوائل القرن التاسع عشر.. وبملاحظة النقوش السومرية ومتابعتها تولد لديه شعور بأن السومريين المعاصرين للمصريين القدماء كانت لديهم هذه الموهبة.

وقد أدى نجاح رحلة «رع٢» إلى أن يواصل هايردال دراساته عن السومريين وحضارتهم التي ترجع إلى ٣٥٠٠عام ق.م. سواء في طريق البناء أو الإبحار، وعرف من دراساته أن السومريين القدماء كانوا على اتصال بحريّ مع أراضٍ غيّبها الماضي تعرف بأسماء: «ديلمون Dilmun» و«ماجان Magan» و«ملوحا Meluhha» إلى الجنوب من العراق، و«في اتجاه شروق الشمس».. وربما كانت هذه الصلات تتم بوساطة قوارب من مثل تلك التي رآها في المتحف البريطاني.

غير أن سجلات الأقدمين لم تخلف وراءها ما يمكن أن نعرف منه طرق الملاحة البحرية التي كانوا يتبعونها.. فرسم هايردال طريقًا بحريًا افتراضيًا مستعينًا ببعض ما عرفه من كشوفات حديثة لمواقع بين العراق وشبه القارة الهندية وسواحل إفريقية.. وتولدت فكرة بناء قارب «دجلة Tigris» للقيام برحلة على هذا الطريق.

عاد هايردال إلى العراق بعد خمس سنوات من زيارته الأولى معتزمًا بناء القارب من الأعشاب المعروفة في منطقة الأهوار ليعرف إلى أي مدى كان في استطاعة السومريين القدماء استخدام مثل هذا القارب في الاتصال بتلك الحضارات

أكبر جبانة عرفها التاريخ القديم.. أثر من آثار حضارة ديلمون



هايردال مع فريق الرحلة بعد وصولهم إلى جيبوتي



جلسة تضم فريق الرحلة لدراسة خط السير

القديمة منذ آلاف السنين.

وطبقًا لما نصح به بدو الأهوار فقد بدأ هايردال يجمع سيقان نبات البردي في أغسطس/ آب ١٩٧٧م، فقد قالوا له: إنه لو جمعها في شهر آخر فإنها سوف تمتص الماء الذي يثقل حركة المركب.. وكان هايردال قد استدعى أربعة من هنود الآيمارا Aymara البوليفيين ومعهم مترجم من بحيرة «تيتي كاكا» في بوليفيا حيث يكثر نبات البردي ومازال الأهالي يستخدمونه في صنع قواربهم، وهم الذين ساعدوه في بناء «رع٢».. كما انضم إليهم عدد من بدو الأهوار، وتكاتف الجميع في صنع القارب «دجلة» حتى أتموا بناءه في خمسة أسابيع.. وقام البناؤون العرب بتضحية ستة خراف، وغمسوا أيديهم في دم الأضحية، ثم طبعوها على أسفل مقدمة القارب.. وعندما رفض هايردال أن يقوم بذبح أضحية عند إنزال القارب إلى المياه غضب العمال العرب، وعدوا ذلك فألا سيئًا.

تم بناء القارب في قضاء «القرنة» بمحافظة البصرة وبلغ طوله ٦٠ قدمًا وعرضه ٢٠ قدمًا بشراع مساحته ٩٦ قدمًا مربعًا صنع من القطن المصري. ولأنه أراد أن يجعل منها رحلة ذات صبغة دولية فقد طلب هايردال من الأمين العام للأمم المتحدة أن يسمح له برفع علم الأمم المتحدة على القارب، فوافق الأمين العام، وكان وقتها كورت فالدهايم، وبلغ عدد بحارة المركب أحد عشر من جنسيات مختلفة نرويجية ودانماركية ومكسيكية ويابانية وأمريكية وروسية وبوليفية، وزود القارب بمؤونة تكفي خمسة أشهر هي المدة التي احتسبها هايردال لرحلته.

بدأت الرحلة في ١١ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٧٧م

من نهر دجلة، وفي ٢٣ نوفمبر وصل القارب إلى شط العرب حيث تتقابل مصبات الدجلة والفرات مع الخليج العربي. وبعد أن انتظر القارب ٩ ساعات في الوحل جاء المد فساعد على مواصلة الرحلة إذ كان متوقعًا أن يسود الجو رياح معتدلة، غير أنه بدلاً من ذلك وجد القارب نفسه وسط لجة من الرياح المتخبطة كانت تجرفه في اتجاه بعض السفن الضخمة الراسية بعيداً، غير أنهم - وبالحظ فقط دون المهارة كما يقول هايردال - تغلبوا على الرياح، ودفعوا بقاربهم - بعد السيطرة عليه - إلى البحر ثم واجهتهم أزمة أخرى عندما وصلوا إلى جزيرة «فلوكة» بالقرب من ساحل الكويت فوجدوا أنفسهم مندفعين نحو مناطق أخرى تغص بالأعشاب والمستنقعات، فاستعانوا بسفينة روسية وقارب «ضو» للخروج بقاربهم إلى المياه المفتوحة.. كانت تلك بداية لأزمات أخرى واجهت «دجلة» طوال الرحلة غير أنهم استطاعوا التغلب عليها.

البحرين - ديلمون

كانت أول محطة يصلون إليها هي البحرين التي قال هايردال عنها إنها كانت نقطة مهمة في رحلتهم وذلك لارتباطها بالتاريخ السومري.

وفي البحرين وافاه الجيولوجي جيوفري بيبي Jeoffrey Bibbi من الدانمارك بعد أن استدعاه هايردال إذ كان جيوفري قد قضى سنوات في البحرين منقبا عن الآثار والتاريخ القديم للبحرين. كان جيوفري أول من قدم بعض الأدلة على أن البحرين كانت جزءاً من البلاد التي عرفها السومريون باسم ديلمون، وأثبتت دراساته أن الأثر السومري كان أبعد إلى الشرق مما كان الدارسون يعرفونه من قبل.

وقادهم جيوفري إلى آثار ميناء يرجع تاريخه إلى ما قبل ٤٠٠٠ عام كان قد سبق له اكتشافها، كما قادهم إلى بقايا بوابة تفتح على البحر كانت جزءاً من رصيف ترسو عليه السفن السومرية. وأشار إلى ما اكتشفه من سنانير مصنوعة من النحاس وأختام وقطع عاج وخرز مصنوع من نوع من العقيق الأحمر، وأن هذه الآثار كلها واردة إلى البحرين من الخارج، فالنحاس قد يكون من عمان، والعاج من الهند أو إفريقية،. والعقيق الأحمر من باكستان أو الهند.. كما أشار إلى ميزان حجري معروف أن له مثيلاً في وادي الهندوس، مما يعطي انطباعاً أن ديلمون كانت ملتقى للتجارة في تلك المنطقة.

ثم قادهم جيوفري إلى بقايا معبد اكتشفه هناك يرى هايردال أنه مماثل للزيجورات الذي عرفته «ميسوبوتاميا»، وهو الهرم المدرج.. وكانت درجات هذا المعبد لا تقل بهاء عما نراه في الأهرام المصرية. وعندما لاحظ هايردال أن المعبد مبني بنوع من الصخور التي لا توجد في البحرين سأل جيوفري عن ذلك، فأجاب العالم الدانماركي أنها ربما جاءت من جزيرة «جدة» إحدى جزر البحرين التي لا يمكن زيارتها لأنها سجن محرم دخوله على الزوار.. ومع ذلك فقد سمحت حكومة البحرين لهايردال بزيارة «جدة» حيث وجد فيها كثيراً من المحاجر التي ربما استغلها السومريون لاستخلاص هذه الصخور منها.

مع نمو العلاقات التجارية والحضارية وازدهارها بين شبه القارة الهندية والعراق القديم، ازدهرت البحرين أو ديلمون كمرفأ تجاري مهم على الطريق بين هاتين الحضارتين القديمتين

لقد كانت البحرين هي ديلمون التي أشارت إليها النقوش والأساطير السومرية القديمة، إذ كانت تأتي سفنهم إليها للتجارة. وفيها هبط «زيزودرا Zuisudra»، والذي يقابله في معتقداتنا الدينية سيدنا نوح، واكسنثوريس Xinsthores في معتقدات الإغريق، حيث استقر بها بعد أن نجا بفضل سفينته هو ومن معه من الفيضان الذي اجتاح العالم، والذي كان يبحث دائماً عن «نبات الشباب» الذي يمكن أن يعيد الكهل شاباً مرة أخرى. وعندما وصل «زيزودرا» إلى ديلمون بمساعدة «الآلهة الكبار» قدم أضحيات شكر لها وركع أمام «آنو Anu» سيد السماء و«انليل Enlil» سيد الهواء فأضفت عليه الآلهة بعض صفاتها ونفحته (أنفاس الخلود) وأصبح (سيد النبات وبذور البشرية).. وحققت أمنيته في أن تكون ديلمون -

حيث تشرق الشمس ـ أرضاً للحياة الدائمة.

وفي ملحمة «جلجاميش»، وهي أقدم نص شعري ملحمي، تتحدث عن ملك «أوروك Uruk» المسمى جلجاميش.. في هذه الملحمة فقرة تشير إلى ديلمون وقد وردت في أشكال متعددة أقدمها ما جاء في اللغة السومرية، وفيها نجد جلجاميش يفكر في زيزودرا، وكان يعتقد أن زيزودرا قد وجد سر الشباب الدائم فعزم على أن ينطلق للبحث عنه لعله يعرف منه هذا السر.. رحل جلجاميش إلى (أرض الأحياء) ووصل إليها بعد مخاطرة كبيرة ـ تصفها الملحمة ـ بما في ذلك عبوره لمياه «الموت».. وكان زيزودرا جالساً على الشاطئ في انتظاره، وقال له زيزودرا: إن حياة الإنسان تنتقل من طور إلى طور ثم تنقضي.. ثم كشف له سر (الأرض المقدسة) التي تنمو بها زهرة الشباب الدائم في قاع البحر قريباً من الشاطئ. عم السرور جلجاميش وألقى بنفسه إلى الماء (وفي الأصل في نبع ماء عذب ينبع في البحر) ووجد الزهرة فجمع الكثير منها ولفها حول قدمه «كما لو كانت عناقيد اللؤلؤ» التي اشتهرت بها البحرين.. لكن.. يا للأسف!! (تستمر الملحمة).. لقد خدع جلجاميش في هذه الجائزة، فبعد عودته إلى بيته مرتدياً الملابس التي أعطاها له زيزودرا اتجه إلى بركة ماء.. خلع ملابسه الثمينة.. وألقى بنفسه في البركة فأثار جنّية كانت ترقد فيها فتحركت وشمت رائحة الزهور الجميلة فأكلتها كلها.. وعاد جلجاميش حزيناً إلى بلدته يندب سوء حظه، ولم يعد أمامه إلا أن يقنع بما هو فيه، ويحكم بلدته بالعدل، ويكون راعياً لشعبه.

كانت البحرين جزءاً من شبه الجزيرة العربية منذ ما يقرب من ٦٠٠٠ عام ق.م. ثم بدأت تنجرف بعيداً عنها.. وكانت مأهولة بالناس منذ العصر الحجري، ومازال من الممكن رؤية آثار من الفؤوس في التل الحجري المركزي المسمى جبل الدخان قريباً من أول حقل بترول عرفته الجزيرة العربية عام ١٩٣٣م. ولفظ (ديلمون) يعني (بحرين) إشارة إلى الماء المالح في الخليج والمياه العذبة التي تنبع في البحر.. هكذا قال جيوفري



«موهنجو دارو» هل هي «ملوحة» التي جاءت في السجلات السومرية؟

لهايردال.

وتضيف الأساطير أنه كان للسومريين أربعة آلهة كبار هم: «آنو» و«انليل» و«ننهورساك Ninhursak» الإلهة الكبيرة سيدة الجبال، والتي وهبت لها معابد «الخافجة»، و«إنكي Enki» سيد المياه التي تحت الأرض، والذي يتفرد من بين الآلهة بأنه صديق للبشر.

وكان لـ: «ننهورساك» و«إنكي» دور مميز في حياة شعب البحرين القديم، وفي الطقوس التي كانت تؤدّى في معابد «بربر».. وكانت «إريدو Eridu» هي موطن رأس «إنكي» وإن كان يقيم في «أبيس Abyss» (المياه الساكنة

تحت الأرض) في قصر من اللازورد والفضة..
القصر النقي الذي لا يمكن أن يدخله أحد..
البيت المبني من الفضة وموشّى باللازورد..
البيت الذي تتغنى به الأغنيات السبع..
وأبيس هي عرش إنكي الطيب..

و«إريدو» هي أقصى مدينة في جنوب سومر، والأقرب للخليج جغرافيًا.. وكانت إلى جانب ذلك ـ حسب ما كشفت عنه الحفريات ـ هي أقدم مدن سومر.

كانت ديانة «إنكي» ديانة عالمية، فقواه امتدت إلى السماء فيما يسمى (طريق إنكي) كذلك امتدت إلى المياه تحت الأرض، وتصف إحدى الأساطير العلاقة بين «إنكي» والإلهة الكبيرة «نينهورساك» التي أدت إلى إنجاب ابنهما «إنشاج En-shag» (إنزاك Inzak في اللغات الأكادية والبابلية، والذي عيّن في حراسة إله ديلمون).. وقد اكتشفت بعض آثار نقوش تحيي هذه الذكرى في البحرين، وفي أماكن أخرى تعود إلى العصر نفسه في جزيرة «فلوكة» الكويتية.

من خلال هذه الأساطير وبعض المكتشفات الأثرية جرى الربط بين البحرين وديلمون، وقال جيوفري لهايردال: إنه، على الرغم من ذلك، مازال لديه بعض التحفظ حتى يطمئن بدرجة نهائية إلى هذه الاستنتاجات، وإن كان ذلك لا يقلل من أهمية التاريخ القديم للبحرين. وبوصفه باحثًا ومنقبًا يضيف أنه لا بد أن يتساءل المرء لماذا كانت ديلمون على هذه الأهمية لشعوب العراق القديم؟ ولماذا وصفت ديلمون بأنها أرض الخلود؟ ولماذا كانت موطنًا لآلهة انتشرت عبادتها حتى في سومر؟ لقد كانت ديلمون واحدة من أهم المراكز التجارية في العالم القديم، وثابت تاريخيًا أن البحرين كانت لها علاقة تجارية مع جيرانها، وعبر بحر العرب حتى وادي الهندوس، وكانت سفنها تنقل ـ على سبيل المثال ـ النحاس من عمان إلى مدن سومر، والأحجار التي تنحت آلهة، والبلح واللآلئ التي كانت تسمى «عيون السمك» في النصوص السومرية.

ومع نمو العلاقات التجارية والحضارية وازدهارها بين شبه القارة الهندية والعراق القديم، ازدهرت البحرين أو ديلمون كمرفأ تجاري مهم على الطريق بين هاتين الحضارتين القديمتين، إلى أن أغار الجنس الآري على الهند، وقضى على حضارتها، مما أثر في ديلمون، وبدأت تفقد مكانتها فيما بين عامي ١٨٠٠ و١٦٠٠ق.م. حتى وقعت هي نفسها تحت الاحتلال، فهجرها سكانها. وظلت هكذا حتى الألف الأول قبل الميلاد فأصبحت جزءاً من الإمبراطورية الآشورية، واتجه سكانها إلى مصدر آخر للرزق والثراء هو استخراج اللؤلؤ من مصايده المحيطة بالجزيرة، مما اجتذب مزيداً من السكان مرة أخرى.



جرّة محفوظة بالمتحف البريطاني تحمل نقشًا لمركب من الأعشاب في وسطه قمرتان «من العصر السومري»

وفي عام ٦٠٠ ق.م. أصبحت البحرين جزءاً من الإمبراطورية البابلية، ثم جاء بعض الإغريق للإقامة بها، وكانوا يسمونها «تيلوس Ty-los» وبسقوط الإمبراطورية البابلية، وظهور الإمبراطورية الفارسية عادت البحرين لتأخذ مكانها كميناء تجاري مرة أخرى، وفي عام ٣٢٣ ق.م استعادت البحرين استقلالها، وسادها هدوء نسبي حتى القرن الخامس عشر، وفي العصر الإسلامي غزتها البرتغال، واتخذت منها قاعدة بحرية لخطوط اتصالها بالهند حتى احتلها الفرس عام ١٦٠٣م إلى أن استولى على الحكم بها عام ١٧٨٣م الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة رأس الأسرة الحاكمة حتى الآن.


نهاية «تيجريس - دجلة» وقد شبت فيها النار في «جيبوتي»

بالتراب، فيشكل رابية مرتفعة قليلاً عن الأرض.. وقد تم اكتشاف عشرات آلاف من هذه الروابي التي ربما بلغت في وقت من الأوقات مئة ألف وسبعة آلاف رابية.. ومازالت هذه الروابي أحد المظاهر المثيرة للدهشة والتساؤل في أرض البحرين الحالية، والتي لا تخطئ العين رؤيتها عند أول زيارة لها.

وكان حديث جيوفري بما فيه من تأكيدات، وما فيه من تحفظ، وما شاهده هايردال كافيين لأن يقرر هايردال أنه قد وصل إلى ديلمون.. أرض الخلود.. وأنه يسير في الطريق الصحيح لخطوط الاتصال البحرية بين سومر وجيرانها الجنوبيين.

«ماجان» و«ملوحة»

غادر القارب «دجلة» البحرين واتجه هايردال ورفاقه إلى مضيق هرمز بين إيران وعُمان على بعد ٤٠٠ ميل إلى الشرق حيث لا تتوقف حركة ناقلات البترول العملاقة. وساعدتهم الرياح على الوصول إليه في أقل من أسبوع بحذاء ساحل عمان إلى مسقط.. يقول هايردال: إنه منذ عدة سنوات لم يكن باستطاعة أحد الدخول إلى مسقط لأنها كانت مغلقة في وجه الأجانب، غير أن السلطان قابوس بعد توليه الحكم غير وجه الحياة في بلاده، وسار بها نحو التقدم.

وفي مسقط قابلوا د. باولو كوست الإيطالي الذي عينه السلطان قابوس مستشاراً له لشؤون الآثار.. وكان هايردال متشوقاً لمقابلته حيث سمع أن بعض كشوفاته التي تمت في عمان تشبه زيجورات سومر.. ولو كان هذا حقيقياً فيا له من اكتشاف.

أكد د. كوست ذلك وإن كان الأمر لم يصل إلى درجة التحقق الكامل.. فقد وجد فريق من جامعة هارفارد بقايا

ويصف جيوفري ببي ما كانت عليه البيوت والمدافن في ديلمون، وما عثر عليه في البحرين مؤخراً.. كانت البيوت في ديلمون على قدر من السعة، فالمنزل الواحد يحتوي على حجرتين أو ثلاث مع فناء على شكل حرف L، وقد وجد في أحد المنازل إحدى عشرة حجرة مع فناء ضخم خلفي وأربع غرف تخزين.. وفي كل بيت «كانون» أي موقد على شكل عش النحل، وخارج المدينة بئر كبيرة ربما كان السكان يستقون منها. أما الموتى فكانوا يدفنون في غرف مبنية بالحجر الذي يردم (يغطى)

ميناء «صحار» القديم على ساحل عمان الشمالي؛ وقال د. كوست: «لم نجد شيئًا مثل ذلك في كل أنحاء الجزيرة العربية ، لكننا لم نتحقق بعد هل كان ذلك أثرًا سومريًا أم لا».

قام هايردال ورفاقه بزيارة «صحار» بالسيارة عابرين مجرى نهر جاف كان يعرف باسم «وادي الجيزي».. وعلى الرغم من عدم تأكدهم من صلة هذا الميناء بسومر، لكنه ترك انطباعًا بأن هذا الموقع كان ميناء على جانب كبير من الأهمية في الماضي.

وقد لفتت تعليقات د. كوست نظر هايردال فتابع البحث في المنطقة، ولاحظ أن الأرض الواقعة بين المكان الذي يقفون فيه وجبلٍ يوجد على بعد منهم لا تخطئ العين رؤية دلائل على وجود منجم نحاس قديم بها.. وهناك ما يشير إلى وجود آثار لقوس حجري ربما كان مدخل هذا المنجم.

وحين تساءل هايردال: هل يمكن أن تكون هذه أرض «ماجان»؟ أمّن د. كوست على تساؤله بقوله: ولم لا؟ فهذا هو جبل النحاس الذي جاء ذكره في النقوش السومرية لأنه كان يُصَدَّر منه النحاس عبر ديلمون إلى سومر.

وإذا صح ذلك فإن عُمان هي «موجان» التي وجدت منذ العصر البرونزي. على أن ما بقي يشغل باله هو أرض «ملوحة» التي جاء ذكرها في الآثار السومرية.. أين يمكن أن تكون؟ كان في خطة هايردال أن يبحر جنوبًا من عمان إلى ساحل إفريقية.. لكن تفكيره اتجه إلى وادي الهندوس الذي يمكن أن يكون أرض «ملوحة» ومن ثم غيّر رأيه وأبحر تجاه باكستان.

لم تكن شكوكه مجرد نظرية ـ كما قال بعد ذلك ـ لكنه كان يعلم أن وادي الهندوس هو الأرض التالية التي شهدت حضارة منذ ما قبل التاريخ، وأن هناك شواهد وبقايا آثار من هذه الحضارة وجدت في «ميسوبوتاميا» وأنه إذا ساعدهم الحظ يمكن أن يجدوا صلة بين الحضارتين.

مرت عليهم ثلاثة أيام يكافحون ريحًا قاسية، وأمطارًا مستمرة، فضلاً عن محاولات صعبة لتجنب طرق مواصلات حاملات البترول العملاقة أو الاقتراب منها.. وأكثر من مرة كاد القارب يصاب بكارثة من جراء الاقتراب ـ الخارج عن إرادتهم ـ من بعض هذه السفن العملاقة.

وفي ٢٧يناير/كانون الثاني عام ١٩٧٨م وصلوا إلى ساحل باكستان شمال غرب نهر الهندوس حيث كراتشي الميناء الرئيس لباكستان. وفي وادي الهندوس كانت تقوم مدينة قديمة منذ العهد السومري هي «موهنجو دارو Mo-henjo Daro» من أهم المدن في ذلك الوقت. وإلى جوار بعض المواقع التي فيها حفريات يوجد متحف صغير يضم بعض الآثار التي اكتشفت في هذا الوادي، وقد لفت نظر هايردال جرة منقوشٌ عليها مركب مرتفع الأطراف، وبه قمرتان وعدد من المجاديف، ويوحي شكله بأنه كان يستخدم لنقل الماشية. وقد اتخذ هايردال من وجود النقش دليلاً على أن وادي الهندوس هو نفسه أرض «ملوحه» المذكورة في سجلات سومر.

نهاية الرحلة

والآن.. مرت ثلاثة أشهر على بدء رحلة «دجلة» وبدأ هايردال يتجه إلى إفريقية أخيرًا.. وكان القارب مازال على حالته منذ أن غادروا شط العرب. وبدأت أفواج من الأسماك والحيوانات البحرية المختلفة تتقافز حول القارب أو تتعلق بأسفله، مما يسّر لهم كثيرًا الحصول على وجبات غذاء طازجة.

وعندما اقتربوا من القرن الإفريقي تلقوا نداءات راديوية بتجنب الرسو في جزيرة «سقطرة» أو الذهاب إلى الصومال؛ لأنها في حالة حرب.. كما رفض اليمن (الجنوبي وقتئذ) دخول القارب إلى مياهه، وكانت الحرب مشتعلة أيضًا في إرتيريا.

كانت أمنية هايردال أن يتجه إلى إثيوبيا عن طريق البحر الأحمر حيث تنمو نباتات البردي التي ابتنى منها رع١ ورع٢.. ولكنه لم يتلق عرضًا بقبول استقباله إلا من جيبوتي.

لقد ظل المركب على حاله من القوة والتماسك حتى بعد ١٤٤ يومًا من الإبحار بها وسط لجج الأمواج الصاخبة.

وهنا في جيبوتي قرر هايردال إشعال النار في مركبه احتجاجًا على تلك الحروب الدائرة في كل مكانٍ بالقرن الإفريقي مَهْد الحضارات الأولى للجنس البشري، وكأنها تريد أن تقضي على الحضارة البشرية بأسرها.

القرارة..
لؤلؤة مدائن وادي ميزاب

لمباركية نوّار
باتنة - الجزائر

تنسي النظرة الأولى الخاطفة زائر مدينة «القرارة» وعثاء السفر، وإذا ما أمعن محدقًا في محيَاها الصبوح بالروح الشاعرة، رأى كونها كله في انسجام واحد، ليس فيه إلا الجمال والسحر والفتنة. وأما إذا نظر إليها بعين العقل، وراح يعجن ماضيًا بحاضر، متلهفًا إلى عصر جزئيات التاريخ من أصفى أعتارها، فلن يقرأ سوى منهج فكر وفلسفة حياة أثبتا جديتها وجدارتها عبر قرون.. وهي القراءة الوحيدة لا مفر.



منذنة المسجد الكبير بالقرارة

فللقرارة، وأقصد القصبة، أي المدينة القديمة، جاذبية انتحائية تهز الأعماق، وتذهب بالوجدان فُرُطا. والصورة الواحدة فيها تراها ماثلة أمام عينيك مرة ومرة وألف مرة، فلا تملّها، ولا تتبرم منها، ولا تساورك رغبة في قطع حبل وحي التأمل الذي يشدّك إليها.

وبعد أن تستقبلك «القرارة» الوديعة ملء أحضانها بقبلات حارة خرساء، سيدفعك فضولك كالوليد للنزول إلى أزقتها الضيقة والملتوية والمنسابة في انحدار، حيث يبادرك أناسها بالوداعة والرقة والوسامة، والبسمة الطلقة، ويشنفوا أسماعك بألطف عبارات التحية والترحاب وأعذبها. وحيث تستنشق رائحة البخور المعطر الذي يتصاعد أكاليل متزاحمة من أبواب المساكن، فينعشك شذاه. ومتى ما بلغ بك الإعجاب بالقرارة العتيقة مبلغه، وجدت نفسك تردد في عفوية، مع ابن القرارة الشاعر صالح الخرفي - رحمه الله - ، الذي أحبها حتى الثُمالة، وهام في حبها، تردد معه:

أودع الله في (القرارة) سراً
إن طلبت الإفصاح عنه، استكنَّا
خطب الودَّ، مثلما حنَّ قلبٌ
لرشيقٍ في غصنه، يتثنَّى
جرس السحر، في حروفك، يُذكي
دقة القلب، فهْو يعزفُ لَحنًا

و«القرارة» هي واحدة من سبع جواهر، وشقيقة لست مدن واقعة في سهل وادي ميزاب بالجنوب الجزائري، استقر بها الميزابيون، في نهاية المطاف، بعد أشواط وجولات من المضايقة والتشريد والترحال. ومن أجل إعادة ربط خيوط ماضيها في عجالة، فلا بدّ من استرجاع نتف ومقتطفات من مدونات التاريخ.

الشيخ محمد بن إبراهيم بيوض يجلس خلف مكتب والده، وأمامه مظلّه ومنسأته اللذين استعملهما في آخر سنوات عمره

شذرات من التاريخ

يقر المؤرخون المنصفون من العرب والمسلمين بأن الدولة الرستمية (١٦٠ - ٢٩٦هـ، ٧٧٦ - ٩٠٩م)، التي أسس دعائمها عبدالرحمن بن رستم هي أول دولة إسلامية جزائرية مستقلة. بينما أغلب المؤرخين الغربيين يتحاملون عليها، ويتعرضون لذكرها بالقدح والإهانة والازدراء؛ فالمؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان Ch. A. Julien، يدعوها انتقاصاً أو تقزيماً: (مملكة تيهرت).

وأما عاصمتها «تيهرت» التي أقيمت على سفح جبل «جزول» فكانت تداني في ما بلغته من سمو وازدهار علمي وثقافي ومعماري دمشق وبغداد وقرطبة، ولذا سميت: (بغداد الغرب). لمّا وهن قلب الدولة الرستمية،



أحد تجار ساحة السوق القديمة في دكانه


مصلى دار العلم

واضطربت خفقاته، وأشرفت شمسها على الأفول، تفرق بعض أهلها ولاذوا بالأماكن الآمنة خوفًا من بطش أعدائهم، فاعتصم جلّهم بالجبال المنيعة كجبل الأوراس (الجزائر) وجبل نفوسة (ليبيا). وتوغلت مجموعات أخرى في الصحراء، وحطوا رحالهم لواذ مدينة ورجلان (ورقلة) بالجنوب الشرقي الجزائري. وعلى بعد أربعة عشر كيلاً جنوبًا منها شرعوا في تأسيس عاصمتهم «سدراته»، والمعروفة في اللسان البربري باسم «أسدراتن».

وعندما أبرز هؤلاء الوافدون الجدد تفوقًا سريعًا في شتى مجالات الحياة، وأحيوا الأرض الجرز، وملؤوها بالبساتين والغوطات، خشيهم أهل «ورجلان»، وانزعجوا منهم، لِمَا عرفوا فيهم من منافسة وإصرار، وكادوا لهم حتى أجلوهم عن مدينتهم «سدراته» بمساعدة جيوش المرابطين، مخلفين وراءهم سبعة وعشرين قصرًا مشيدًا لا تزال أنقاض آثارها قائمة إلى اليوم. وانزاحوا إلى جبال بني مصاب أو ميزاب بالشمال الغربي من ورجلان مكرهين.

وترقبًا لمآل الأوضاع، سكنوا في البدء الخيام، ثم شرعوا في تأسيس مدنهم. فتحت لواء رئيسهم الشيخ خليفة بن آبغور بنوا مدينة «العطف» سنة (٤٠٢ هـ - ١٠١٢م) ثم مدينة «بنورة» سنة (٤٥٧ هـ - ١٠٦٥م)، وبعدها شيدوا العاصمة العامرة «غرداية» سنة (٤٧٧ هـ - ١٠٨٥م)، وعقبها أقاموا مدينة «مليكة» سنة (٧٥٦ هـ - ١٣٥٥م)، وأردفوها بمدينة «بني يزجن» سنة (٧٢٠ هـ - ١٣٢١م).

ولما تكاثر النسل، وبدأت محاصيل البساتين لا تفي بمطالب العيش، هاجرت عائلة «أولاد باخة» من مدينة «غرداية» هجرة اضطرارية، وقصدت جهة الشمال قريبًا من مدينة «الأغواط» بحثًا عن أراض أخصب، وموارد أوفر. وحينما خاب مسعاها في الحصول على المؤمل المرتقب، رجع أفرادها أدراجهم صوب الجنوب الشرقي، متخذين من مجاري «وادي زقرير» وأخاديده، والذي ينطلق من مشارف مدينة «الأغواط»، معالم يسترشدون بها حتى بلغوا مصبّه الرئيس وقتئذ، وهو حوض كبير تتجمع فيه مياهه. فطاب لهم المقام، واستأنسوه للاستقرار، وانطلقوا في تعميره بتشييد مدينة «القرارة» ويصادف ذلك سنة (١٠٤٠ هـ - ١٦٣١م). ويعدّ إنشاء مدينة «بريان» سنة (١٠٦٠هـ - ١٦٩٠م)، هو آخر شوط في تشييد المدن الميزابية بالجنوب الجزائري.

صكت مدينة «القرارة» اسمها من صفة مكان موقعها، فالقرارة - عند صاحب اللسان - هي المطمئن من الأرض،

وما يستقر فيه ماء المطر، وجمعها القرار. ومن ذلك قول عنترة العبسي في معلقته:

جـادت عليـهـا كل بكر حـرّة
فـتـركن كل قـرارة كـالدرهم

أي جادت الأمطار على هذه الأرض، فتركت كل نقرة منها مملوءة من الماء الصّافي كالدرهم في الاستدارة والبياض.

وبسبب تذبذب تدفق مياه «وادي زقرير»، تواصلت المشاحنات والمشادات بين عائلة «أولاد باخة» وجيرانهم المتاخمين لهم ردحًا من الزمن، مما جعل «القرارة» بلداً مغضوباً عليه من قبل بقية الميزابيين. ولم تنتف عنهم أسباب المقاطعة التي عمرت طويلاً إلا في سنة ١٠٦٥هـ، بعد إذعانهم لجماعة إصلاح ذات البين، وخضوعهم لأحكامها التي خطّأتهم، وفرضت عليهم ديات وتعويضات. ومع قبر هذا الخلاف، انتهت متاعبهم، وحصلوا على كل امتيازات الانعتاق، وأقدموا على بناء مئذنة مسجدهم الجامع سنة ١٠٨٠هـ علامة وعنوانًا لسيادتهم، وهي المئذنة التي لانزال نراها حتى اليوم.



نفائس علمية ثمينة على ظهور رفوف مكتبة معهد «الحياة»

طراز عمراني بديع

تجثم مدينة «القرارة» فوق تلة صخرية متوسطة العلو هي «كدية العقارب»، وتبدو من بعيد معلقة كعش النسر. وفي مركز ذروتها الشماء يستقر مسجدها (المسجد الكبير) الذي لم يفتأ يتوسع كلما فرضت الضرورة فروضها. وقد التهم حتى الآن خمسين مسكنًا مجاوراً له أوقفها مالكوها عليه، وتعد من أقدم المساكن في مدينة «القرارة». وتنتصب فوق جسم المسجد الكبير مئذنة صغيرة كبلبلة الثدي، متميزة في طرازها المعماري، وتعلوها أربعة نتوءات في زواياها هي رمز العمارة الميزابية وشفرتها.

ويدل موقع المسجد الذي يشاهد سامقًا حتى من بعيد، ورافعًا هامته الوضاحة، على علو شأنه في المجتمع، وعلى رجحان كلمته التي تنحت من تعاليم الإسلام بعد إجماع، أي أنها هي الكلمة الغالبة والملزمة. ومسجد «القرارة» بسيط في مظهره الخارجي والداخلي، وهو خال تماماً من أي نقش أو تجميل أو تزيين أو زخرفة. وتنداح المساكن على كل جنبات التلة، ويزداد عددها كلما نزلنا إلى الأسفل، وتقطعها مسالك ضيقة نسبيًا تتناوب على جوانبها أبواب مداخل المساكن يمينًا وشمالاً حتى لا تفتح متقابلة، فتقع عين الجار على بعض أسرار جاره فيتأذى. وتعدّ التواءات الأزقة كأجسام الثعابين في سيرها من بين الحيل الإضافية في التخفي عن العدو، وفي حرمانه من اقتفاء آثار الفارين من وجهه، وبالسهولة التي يريدها.

والعمارة في مدينة «القرارة» أثيلة وأصيلة، لأنها استوحت بهاءها وجلالها من عبقرية أبنائها الأولين. وقد تجاوب نظام بناء المساكن المتزاحمة مع شروط البيئة المحلية، وتساوقت مطاوعة ظروف المناخ وأحواله. ومن فرط سحرها، يخيل إلى ناظرها أن عبد الرحمن بن رستم المولع بفن العمارة قد أشرف على بنائها لبنة بلبنة.

وتتوفر المساكن في «القرارة» على سراديب أرضية ينتفع بها في الشتاء وفي الصيف. وتؤازر جدرها السميكة سواري (أعمدة) متينة لرفع السقوف المضاعفة والثقيلة.



ساحة السوق القديمة

ويوضع ملاط السقوف في كل طابق على أعجاز أشجار النخل المتراصة وغير المنخورة.

وما من شك في أن حرص القراريين ومسكهم بتلابيب كل ما من شأنه أن يدعم، أو يطيل عمر أبنيتهم نابعان من ركونهم النفسي المطلق إلى الاستقرار، ونشدان الإقامة الطويلة. وهذا عامل فاعل وجوهري في معادلة أي حضارة، وفي صيرورة كل مدنية.

وفي الوقت الذي شنّ فيه الإسمنت والآجر والقرميد المكوي والبلاط والخزف والرخام هجوماتها المباغتة، ظل ملمح البناء في مدينة القرارة، وسمته وفيين لطرازهما الأول. وبدل أن تستهوي البناء هذه المواد المصنعة عاشرها بإحسان معاشرة انتقائية لم تنسه عراقته وأصله، وبذلك أعطت الأجيال المتعاقبة أروع مثال في الانتصار للذات الجماعية، وفي قهر نزوات النفس الفردية المتماوجة.

واختصاراً، فإن العمارة في مدينة «القرارة» متميّزة، وفريدة في خصائصها وجمالياتها، وفي بساطتها ووظيفتها.

السوق والسور والسد.. ثلاثية سينية شاهدة

وغير بعيد عن المسجد، توجد ساحة فسيحة مفروشة بالحجارة هي ساحة السوق الوحيدة في المدينة قبل أن تتوسع. وهي السوق التي فقدت حركيتها وازدحامها، وقل فيها عدد الباعة والمتسوقين، وتقلصت فترة نشاطها إلى سويعة من بعد عصر كل يوم. أما سوق الدلالة المحاذي للمسجد، فلا ينعقد سوى ثلاث مرات في الأسبوع. وفي السوقين كليهما، لا يدفع الباعة مكوساً أو إتاوات.

ومن أهم معالم مدينة «القرارة» أيضاً، السور والسد. فالسور الذي كان يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم كاد يندثر، ولم يبق منه إلا شطره الواقع في الجهة الشرقية. ويجري، الآن، عمل دؤوب من أجل ترميم بقاياه قبل أن تتآكل عن آخرها، وصيانة أبراج المراقبة الملتصقة به،

والتي كانت بمنزلة العيون التي تسهر على أمن «القرارة» في الأيام الخوالي.

وأما سد مدينة «القرارة»، فيعدّ هو الآخر إحدى بصمات وأوشام معالمها البارزة، وقد أنجز فيها سنة (١١٢٢هـ - ١٧١٠م)، ويعد عصب الحياة فيها بلا منازع، وفيه تحجز مياه وادي «زقرير» الذي يحسب أحد أكبر الأودية في الجنوب الجزائري. ويتوفر السد على خمسة وعشرين منفذًا يدعونها «منافس» أي متنفسات تفرج ضيقة متى ما أغرقته المياه. وعندما تسيل مياه الوادي عنيفة، أو يفيض السد، تقام في «القرارة» أفراح تسمع فيها الأهازيج التفاؤلية وطلقات البارود المدوية.

ويظل صعود مستوى الماء في السد تحت مراقبة عارفين يختارهم إمام المسجد من بين ذوي الخبرة، ويفوض إليهم اتخاذ القرار المناسب الذي يتأثر بمجريات فصول السنة وكمية الماء المتجمعة فيه. وكثيرًا ما يطلق سراح الماء قبل فيضان السد درءًا للمخاطر، واتقاء للمهالك برفع الأبواب الحديدية للمنافذ جزئيًا أو كليًا. وبذلك تنطلق المياه تجوب ممراتها تائهة عبر الرمال حتى تشرف على تخوم مدينة ورجلان (ورقلة).

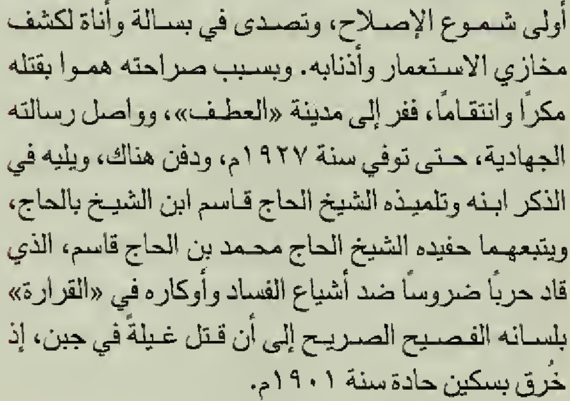
ومثلما يصل ماء السد إلى البساتين سطحيًا، فإنه يتسلل إليها خفية عبر قنوات أرضية تفضي إلى خزانات جوفية في هيئة آبار يحجز فيها الماء لوقت الحاجة. ولا تظل المياه السطحية التي تغزو البساتين وغابات النخيل راكدة مدة طويلة خشية تفاقم نواتج التخمرات، وإلحاق الأذى بجذور المزروعات بوجه أخص. وبمجرد أن تفقد صفرتها وكدرها، ويترسب طميها (أي ترابها وطينها) الذي يخصب التربة ويعيد لها شبابها، تشق لها السواقي لمبارحة البساتين والانضمام إلى تيار الوادي الأصلي.

وقلما تصادف عائلة قرارية لا تملك قطعة أرضية مبستنة ينتفع من خيراتها من حيث الغذاء أولاً، ومصروف الجيب بدرجة ثانية. وجنانات «القرارة» زاخرة بأنواع الأشجار المثمرة، ففيها أشجار النخيل بأصناف متعددة، والتين، والرمان، والبرتقال، والليمون، والزيتون، والموز، فضلاً عن الخضراوات المتنوعة.

ولئن زادت «قرارة» اليوم عن «قرارة» الأمس فراسخ، وناءت بكل أطراف عمرانها أشبارًا اقتطعتها من أراضي غابات النخيل، إن الفضل في دفع عجلة تعميرها وتوسيعها يعود إلى أبنائها الذين هاجروا صوب المدن التلّية، أين توافرت لهم فرص للتجارة والتي ولعوا بها، وصانوا إرثها، فأغدقت عليهم أموالاً سخروها بوفاء في ترقية مدينتهم «القرارة». وهناك قول غير مأثور متداول في ما بين القراريين، مضمونه بلهجتهم: (أغلان يتشرد سالتل) أي: (إن الفضل في نهضة المواطن - ويقصدون «القرارة» - يعود إلى التل).

معالم الإصلاح الديني والاجتماعي

جن ليل «القرارة» في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي)، واضطربت فيها الحياة بسبب أفاعيل الاستعمار الفرنسي، وسياسته العامة التي ترنو إلى التجهيل وبذر الفتن والشنآن بين أبناء الوطن الواحد. ولكن «القرارة» استطاعت أن تنهض من كبوتها بفضل جهاد نفر من علمائها العاملين. وبذلك كان لها نصيب محمود من قصب السبق في معركة الإصلاح الديني والاجتماعي الذي تأسس على التربية والتعليم. ومن علماء «القرارة» الإصلاحيين، يرد في المقدمة اسم الشيخ بالحاج بن كاسي الذي أوقد أولى شموع الإصلاح، وتصدى في بسالة وأناة لكشف مخازي الاستعمار وأذنابه. وبسبب صراحته هموا بقتله مكرًا وانتقامًا، ففر إلى مدينة «العطف»، وواصل رسالته الجهادية، حتى توفي سنة ١٩٢٧م، ودفن هناك، ويليه في الذكر ابنه وتلميذه الشيخ الحاج قاسم ابن الشيخ بالحاج، ويتبعهما حفيده الشيخ الحاج محمد بن الحاج قاسم، الذي قاد حربًا ضروسًا ضد أشياع الفساد وأوكاره في «القرارة» بلسانه الفصيح الصريح إلى أن قتل غيلةً في جبن، إذ خُرق بسكين حادة سنة ١٩٠١م.



الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض قائد الإصلاح بالجنوب الجزائري، وأحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام ١٩٣١م

ودار عائلة الشيخ بالحاج التي تدعى دار العلم (تدارت أنْوَعْزَامْ بالميزابية) هي أقدم دار خلوة انتظمت فيها حلقات





صبيان الكشافة في رحلة كشفية استطلاعية وتربوية

العلم في مدينة «القرارة»، وما تزال قائمة إلى اليوم. وتضم بين جنباتها مكتبة غنية بالمخطوطات النادرة المنسوخة، وخزانة الشيخ بالحاج المصنوعة من جذوع أشجار النخيل كشواهد صادقة على جليل أعماله.

وبالمقابل، فإن لدار عائلة الشيخ عمر بن يحى، الذي تنحدر أصوله من مدينة «مليكه»، والمتوفى في رمضان سنة ١٣٣٩هـ، الموافق ليونيو عام ١٩٢١م عن عمر يناهز ٦٣ سنة بوباء التيفوس الخبيث الذي اجتاح مدينة «القرارة»، فإن لهذه الدار ضلعاً وإسهاماً في إذاعة صيت «القرارة» حتى تبوأت قمة الريادة في المجالين العلمي والإصلاحي بين مدائن وادي ميزاب، بل الجنوب الجزائري برمته. وأصبح طلبة العلم يحثون إليها الخطا من كل حدب وصوب.

تحسب الداران السالفتا الذكر وغيرهما من الدور حجارة الأساس في إنشاء معهد «الحياة» الحر بتاريخ ٨ شوال سنة ١٣٤٣هـ، الموافق ٢١ مايو/آيار عام ١٩٢٥م، انطلاقاً من دار وقف لوالد الشيخ بيوض. وهو المعهد الذي



كسكسي بتوابل محلية

حمل في أول عهده اسم معهد «الشباب»، ومع انبعاث «جمعية الحياة» التي تشرف وتبسط يدها الميمونة على كل المشروعات التربوية والعلمية والخيرية في «القرارة» تحول اسم المعهد. أما رافد ومشتلة معهد «الحياة» الذي يغطي المرحلة الثانوية من التعليم، فهي مدرسة «الحياة» الابتدائية التي أنشئت في شهر أكتوبر /تشرين الأول سنة ١٩٣٨م. وتدوم الدراسة في مدرسة «الحياة» سبع سنوات، وتحظى الفتاة الميزابية في رحاب هذه المدرسة

بحظ وفير من التعليم والتكوين وفق برامج متوائمة في بعض جوانبها مع أنوثتها ورسالتها. ويحصل الانتقال إلى المرحلة الثانوية (معهد الحياة) استنادا إلى معايير فرز وانتقاء تكون الأولوية فيها لمستظهري القرآن الكريم عن ظهر قلب. والمناهج والمقررات في كل من المدرسة والمعهد غير جامدة، وإنما تحسّن وتنقّح دوريًا، وتطعّم بكل جديد مفيد: سواء في المضامين أو في الطرائق والمناهج.

وتلتحم رحلة معهد «الحياة» التعليمية والتنويرية، التي لاتزال متواصلة بوتيرة انطلاقتها نفسها، تلتحم بجهاد الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض (١٨٩٩/٤/٢١ ـ ١٩٨١/١/١٤م) طيب الله ثراه، وتقترن بوثبته الإصلاحية، فهو الذي احتضنه فكرة، ورعاه بذرة، واستبشر خيرًا بثماره اليانعة في سماء الجزائر. وتكاد أفضال الشيخ بيوض لا تنقطع عن معهده؛ فحتى مكتبته الخاصة جعل منها نواة لمكتبة المعهد. وحذا حذوه كثيرون، فالشيخ أبو اليقضان (١٨٨٨ ـ ١٩٧٣م) أوقف كتب مكتبته على المعهد، وكذلك فعل الشاعر صالح الخرفي (١٩٣٢ ـ ١٩٩٨م) بحبسه مكتبته الغنية والمتنوعة في تونس عليه.

وتحتوي مكتبة معهد «الحياة» كتبًا قيمة في شتى التخصصات. ولا يزال الشيخ سعد شريفي (الشيخ عدّون) ـ أطال الله أنفاسه ـ يتعهد دعمها بأجود العناوين وأفيدها، كلما وجد إلى ذلك سبيلاً في أثناء رحلاته إلى مختلف المدن الجزائرية.

لما شرفني الشيخ محمد بن إبراهيم بيّوض نجل الشيخ بيوض، بزيارة مسكن والده ـ رحمه الله ـ الواقع في زقاق الشيخ بالحاج رائد الإصلاح في «القرارة»، استعاد بعض ذكرياته المروية والمعيشة مع والده، ومما قال:

لما سافر ـ رحمه الله ـ إلى الحجاز قاصدًا أداء فريضة الحج ـ وأظنه مرافقًا للشيخ المصلح الحاج بكير العنُق (بضم حرفي العين والنون) في عام ١٩٢٩م، دعا ربه مخلصًا أن يرزقه ولدًا، يدعوه محمدًا. ولما عاد من رحلته استجاب له ربه، وكان له ما أراد.

وأردف يقول: كان والدي ـ رحمه الله ـ صارمًا في أقواله وأعماله، يفكر مليًا قبل أن يقرر، وإذا ما قرر لا يتراجع،

دار الدكتور صالح الخرفي الجديدة



يعلق أمل القراريين على هذه القنوات الضخمة لإبعاد مساوي التلوث المائي عن مدينتهم

ومتى ما قال: لا، فلا أحد يثنيه. وكان كثير المطالعة إذ يمارسها كسلوك حضاري، ويتابع الأخبار والأحداث عن طريق المذياع.

وقلت: وماذا عن أثمن نصائحه؟ فقال بعد برهة تفكير، كمن يقلب صفحات كتاب ذكرياته:

خرجت ذات ليلة في عهد الاستعمار من البيت دون إذن منه، ولما بحث عني ولم يجدني، ظل يرقب عودتي. وبمجرد ولوجي عتبة المسكن، دعاني واستفسرني، ثم قال لي: أرجوك مستقبلاً، وقبل أن تخرج ليلاً، أن تخبرني عن صحبك ومكان وجودك.. وما زلت أنا أعمل بهذه النصيحة مع أبنائي حتى يوم الناس هذا.

وسألته: وهل حفظت عنه شيئًا من أقواله، فرد: كان يقول كلما بلغته إساءة أو تجريح في شخصه من أحد: اللهم اجعلها كفارة لسيئاتي.

والشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ـ لمن لا يعرفه ـ عالم مجدد، ومصلح متمرس، وفقيه مطلع، ومفسر متضلع، وخطيب مؤثر يتحدث بطلاقة، إذ لا عقدة في لسانه، ويتكلم بصوت رخيم ونبرة رقيقة. وهو سياسي محنك يمارس السياسة بأخلاقه ويخضعها لأخلاقه، ووطني ثائر. وقد كانت له مواقف جريئة في وجه الاستعمار كلما نفض مذرويه، وجاء باغيا ومتهددًا يبغي فصل صحراء الجزائر عن شمالها حين اكتشف خيراتها الباطنة، وخبر قيمتها. وكما أن له منازلات في الذود عن حمى التعليم في الجزائر قبل الاستقلال وبعده لم يلف أو يَعْرج فيها. وهو محاور مفتوح الذهن، ذكي الفؤاد، حاضر البديهة، يتلمس النصح من إخوانه، ويخوض السجالات دون انكفاء أو تراجع، وحججه مفحمة، يزفها كنكت ومزح فتضحك، ومن ثَمَّ تغرق.



دفينة في أرض مستصلحة جوار القرارة، وخضراوات سبقت مواعيد فصولها



سد مدينة القرارة القديم ينتظر المطر في صبر لتقام أفراحه

نظام الحياة في مدينة القرارة

إن النظام الاجتماعي السائد في مدينة «القرارة»، شأنه شأن باقي المدن الميزابية، عشائري متناسق، يتعامل مع غيره دون عصبية أو انحياز. وهو نظام غير مصمت، وإنما هو مفتوح على الأخذ والعطاء. وقد طمس التعاون بين العشائر الكثير من الصور الاجتماعية المشينة، وألغى وجودها. ففي «القرارة»، لا تصادف متسولاً يمد يده إلى المارة، ولا يتيماً تفرقت به السبل، أو أرملة شقية، أو داراً للعجزة.. وذلك بفضل تكفل فصائل العشيرة الواحدة بمشكلات أبنائها، والوقوف بجانبهم في السراء والضراء.



عنزة من سلالة العنز الميزابي، وهي سلالة محلية ونادرة

ومنذ ما يزيد على عقدين من السنوات بقليل، كان التمر يوزع، يوميًا، في المسجد قبل صلاة الصبح، على جميع مرتاديه دون استثناء، وكذلك في ليالي الجُمع التي يجري فيها ختم تلاوة القرآن الكريم، وفي المناسبات الدينية كما في شهر رمضان. ولما شح مردود أشجار النخيل بعد منتصف السبعينيات من القرن المنصرم، استُبدِل بالتمر رغائف الخبز. وتدعى هذه الصدقات بـ «المعروف».

وتمتلك كل عشيرة دارًا كبيرة تقيم فيها أفراحها، وتجتمع فيها إذا أصابها فرح أو نكبة. وغالبًا ما تعقد فيها حفلات الزواج جماعيًا، إذ ينضم أزواج شباب معوزون عن طيب خاطر إلى كنف عائلة ميسورة ترغب تزويج ابنها، فتكفيهم كلفة الوليمة، وتعفيهم من مصاريفها. والوليمة مقيدة بشرط، يذعن لها الفقير والغني، والسخي والمتقشف على حد سواء، ولا يجوز لأحد تجاوزها. وتكاد تقتصر إن أقيمت غداء على الكسكسي الذي افتنّوا في تنويع أصنافه حتى غدا كساكس، أو على الشربة، إن أقيمت عشاء. ولا تستند الدعوة إليها إلى حساب الجاه أو المكانة أو الثراء أو الوجاهة، إذ لا ذكر للمفاضلة والتصنيف.

ويتحلق على الخوان الواحد العجوز والكهل والشاب، في حين يعزل الأطفال جانبًا. وتعطي الصورة انطباعًا حسنا عن التواصل بين الأجيال، وعن ارتباط اللحمة وانتقال التجارب. وهي إحدى الفرص التي يفصح فيها الشاب القراري المثقف عن تململه وتطلعه إلى تسريع خطا المواكبة في انضباط واستقامة.

لا شيء اليوم يعكر صفو هدوء مزاج مدينة «القرارة»، بعد أن رحبت وتمددت أطرافها، وشهدت نشاطًا صناعيًا حثيثًا، سوى مشكلة التخلص من مياه الصرف الآسنة والملوثة بمخلفات مواد التصنيع ونفاياتها، ومفرزات المشاغل. ويبدو أن القلق حرض تكاثف الجهود لإيجاد حل جذري في العاجل من الزمن للمحافظة على نظافة لؤلؤة مدائن وادي ميزاب وعفتها من أضرار التلوث البيئي وأخطاره.

إن المجتمع القراري مجتمع محافظ وملتزم، ولكن دون انطواء أو كبت. وقد استطاع بفضل مرونته وليونته، ونظامه التربوي المستمر، وصرامته التأديبية أحيانًا، أن يتكيف مع التقلبات بثقة وجلد، وأن يصون خصوصية كيانه الذي يعدّ رافدًا مغنيًا لتراث الجزائر الخصب من التصدع أو التزعزع.

المراجع

١. لسان العرب، ابن منظور، المجلد الخامس، دار صادر - بيروت، طبعة ١٩٩٢م.
٢. محيط المحيط، المعلم، بطرس البستاني، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة ١٩٩٨م.
٣. تاريخ الجزائر العام، عبدالرحمان الجيلالي، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر ودار الثقافة - بيروت، طبعة ١٩٨٢م.
٤. تاريخ إفريقية الشمالية، أندريه، جوليان شارل، الجزء الثاني، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر - تونس والشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، طبعة ١٩٧٨م.
٥. نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، الجزء الثاني، المطبعة العربية - الجزائر، الطبعة الأولى.
٦. من أعماق الصحراء، د. صالح الخرفي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، طبعة نوفمبر ١٩٩١م.
٧. تاريخ بني ميزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، سعيد يوسف بن بكير الحاج، المطبعة العربية - الجزائر - طبعة ١٩٩٢م.
٨. من تراثنا الحضاري: الأوقاف الخيرية لمسجد القرارة، محمد بن صالح حمدي، مجلة «الحياة»، العدد الثالث، نشر جمعية «التراث» - القرارة (ولاية غرداية)، جانفي ٢٠٠٠م.
٩. بعض مظاهر الحياة في مدائن وادي ميزاب، نوّار لمباركية، مجلة «التراث»، العدد السادس، نشر جمعية التاريخ والتراث الأثري لولاية باتنة، سبتمبر ١٩٩٣م.
10 - Raverau Andre, le M'Zab, une lecon d'architecture, sindbad - paris, 2 Edition - 1981.

نجد في وجدان شاعر معاصر

محمد العيد الخطراوي
المدينة المنورة ـ السعودية


طاهر زمشخري

أما الشاعر فهو الدكتور حسن جاد ـ رحمه الله ـ أحد شعراء مصر المقلين، وكم من المقلين الذين هم أجدى على دنيا الشعر من المكثرين! وكان ـ رحمه الله ـ أيضًا من العلماء المبرزين في علوم العربية، وبخاصة الأدب والنقد والعروض، وقد أسهم في تخريج دفعات من السعوديين في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام أيام الكليتين، منهم الأستاذ صالح العائد ـ الرئاسة العامة لتعليم البنات، والأستاذ عبدالله الكنهل، والدكتور فهد السناني ـ الحرس الوطني، وكاتب هذه السطور، ثم تخرجتُ على يديه في الماجستير والدكتوراه بالجامعة الأزهرية، كما تخرج على يديه الإخوة الدكاترة: عبدالمحسن القحطاني، وأحمد الحكمي، وأحمد اليحيا وغيرهم. وقد أفدنا كثيرًا من توجيهاته العلمية والثقافية، فجزاه الله عنا خيرًا.

وأما القصيدة، فقد كتبها في مناسبة حفلية حين كان بالرياض أستاذًا بكلية اللغة العربية نحو سنة ١٣٧٩هـ.

ولقد جمعت بين العاطفة المتوهجة، والخيال المحلق، والجزالة العربية الأصيلة، ورصانة المعاني، والمضمون الذي يحملنا معه على جناح الشاعرية في رحلة من آفاق الماضي لـ (نجد) و(الرياض)، مرورًا بحاضرهما المتحفز آنذاك، أي منذ اثنين وأربعين عامًا، مع الاستشراف للمستقبل، أي الحياة التي نحياها نحن اليوم. يقول في مطلعها، وقد أغرته كلمة (نجد) بجرسها وبنيتها الصرفية والصوتية، فبنى عليها قافية القصيدة، واستوحى منها

ومن مرجعياته الشعرية البحر أيضًا فقال:

تلك الرياضُ ـ وهذه نجدُ
الشعرُ، والتاريخُ، والمجدُ
ماضي العروبة في مفاخرها
وعلى رباها رفرف الخلدُ
وأرومة الفصحى، وقد درجت
في حجرها، وصفا لها الوردُ
شبَّ البيانُ العبقريّ بها
فرعته، وهي لعبقر مهدُ
وعلى ثراها من مشارعه
هطلَ الحيا، وتفجَّرَ الصلدُ

ولعلنا نلتقي جميعًا على رأي واحد حين نصفق لهذا المطلع الذي يصلح لأن يتخذه أهل الاختصاص نموذجًا لجمال المطلع في الكلام الشعري، هذا المطلع الذي لم يختلط فيه الأمر على الشاعر بين (تلك) و (هذه)، وربما أحسّ آخرون أنه كان عليه أن يعكس، فالرياض هي القريبة، ونجد هي المتباعدة الأطراف، ولكن جلال الرياض وتعظيمها في نفسه، يجعلانه يعبر عن القريب بالبعيد، وذلك على حد قوله تعالى: *ذلك الكتاب لا ريب فيه*. **البقرة**:٢. أما نجد فلشدة حبه لها، فإن المسافات بينه وبينها تُلغَى فتغدو قريبة، أو كالقريبة: (هذه نجد)، والسؤال: ما جدوى هذه الإشارة، وهذا الاستحضار بهذا الشكل اللافت للمتلقي، الذي بطبعه سيستشرف لما سيقوله الشاعر، فيفاجأ بالشعر والتاريخ والمجد، تنصب عليه انصبابًا، فلا يملك منها خلاصًا، من أين؟ من الرياض القديمة التي هي جمع روضة، ومن الرياض العلَم على عاصمة المملكة العربية السعودية، من نجد التي نبتت في ثراها الشعريةُ العربية، وكل الشعراء العرب الفحول الذين أسسوا تقاليد الشعر العربي وقيمه الفنية، كالنابغة وزهير، وعنترة والملك الضلّيل.

ومن نجد المعاصرة المتوثبة إلى المجد، العطشى إلى العودة إلى الصفوف الأمامية، التي حققتها بعد ذلك بحمد الله! إن ماضيها هو ماضي العروبة كلها، فهي منبتها، ومنبت لغتها، وهي الأرض التي درج عليها شعرها ونثرها، وتوقدت فيها شرارة البيان العربي، وتفجرت ينابيعه العذبة الصافية، فكانت بذلك الأساس والمنطلق الذي ما نزال نحن إليه، ونمتار منه ونختار.

ثم يؤكد الشاعر شاعرية نجد مكانًا وسكانًا وأزمنة ووقائع فيقول:

كم أطلعتْ من شاعر هتفتْ
بقصيده الآرام والأسْدُ
عَصْما، إذا (ثهلانُ) رجّعها
صَغِتِ الربا، وتلفت الوهْدُ

صبا نجد

ولاحظ معي هذه الثنائية الجميلة التي تسيطر على وجدان الشاعر: (الرياض ونجد هطل الحياة وتفجر الصلد ـ الآرام والأسد ـ صغت الربا، وتلفت الوهد)،وستصادفنا في كل مقطع إذا لم يكن في كل بيت، وهو نوع من الإيقاع الممتع اللذيذ، النابع من داخل القصيدة نفسها، والتي هي من صنع هذا الفنان الرائع: حسن جاد، ولنستمع إليه يتحدث عن صبا نجد وبرقه فيقول:

يا نجد، أين صَباكِ ملهمةٌ
للشعر، وهي رقيقةٌ رَوْدُ
مسكيَّة النفحات، ضَمّخها
العَبْهرُ المنضودُ، والرَّنْدُ
والبرق حنَّ لخفْقِ وامضِهِ
قلبُ المشوق، فكاد ينقدُّ
كم شامهُ اللهفان مدّكرًا
وتوهّمتْهُ حُليَّها الخودُ
وشميم ذيّاك العرار وقد
رق العشيُّ، وراق يا نجدُ

وكم تغنى الشعراء بصبا نجد، ولَهًا، في الجاهلية والإسلام، معايشةً وتقليدًا، وحتى شعراء الأندلس الذين لم يروا نجدًا، ولا عرفوا صباها، تغنوا بهما ولهما، ليثبتوا عن طريق ذلك صدق ولائهم وانتمائهم إلى العروبة محتدًا ونجارًا، وثقافة وشعارًا، إلى أن جاء الشاعر السعودي المعاصر طاهر زمشخري، فكتب في صبا نجد ديوانًا يحمل اسمها، وكذلك تغنى كثيرون من الشعراء بقرارها وغضاها، فقال الشاعر:

ألا يا صبا نجد، متى هجت من نجد؟
لقد زادني مسراك وجدًا على وجد

وقال الآخر:

تمتع من شميم عرار نجدٍ
فما بعد العشية من عرارِ

شَمَماً، بواذخَ، كلما نهضت
عصماءُ فيها، طالها نِدُّ
طلعتْ نجوم الكهرباء بها
وازدانت الشُّرُفات، والعُمُدُ
وترى (الموارق) في طرائقها
زُمراً ينوء بحصرها العَدُّ

ربط بين ماضٍ وحاضر

ثم في محاولة منه للموازنة بين ماضي الرياض المجيد، وحاضرها العتيد قام الشاعر بقراءة استرجاعية لماضيها فيما يأتي، مستعرضاً بعض أمجادها الشعرية ليؤكد أهليتها للقيام بالدور الريادي من جديد، وقدرتها على الإسهام المشرِّف:

قف سائل الطلل المحيل بها
إن كان فيه لسائلٍ رَدُّ
أين المهلهلُ في ملاعبها
غزل الشباب، يروح أو يغدو
وعلى (عُنيزة) أو (بذي حَسَم)
كم شدّ، وهو الفارس الجَلْد!
يا نابغيَّ الليل، كيف ترى
ليلا ليوم الحشر يمتدُّ
كم شاق قبلك ذو القروح به
في إثمد، وأمضّه الرعدُ!
ناما بليل، ما لأوله
من آخر، أو يأتيَ الوعدُ
أغفى به الأعشى، وكان بها
صنّاجةٌ بسُرى الدجى تحدو
شدت أنامله على وتر
يطويه في (منفوحةٍ) لحدُ

فالمهلهل وحروبه وشعره، والنابغة ومغازلته وشعره، وامرؤ القيس وطَرديّاته وغزلياته وشعره، والأعشى وخمرياته ونزواته وشعره، وغيرهم من أبناء تلك البيئة الرعوية الشاعرة ها هم أولاء يمثلون مجداً شامخاً للكلمة العربية أيام شباب العروبة، وهي تولد طرية ناضجة مكتملة، تكحل الكون بفصاحتها ودلالتها الصافية، وموسيقاها الساحرة، فتَمثُل على أفواههم حكمة وسحراً، وبيانا حرّاً، يفعل في حياتهم الأفاعيل، إذ كانوا حريين بعيش بالكلمة وللكلمة، وكما يموت بالكلمة،



وإننا نكاد نسمع كل تلك الأصوات، بالإضافة إلى صوت ابن زريق في داليته الشهيرة، تتداخل مع قصيدتنا التي نتحاور معها اليوم، فتزيدها تلك الأصوات أصالة، وتفتح عليها كل نوافذ الإبداع، وترفدها بكثير من عناصر الإيهاج.

وعلى حافتي وادي حنيفة (أو وادي البطحاء) يلمح الشاعر معالم حضارات قديمة سادت ثم بادت، مما تحدثنا عنه الأخبار والأشعار، أو تحتفظ به مختزناً في الآثار، لتجتمع مع حضارة اليوم، وتتعانق مع مدينة العقود الكهربية، وكل معطيات الحضارة الحديثة ومنجزاتها، فيقول:

وعلى رمال البيد لاح لنا
وادٍ فسيح الأفق، ممتدُّ
مشت الحضارة في جوانبه
فصبا إليها السهل والنَّهْدُ
وبدت حواشيه مطرّزة
وكأنه من وشيها بُرْدُ
يجلو الرياضَ على ترائبه
مصقولة، فكأنها عقدُ

ويشقى أو يسعد بالكلمة، واستمر مجد الكلمة بهذه البيئة في الإسلام كما كان في الجاهلية:

ابكِ البيان الحر منذ نما
في الجاهلية غصنهُ الملْدُ
ما زلتِ في الإسلام حَلْبَتَهُ
وبه تدفق نبعُك العِدُّ

نلحظ الالتفات، أو الانتقال من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب، من هنا إلى آخر القصيدة، وهذا مظهر من مظاهر الثنائية التي أشرت إليها آنفًا، ونبهت عليها، وذلك - بلا شك - يعطي مساحة للتلذذ والاستمتاع، ناشئ عن التنويع والمغايرة التي تصل أحيانًا إلى درجة التقابل، فتجمع بين الشيء وضده في إطار جميل.

حياة جديدة

ويعرض الشاعر لما مرت به منطقة نجد في عصور مختلفة بعد ذلك إلى شيء من الإهمال، والابتعاد قليلاً أو كثيرًا عن مسرح التاريخ، فإن تحركت لم تعدُ حركتها حوافيها وأطرافها، إلى أن جاء آل سعود الميامين فأعادوا إليها نبع الحياة من جديد، فيقول مخاطبًا الرياض، ونجد:

حتى أظلَّكِ بعد منبهةٍ
ليلُ الخمول، وأطبق الرُّقَّدُ
فالنبع شحَّ، وغاض دافقُهُ
والروض جفَّ، وصَوَّحَ الورْدُ
والجهلُ أطفأ من خرافته
نور العقول، فأبهم القصدُ
ثم انتبهت على مجلجلةٍ
للبعث، يطلقها فتًى نجدٌ

إنه يريد بالفتى النجدي: الإمام محمد بن سعود، رحمه الله، ولذلك هو يذكر (العيينة)، و(الدرعية)، اللتين استعصتا على الشاعر عبر هذا البحر، فحذف (ال) من الأولى، وحول الثانية إلى وزن صرفي آخر فقال:

فسلي (عيينة) كيف ردَّدها
مثل الإمام إمامها الفردُ
(والدارعية) كيف رنَّ بها
صوتُ البشير، ورفرف البُنْدُ

وكان في إمكانه أن يقول: (فسلي العيينة)، أما الدرعية فعنيدة مستعصية على هذا الوزن، ولا يزال الشاعر معها، ولكنها تظل حصينة خلف أسوارها:

درع حمته حين لاذ بها
وجنودها للوائه جندُ

ويشير إلى لقاء السيف والقرآن في تأسيس الدولة السعودية فيقول:

والمشرفية للهدى سندٌ
والدين نعم العون والأيْدُ
تقوى السيوف الفاتحاتُ به
وبدعوة الإصلاح تشتدُّ
والمُلكُ ما لم يستقلَّ على
أسسٍ من الأخلاق ينهدُّ

ثم يقدم مجموعة من الأمنيات الطازجة ويطرحها في أسلوب ذكري مطبوع بالإشادة، أو في أسلوب إرشاد وتوجيه، يطرح ذلك أمام نجد والرياض، بل أمام بلاد العروبة جمعاء، فيقول:

قد ينهض الشعبُ الجريحُ إذا
لم ينطفئ من روحه الوقدُ
ويعود مرفوع اللواء وما
لمضيِّعٍ أخلاقهُ عَوْدُ
والعبد حُرٌّ من تخلُّقِهِ
والحُرُّ من شهواته عَبْدُ
قد أذّن الفجر المضيء فلا
يحجبْك عن أضوائه سَدُّ
صبحُ العروبة لاح بعد دجى
من ليلها، وتبيَّن الرُّشْدُ
فخذي مكانك في انتفاضته
نهض الأسيرُ، وحُطِّمَ القيدُ
قومي، انهضي، وابْني ولا تهني
كيما يعود لأرضك المجدُ
حيًّا صباحَ علاك مُطلعُهُ
وله الثناء الجمُّ والحَمْدُ
وسقا ديارَك غير مفسدها
غَدِقٌ عميمُ السحِّ يا نجدُ

هذه قصيدة لا نملك إلا أن نحيي صاحبها، وندعو له بالرحمة والإحسان جزاء ما أحسن، وهي - بلا شك - تحمل عواطف صادقة كل الصدق تجاه هذا البلد وقادته القدماء والمحدثين، فحيا الله صاحبها وبيّاه.

اتصال الشيخ حمد الجاسر بالأدب والأدباء

أحمد حسن الخميسي
حلب - سورية

عُرِفَ الشيخ العلامة حمد الجاسر بأنه مؤرخ وجغرافي ونسّابة، ولا سيما فيما يتعلق بشبه الجزيرة العربية، ولكنه على الرغم من انصرافه إلى التأليف والتحقيق في التاريخ والجغرافية والأنساب، كان حريصًا - منذ شبابه - على الاتصال بالأدب العربي قراءةً وكتابةً واطلاعًا ونقدًا، وحريصًا على الاتصال بالأدباء صداقةً ومحبة وعطاء.

فعندما كان طالبًا في المعهد الإسلامي نشر مجموعة من المقالات نقد في بعضها رواية علي أحمد باكثير «همام»، وهجا الشاعر الفزاري في الصحيفة التي كانت تصدر بالمعهد وهي «الشباب الناهض»، ثم كتب سلسلة من المقالات بعنوان إلى الشيخ حسن عواد في صحيفة «صوت الحجاز»(١).

الشيخ حمد الجاسر

ونظم حمد الجاسر - رحمه الله - عددًا من القصائد، مما يعني أنه بدأ حياته ناقدًا وشاعرًا، ولكنه انصرف فيما بعد إلى البحث والدراسة والتحقيق والرحلات، وفي أثناء ذلك دوّن بعض آرائه الأدبية في مجلة «العرب» التي أصدرها.

متابعته للحركة الأدبية في مصر

لقد نشأ حمد الجاسر على حبِّ الفنون الأدبية، فقرأ دواوين الشعراء، ونظم الكثير من القصائد، ودخل أيام شبابه السينما، وشاهد المسرحيات، واستمع إلى الأغنيات، فعندما ذهب إلى مصر، انفتح على المجتمع المصري، ولا سيما الوسط الثقافي، وعن ذكرياته في مصر يقول:

«أذكر أن أول رواية شاهدتها في (السينما) رأيت فيها محمد عبدالوهاب يغني (ياوابور قل لي رايح على فين).

ومما سمعت من أغاني أم كلثوم التي كانت تكرر في المقاهي في ذلك العهد (ليه تلاوعيني وأنت نور عيني) وبعد ذلك ما أصبحت أميل إلى الاستماع لهذا النوع من الغناء العامي، ولكن إلى التغني بالشعر الفصيح كقصيدة (نهج البردة) لأحمد شوقي، وقصيدة (أراك عصي

الدمع) لأبي فراس الحمداني ونحوهما.

وكنت أرتاح لما كان يمثل في مسرح (الريحاني) من روايات، وأعجب بمقدرته هو وبعض أفراد فرقته على التمثيل»(٢).

إن هذا التوجه نحو السينما والمسرح والاستماع إلى الغناء بالفصحى ومشاهدة المسرحيات، واختياره الدراسة في كلية الآداب في القاهرة، وعزوفه عن دراسة العلوم الشرعية في الأزهر، يدل على أن حمد الجاسر - في ذلك الوقت - كان متوجهًا بكليته إلى الأدب العربي، ولو أن دراسته في القاهرة استمرت ولم تنقطع، لكان له توجه غير الذي صار إليه، والله أعلم. ولقد صرح عن رغبته في دراسة الأدب بقوله «وبعد وصولي إلى القاهرة أوضحت للمراقب رغبتي في دخول كلية الآداب في الجامعة، فمانع وبإلحاح أبرق للسيد طاهر الدباغ عن ذلك، فأجابه، بأن أدخل كلية أرغب دخولها وأقبل فيها».

وقابل حمد الجاسر بعدها عميد الكلية محمد شفيق غربال)الذي حوّله إلى طه حسين عميد الكلية السابق، وتم قبوله في كلية الآداب، وبيّن لنا من خلال مقابلة حمد الجاسر لطه حسين أن الجاسر قرأ الكثير من الكتب الأدبية القديمة والحديثة، يقول عن تلك المقابلة: «سألني طه حسين عما قرأته من كتب الأدب القديم والحديث، فسردت عليه ما حضر في ذهني منها، ومن بين المؤلفات الحديثة بعض مؤلفاته ومؤلفات العقاد والمازني، وأحمد أمين والرافعي...»(٣).

وبعد عودة حمد الجاسر إلى بلاده من مصر، ظل على تواصل مع الحركة الأدبية في مصر وتطورها، وخاصة بعد أن انتخب عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

كان يستفيد من الشعر في دراساته الجغرافية والتاريخية واللغوية، إذ يعدّ الشعر أحد المصادر البحثية عنده، لذا نجده يكثر في كتبه من الاستشهاد بأبيات الشعر



عباس محمود العقاد

اتصاله بالأدب

لقد اتصل الشيخ حمد الجاسر - طوال حياته - بالأدب، ومن مظاهر هذا الاتصال: إبداؤه الآراء النقدية الأدبية، ولقد صرح بذلك في كثير من حواراته وكتاباته ومؤلفاته.

رأيه في الأدب الإسلامي

ففي حوار معه في مجلة الأدب الإسلامي - التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي - قال: «لاشك أن الأدب الإسلامي هو الأدب العربي بصفة عامة الذي يعتمد اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

ثم قال: لاشك أن الدعوة إلى الأدب الإسلامي للوقوف أمام تيار المذاهب الأدبية الدخيلة الصادرة عن معتقدات بعيدة عن الإسلام من أوجب الواجبات على كل مسلم.

وتابع الشيخ حمد الجاسر في حديثه يشجع المجلات الأدبية التي تتضمن الأدب العربي الإسلامي، فأثنى عليها، ولاسيما مجلة الأدب الإسلامي: إنني أسر بكل رافد من روافد الثقافة العربية متى أحسست بنبل الغاية، وحسن المقصد، وسلامة الأسلوب، وأقصد بهذا سيره على النهج العربي الفصيح، وهذه الأمور مما رأيتها ممثلة في هذه المجلة الناشئة القوية في أبحاثها ومظهرها(٤).

رأيه في الأندية الأدبية

الشيخ حمد الجاسر، على الرغم من انشغاله بالتأليف والتحقيق والرحلات، كان يتابع الحركة الثقافية والأدبية في الجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي، وقد سئل عن الأندية الأدبية ومدى نجاحها وأنشطتها فقال: الأندية الأدبية من أبرز ظواهر الحركة الثقافية في بلادنا، وهي في حد ذاتها عمل نافع حقًا.

وعن أنشطتها وما تنشره من مقالات في مجلاتها

الدورية قال: ولا أعتقد أن هذه النوادي كل ما فيها يتصف بصفة الجودة، ويجب أن يدرس كل ما ينشر فيها ويختار الشيء الطيب منه... فإننا نجد من بين ما ينشر ما يضحك!!

رأيه في المعارك الأدبية

وسئل مرة عن المعارك الأدبية التي خاضها فقال: هناك معركتان جرتا بيني وبين الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري.. أبرزتا جوانب كثيرة من أفكاري وآرائي وأفكاره وآرائه بالنسبة إلى ما كتَبَ عني وما كتبْتُ عنه، وكنت أتمنى أن يُطبع هذا النقاش الذي دار بيننا لكي يطلع الناس على الموضوعات التي تطرق إليها هذا الحوار(٥).

لقد كان الشيخ الجاسر يخوض معاركه الأدبية والعلمية بروح الباحث الذي يريد الوصول إلى الحق، وإبداء وجه الصواب دون أحقاد ولا بغضاء.

رأيه في الشعر العربي

ومن صور اتصاله بالأدب العربي، نظمه الشعر في شبابه، وطرحه بعض الآراء النقدية في الشعر العربي من خلال حوارات معه أو مقالات كتبها.

لقد نظم حمد الجاسر في بداياته الشعر، ونشر بعضه، إلا أنه صرح بأن ما كتبه يعد نظمًا وليس شعرًا، يقول عن ذلك «كنت إبّان الطلب، أنظم شيئًا يسمى شعرًا، وهناك فرق بين الشعر والنظم، فالنظم هو الكلام الموزون، أما الشعر فهو الكلام الموزون الصادر عن عاطفة شعورية عميقة جدًا بحيث إنه يؤثر في السامع، والشاعر يقول:

إذا أنت لم تعرف سوى الوزن وحده

فقل أنا نظّام وليس بشاعر

فأنا كنت نظّامًا...».

وعلى الرغم من ذلك فإن حمد الجاسر قد كتب قصائد متميزة ترقى إلى مستوى الشعر الجيد، وشهد بذلك بعض الأدباء، فقد ألقى في بغداد قصيدة، قال عنها الأستاذ اللغوي صبحي البصام: «حمد الجاسر شاعر مجيد يدلني على ذلك قصيدة كافيّة ألقاها ببغداد كانت من غرر الشعر بزّ فيها الشعراء جميعًا»(٦).

وقال ذات مرة بعد أن سئل عن الشعر والغموض فيه: «الشعر في رأيي هو ما حرك الشعور، وهو ما حرك العاطفة، كما قال الشاعر:

إذا الشعر لم يهززْكَ عند سماعه

فليسَ جديرًا أن يقال له شعرُ

فالكلام المرصوف لا يسمى شعرًا، وإن كان موزونًا، وهذا الذي يسمى شعرًا هو نثر مؤثر، تسميته شعرًا لا تنطبق مع القواعد العربية، لأن الشعر عند العرب: الكلام الموزون المقفى، ويبقى أن يضاف إلى ذلك المؤثر في العاطفة أو في النفس.



طه حسين



علي أحمد باكثير

أما هذا الذي يؤثر في العواطف ويؤثر في الشعور، ويحس من يسمعه بأن له أثرًا عميقًا في نفسه، وهو غير موزون، وأنه لا ينفي أن يقال بأنه شعر، إنما يقال نثر بليغ، والعرب يعرفون هذا، ولأدبائهم في هذا المجال ما لا يمكن أن يجارى أو يبارى.

أما عن الغموض في الشعر فهو يرفضه بقوله: «الغموض في الشعر من الأمور التي تجعله غير مفهوم عند جميع القراء، والكلام الذي لا يفهم لا فائدة منه» وأنا أكره هذا النوع مما يسمونه شعرًا، وليس بشعر.

الشعر هو ما استفيد منه.. هو ما تأثر به المرء، فإذا كان الكلام غير مفهوم، فكيف يؤثر فيه؟ وعندما لا يؤثر

في السامع فما هي الفائدة منه»(٧)، ونستطيع أن نستنتج من كل ما سبق أن الشعر عند حمد الجاسر هو النظم الموزون الذي لا غموض فيه، ويصدر عن عاطفة، ويؤثر في العواطف والمشاعر، ويلاحظ أن الشيخ حمد الجاسر لم يشترط القافية، وهذا يعني أنه يؤيد شعر التفعيلة الذي ظهر في القرن العشرين.

وثمة رأي للشيخ حمد الجاسر في الشعر الشعبي يقول فيه: الشعر الشعبي سبق أن أوضحت أنه من أدبنا المتوارث منذ فترة، وأثنيت على ما كان لمشاهير شعرائه الذين يستفيد القارئ من شعرهم أخيلة شعرية جميلة، وحثًا على مكارم الأخلاق بلهجات عربية فصيحة وإن نقصها الإعراب، فضلاً عما يحويه ذلك الشعر من ذكر حوادث تاريخية من تاريخ البلاد لم تدون في كتب التاريخ، ولكنني بعد ذلك صدمت حينما صرت أستمع إلى برنامج البادية في الإذاعة بسماع أنواع من ذلك الشعر محرّف اللهجات مغيّر المعاني قد زيد فيها ما ليس منها(٨).

إلى جانب هذه الآراء كان للجاسر اتصال بالأدب كتابة وتحقيقًا واقتباساً فقد كتب عن سوق عكاظ مقالاً، وأرسله لينشر في إحدى المجلات المصرية، ثم نشر هذا المقال في كتاب عبدالوهاب عزام «موقع عكاظ».

وطلب منه الأستاذ عبدالله عريف رئيس تحرير جريدة «البلاد السعودية» كتابة مقال بعنوان «منى في الأدب العربي» لينشر في عدد سيصدر يوم عيد الأضحى، ويوزع في أيام منى فكان ذلك.

ولا ننسى أن الشيخ حمد الجاسر حصل على أكثر من جائزة أدبية؛ لأنه يعد أديباً من أدباء الرحلات، فقد كتب رحلاته التي قام بها داخل الجزيرة العربية وخارجها بأسلوب أدبي رفيع، ونال جائزة الدولة التقديرية في الأدب سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي (أدب الرحلات في التراث العربي تحقيقًا ودراسة) سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م(٩).

ومن صور اتصاله بالأدب العربي، أنه كان يستفيد من حكم الشعر في بعض مواقفه.

يقول في موقف من مواقفه (الأمور في أول الأمر أمرها لا تجابه بالرفض، وخاصة ممن لا يقوى على المجابهة، ولهذا رأيت السير على هدي الشاعر:

لكل شيء مدة وتنقضي

ما غلب الأيامَ إلا مَنْ رَضي(١٠)


أحمد أمين

وكان يكثر من استشهاده بأبيات شعرية في مقالاته، ففي السانحة ٨٧ من سوانح ذكرياته في المجلة العربية يستشهد بقول الشاعر:

أحسنْ إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

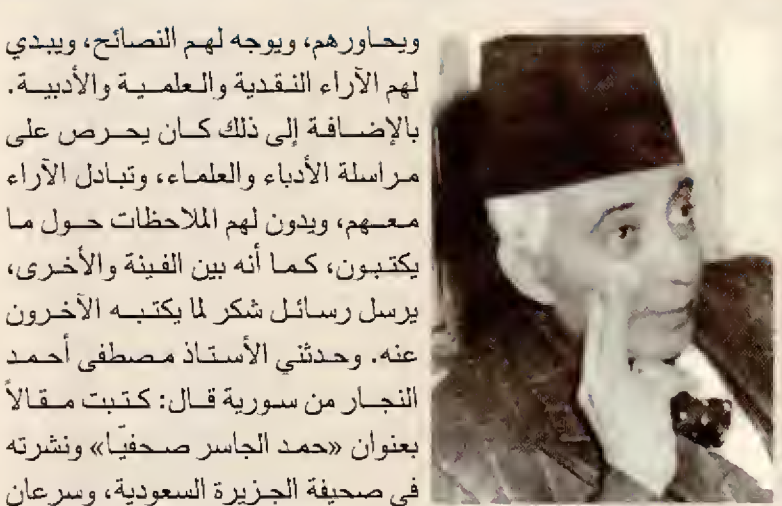
كما أنه كان يستفيد من الشعر في دراساته الجغرافية والتاريخية واللغوية، إذ يعدّ الشعر أحد المصادر البحثية عنده، لذا نجده يكثر في كتبه من الاستشهاد بأبيات الشعر.

اتصال حمد الجاسر بالأدباء

لم يكن اهتمام حمد الجاسر مقتصراً على الدراسة والقراءة والمطالعة والنقد في مجال الأدب، بل كان يحرص طوال حياته على لقاء الأدباء والشعراء فيسمع منهم، ويحادثهم، ويجيب عن تساؤلاتهم، ولاسيما المعروفين منهم، بالإضافة إلى من لقيهم خلال بعثته إلى مصر.

وذكر هذه اللقاءات في كتاباته، فعلى سبيل المثال لا الحصر تحدث عن لقائه بعض الأدباء والشعراء في الأحساء عندما كان يعمل هناك، يقول في السانحة ٨١ من سوانح ذكرياته في المجلة العربية عن ذلك، وبواسطة الشيخ يوسف حظيت بمعرفة أبرز مشاهير

هذه الأسرة (أسرة آل مبارك) ومنهم - بل أعلم من قابلته في هذه المدينة - الشيخ عبدالعزيز بن حمد آل مبارك، وكان على درجة عظيمة من حسن السمت، ورجحان العقل، وكرم الأخلاق، وعرفت آخرين غيره من هذه الأسرة من ذوي الفضل والعلم والأدب، ومنهم الأستاذ أحمد بن رشاد آل مبارك من الأدباء والشعراء البارزين، قرأت له مقطوعات شعرية نشرت في مجلة الأمالي التي كان يصدرها الدكتور عمر فروخ في لبنان(١١).



إبراهيم عبد القادر المازني

كما أنه كان حريصًا كل الحرص على الاتصال برجال الفكر والأدب والثقافة في الوطن العربي والإسلامي، وكان وفيًا في وعوده وصداقته، وكان يتحيّن الفرص للاجتماع بهم، يقول الدكتور جورج جبور من سورية: «تكرمت إدارة مهرجان الجنادرية في آذار عام ١٩٩٧م فدعتني شاهداً ليس له نصيب خاص في البرنامج، ومع ذلك قبلت، ولم يكن قبولي إلا حبًا في أمرين: في أن أزور المملكة التي لم تسبق لي زيارتها، وفي أن يساعدني الحظ، وأن ألتقي الشيخ العلاّمة حمد الجاسر.. وأول اتصال هاتفي أجريته منذ وصلت الرياض كان معه، ثم لم يشأ الشيخ إلا أن يكرمني بحفل عشاء، ولم يشأ إلا أن يبالغ في إكرامي، فأصر عليّ أن أوافيه ومعي من أشاء من الأصدقاء»(١٢)، وكان فيهم الأديب والطبيب والسفير والعالم.

ومثل هذه اللقاءات كثيرة داخل المملكة وخارجها، وكان أبرزها لقاؤه الأسبوعي مع الأدباء والمثقفين في مجلسه ضحى كل خميس، يرحب بهم، ويحادثهم، ويحاورهم، ويوجه لهم النصائح، ويبدي لهم الآراء النقدية والعلمية والأدبية. بالإضافة إلى ذلك كان يحرص على مراسلة الأدباء والعلماء، وتبادل الآراء معهم، ويدون لهم الملاحظات حول ما يكتبون، كما أنه بين الفينة والأخرى، يرسل رسائل شكر لما يكتبه الآخرون عنه. وحدثني الأستاذ مصطفى أحمد النجار من سورية قال: كتبت مقالاً بعنوان «حمد الجاسر صحفيًا» ونشرته في صحيفة الجزيرة السعودية، وسرعان ما حصل الشيخ حمد الجاسر على عنواني، وأرسل إليّ رسالة يشكرني فيها عميقًا لمقالي عنه، ويبدي حرصه الشديد على التواصل والتعارف والمودة...».

ولو تتبعنا مراسلاته مع الأدباء والكتاب لاحتجنا إلى دراسة طويلة مستفيضة.

وتجلى اتصال الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - بالأدباء إلى جانب ذلك كله بأنه كان يهديهم الكتب، ويتقبل منهم هداياهم، ويؤمن لهم المخطوطات والمؤلفات التي تفيدهم في بحوثهم، وقد روى أصحابه عن ذلك الكثير.. مما يدل على أن تواصل الجاسر والأدباء كان تواصلاً عميقًا يدل على خلق رفيع ووفاء للأدب والأدباء منقطع النظير، على الرغم من انشغاله بالجغرافية والتاريخ وغيرهما من البحوث، وهذا يؤكد أن الشيخ العلامة حمد الجاسر - رحمه الله - كان عالمًا موسوعيًا، تابع الحركة الثقافية والأدبية باهتمام بالغ طوال حياته، فأخذ منها وأعطاها، وترك بصماته الأدبية التي تستفيد منها الأجيال على مر الأيام.

المراجع

١- مجلة آفاق الثقافة والتراث، دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد (٣١)، رجب ١٤٢١هـ، ص١١٠.

٢- من سوانح الذكريات، حمد الجاسر، المجلة العربية، الرياض، العدد ١٨١، صفر ١٤١٣هـ.

٣- المرجع نفسه.

٤- مجلة الأدب الإسلامي، الدكتور عائض الردادي، العدد ٢٥، ١٤٢١هـ.

٥- من سوانح الذكريات، حمد الجاسر، المجلة العربية، الرياض، العدد ٢٥٣، صفر ١٤١٩هـ.

٦- حمد الجاسر: جغرافي الجزيرة العربية، أحمد العلاونة، دار القلم، دمشق ص٢٠.

٧- حوار مع الشيخ حمد الجاسر، المجلة العربية، الرياض، العدد ٢١٤، ذو القعدة ١٤١٥هـ ص٥٥.

٨- آخر لقاء مع حمد الجاسر، المجلة العربية، الرياض، العدد ٢٨٢، رجب ١٤٢١هـ.

٩- حمد الجاسر جغرافي الجزيرة العربية، أحمد العلاونة، دار القلم، دمشق، ص٣٢.

١٠- من سوانح الذكريات، حمد الجاسر، المجلة العربية، الرياض، العدد ١٩٢ محرم ١٤١٤هـ.

١١- من سوانح الذكريات، حمد الجاسر، المجلة العربية، الرياض، العدد ١٧٣، ربيع الآخر ١٤١٣هـ.

١٢- مجلة الثقافة، جورج جبور، دمشق، عدد ذي الحجة، سنة ١٤٢١هـ.

الكرامة وثمنها

عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر
الرياض - السعودية

الكرامة صفة تلابس الإنسان ليوصف بحسن الخلق إذا توافرت له، فيوصف، من اتصف في بعض المواقف بها، بأنه صاحب عزة، وبأنه أبيّ. ومن عنده كرامة رفعته هذه الكرامة عن مزالق الرذائل، ومساقط الدناءة، لأنها تحرك عنده الغيرة على سمعته، فيتجنب تعريفها لأي خدش أو إساءة.

هذا عنده كرامة، فلا يقبل من نفسه أن تمشي إلى الخطأ، وهو يعلم أنه خطأ، ولا يرضى أن يتحدث الناس عنه بما يجرح كرامته، أو بما يمس سمعته، أو يشوه في المجتمع صورته؛ وهذا عنده كرامة، فلا يقبل الضيم، ولا يصبر على هضم حق من حقوقه، بما يجرئ الناس عليه، ولا يقبل ما قد يصفه به الناس من أنه حائط قصير سهل على أي إنسان أن يقفز فوقه، دون أن ينال عقاباً على ذلك؛ وهذا عنده كرامة، فلا يغضي عن خطأ رآه يقع في مجتمعه على ضعيف، لا يستطيع أن يرد الأذى يصب عليه، فلا يرضى إلا أن يأخذ على يد القوي المخطيء لمن وقع عليه الخطأ، ولم يستطع رده.

فما دامت الكرامة قنديلاً مضيئًا، فالسير في ضوئه، والاهتداء بإشعاعه، أمر يستحق العناء، وما قد يأتي من أذى في سبيل التمسك به، وإيفائه حقه، وعلى هذا فقد يكون الثمن حياة الإنسان، كما عرف عن قائدين تقدما في صف واحد، لمقاتلة خصم تبين أن النصر سوف يكون في جانبه، لأن الأسباب كانت في جانبه، وبعضها كان آتيا من الطقس وطبيعة الوقت، وبعضها يعود إلى الاستعداد ونوع العدة والسلاح، مما لم يحسب حسابه هذان القائدان؛ ففي ضوء ما تبين وجد أحد القائدين أن من الحكمة أن يكتفيا بما قاما به حتى الآن من قتال، ولكن القائد الثاني لم ير هذا الرأي ورآها فرصة للمزميله، ومن باب التحريض أيضًا، قال له: يبدو أنك جبنت، فتحركت الكرامة عند الثاني، ولم يذكر غيرها ونسي الخطر المحقق من دخول المعركة القادمة، فرد بما يحفظ كرامته متبعًا القول بأنه لم يجبن، بأن اندفع على الفور إلى الاستعداد لخوض المعركة القادمة، وسرعان ما وقعت وقتل فيها وقتل كثير من أبناء وطنه، وأسرته، ولم يبق في بلدته بيت إلا وفيه جريح، أو نواح على قتيل.

غيرة هذا القائد على كرامته جعلته يمشي بقدمين ثابتتين إلى الموت، مع علمه أن الكلمة التي قالها زميله القائد الثاني هي استنهاض له، لأنه يعرف شجاعته، وإقدامه، ولكنه خشي أن تسري الكلمة، فتثبت في أذهان من لا يعرفونه.

وهذه الكلمة الحادة نجحت في استخراج الكرامة من جرابها، وفعلت فعلها، وأصبحت سلاحاً باتراً تغلغل حتى جاء بالمطلوب ومات القائد، وبقيت سمعته، تحميها كرامته، لامعة كالشهاب، مضيئة كالنجم، تتخلل العصور، والأزمان، بقيت تبرق بريق الذهب، وتشع إشعاع الجوهر، وبقي صاحبها قدوة في الشجاعة، والمحافظة على العزة والكرامة. لقد انكسر الإناء بموت الرجل القائد، وبقي محتواه محفوفاً بالاحترم والتبجيل.

ومما حوته كتب التراث من قصص الأمم السالفة، مما يصور الكرامة، والمحافظة على المستوى الخلقي، الذي عرف به صاحب الأمر، مما أوصله إلى مجلس ملك الهند؛ يقول صاحب كتاب عيون الأخبار: «قرأت في كتاب للهند: أنه أهدي لملك الهند ثياب وحليّ فدعا بامرأتين له، وخير أحظاهما عنده بين اللباس والحلية، وكان وزيره حاضراً، فنظرت المرأة إليه كالمستشيرة له، فغمزها باللباس، تغضيناً بعينه، ولحظه الملك، فاختارت الحلية، لئلا يفطن للغمزة.

ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه لئلا تقر تلك في نفس الملك، وليظن أنها عادة، أو خلقة، وصار اللباس للأخرى؛ فلما حضرت الملك الوفاة، قال لولده «تَوَصَّ بالوزير خيراً، فإنه اعتذر من شيء يسير، أربعين سنة».

(عيون الأخبار:١/٧٧)

الحوت القاتل

وليام كرومي
ترجمة:
فاضل كمال الدين
بابل ـ العراق



كان هربرت يونتنغ، المصور الفوتوغرافي الرسمي للبعثة البريطانية «تيرا نوفا»، يقف بالقرب من حافة الجليد في القطب الجنوبي وهو يركز آلة التصوير في مجموعة من الحيتان القاتلة الموجودة في الخليج، وفجأة ارتفع الجليد البالغ سمكه ثلاث أقدام تحت قدميه وتحطَّم.

وكان هناك صوتٌ لاهث مرتفع، وانغمر «يونتنغ» في هبَّة من هواء حارّ لاذع كان يحمل رائحة سَمَك حادّة. كانت هناك ثمانية من الحيتان القاتلة تحت قدميْ «يونتنغ» بعد أن كسرت الجليد بظهورها وتركته يقف معزولاً على قطعة صغيرة من الجليد العائم. ثم بدأت هذه القطعة من الجليد تهتز بشكل مهتاج، وأظهرت الحيتان رؤوسها الضخمة السوداء والبيضاء. وكان هناك رأس قبيح ومملوء بالأسنان على بعد اثنتي عشرة قدمًا من «يونتنغ».

قفز المصور الفوتوغرافي إلى قطعة جليد عائمة وقريبة منه، ثم إلى قطعة أخرى وأخرى. ولكن الحيتان القاتلة تبعته وكانت تحاول نَهش عَقِب قدمه، وكانت كأنها مجموعة من ذئاب جائعة. وفي أثناء ذلك، ابتعدت قطعة الجليد الصغيرة العائمة، والتي كان «يونتنغ» يقف فوقها، عن الجليد المتماسك بحيث إنه لم يستطع القفز للوصول إليه. ولكن وبضربة حظ، دفعت تيارات الماء قطعة الجليد الصغيرة إلى الوراء.

أكثر الحيوانات المفترسة إرعابًا

وقام «يونتنغ»، وهو ما يزال يقبض على آلة التصوير بإحكام، بقفزة حياة أو موت. فوصل إلى الجليد المتماسك، وبدأ يركض هاربًا، ولم يلتفت إلى الوراء إلا مرة واحدة فقط، فرأى رأسًا ضخمًا أسمر مصفرًا وهو يخرج من الماء ويستقر على الجليد وينظر إلى ما حوله بعينيه الصغيرتين الخنزيريتين ليرى أين أصبح «يونتنغ».

والصفات التي يتصف بها الحوت القاتل، وهي الذكاء والسرعة والحجم والقوة، تجعله واحدًا من أكثر الحيوانات المفترسة إرعابًا على وجه الأرض، ولكونْ الحوت القاتل في منجى من التحدي من قبل أي مخلوق، ومن قبل الإنسان أيضًا، فهو يجوب كلّ محيط من المحيطات وهو يأكل كلَّ ما يستطيع الإمساك به من أسماك وفقمات وبطريق وخنازير البحر. وفي حين أن خنازير البحر تستطيع السباحة بسرعة مقدارها خمسة وعشرون ميلاً في الساعة، تستطيع الحيتان القاتلة تسجيل سرعة



يمكن أن يصل طول الحوت القاتل البالغ إلى ثلاثين قدمًا

مـقـدارها أربـعـة وثلاثون ميلاً في الساعة ممّا يجعلها واحدة من أسرع المخلوقات السـابـحـة في الـبـحـر. وطعـامـهـا الرئيس هو الأسماك حيث إنها تلتهم مـئـات منهـا في المرة الـواحـدة، ولكنهـا هي تسـتـمـتع أيضًا بالتـهـام الحيوانات ذات الدم الحار. ويُقـال إن مـعـدة الحـوت القـاتل، الذي يبلغ طـوله إحـدى وعـشـرين قـدمًـا، تستوعب ثلاثة عشر من خنازير البحر وأربع عشرة من الفقمات.

في عـام ١٩٥٧م، كنتُ قد نزلت على الساحل في القطب الجنوبي بصـفـتي عضواً في جماعة علمية

أكبر مفترس جشع على وجه الأرض هو المفترس ذو الساقين أي الإنسان

وبمناسبة «السنة الجيوفيزيائية الدولية». وكنتُ سابقًا قد شاهدتُ حيتانًا قاتلة في رحلة سابقة لي إلى القطب الشمالي، وكنت أراها وهي تسبح تحت الجليد الطافي على الماء حيث كانت تجلس فوقها الفقمات التي كانت تعرض نفسها لأشعة الشـمس. فكنتُ أرى تلك الحيتان وهي تقلب قطع الجليد الصغيرة تلك بظهورها الجبارة ثم تدفع بتلك المخلوقات المطمئنة إلى فمها المملوء بأسنان حادة، وكنت أرى صغار الفقمات وهي تلجأ خائفة إلى ظهور أمهاتها ثم تسقط وأخيراً تستسلم لمصيرها.



نهم!!

والآن وفي صباح يوم من أيام كانون الثاني، رأيتُ مثالاً، آخر على نهم الحوت القاتل وعلى

خفة حركته العجيبة، وكنتُ أنا وأحد أصدقائي نقوم بدراسة مجموعة من الفقمات على الجليد. وكانت هناك فقمة كبيرة الحجم في مكان منعزل وتنام بالقرب من حافة الجليد، وكان طولها نحو عشر أقدام، وكانت سمينة.

وعندما كنّا نراقب تلك الفقمة، رأينا مجموعة من الزعانف كأنها السيوف القاطعة، وهي تشق الماء الهادئ وعلى بُعدْ نصف ميل منا تقريباً.

فهرعتُ ورفستُ الفقمة النائمة رفسة شديدة. ولكنَّ الفقمة لم تتحرك. وكان هناك، من جهة البحر، ستة أو سبعة من الحيتان القاتلة التي كانت تكسر السطح الجليدي وتنبثق من الماء في وقت واحد. فوضعت حذائي الثقيل، حذاء التزلج على أنف الفقمة الحساس. وعند ذاك، استيقظت الفقمة وهي تحملق فيّ باندهاش. فصرخت في الفقمة مشيراً إلى تلك الزعانف التي كانت تقترب بسرعة، ثم استدرت وركضتُ هارباً.

وكنت مطمئنًا إلى أني قد أنقذت حياة الفقمة، غير أني عندما نظرتُ ورائي، رأيتُ أن الفقمة لم تغادر مكانها السابق وهي تنام دون مبالاة بالزعانف المهددة. وبعد مرور ثوانٍ قليلة، انبثق خارجًا من الماء أحد رؤوس تلك الحيتان وفي موضع لم يكن يبعُد عن حافة المساحة الجليدية الصلبة الواسعة سوى أقدام قليلة، وبعد أن قذف الحوت القاتل بثلث بدنه فوق الجليد، أنشَبَ أسنانه، التي طول الواحد منها ثلاثة إنشات، في جلد الفقمة وسَحَبَ ذلك الحيوان، الذي يزن ألف رطل، فوق حافة الجليد وكأنه ليس سوى لعبة من لُعَب الأطفال الخفيفة.

يهاجم الحوت القاتل أيّ شيء يتحرك، بما في ذلك الحيتان الأخرى والفقمات الجالسة على قطع صغيرة من الجليد العائم



الحوت القاتل هو أشرس المخلوقات التي تسبح

واختفت الفقمة بعد عددٍ من الاهتزازات والتشنجات في جسمها وبعد ضربات مجنونة من زعانفه.

ويبلغ حجم الحيتان القاتلة من ضعفين إلى ستة أضعاف حجم الدولفين أو خنزير البحر، بحيث يصل طولها الأقصى إلى نحو ثلاثين قدمًا. وهي مثل خنازير البحر عديمة الشعر وانسيابية الشكل مما يحقق لها سرعة الحركة في الماء، ولها خرطوم مدورٌ ومن عشرة إلى أربعة عشر زوجًا من الأسنان الثقيلة المتشابكة في كلِّ فك. ويستدق تدريجيًا بدنُ الحوت القاتل لينتهي بزعنفتين أُفقيتين وعريضتين توفران، مع الزعنفتين الأماميتين وحركات البدن المتنافسة، اندفاعًا صامتًا للحوت وقدرة كبيرة على المناورة وسرعة كبيرة.

ومن السهل تمييز الحوت القاتل، ويتم ذلك بملاحظة اللّونين المميزين له إذ إن بطن الحوت البالغ وبلعومه يكون لونْهما أبيض شاحبًا. ويمتد اللون عادةً إلى جانبيْه وبشكل سرْج الحصان. ويكون ظهرهُ أسود اللون تمامًا مثل ظُلْمة منتصف الليل، ويمكن تمييزه بسهولة أيضًا، من الزعنفة المثلثة الشكل الكائنة في منتصف ظهره والتي يكون ارتفاعها، في الذكور البالغة، ست أقدام وتكون الإناث أرشق من الذكور بكثير في كل شيء، ويبلغ طولها نصف طول الذكر أي نحو خمس عشرة قدمًا.

حاسة سمع قوية

ولكن كيف تجد الحيتان القاتلة طعامها؟ هي لا تستطيع الرؤية إلى حدّ مسافة تزيد على مئة قدم، وهي تفتقر إلى حاسة الشم القوية الموجودة في القرش، ولكنها تتمتع بحاسة سمع قوية، وكما هو الحال في جميع أنواع الحيتان، إذْ هي تستطيع سماع أصوات لا يستطيع الإنسان سماعها، وهي تستطيع أيضًا التحديد الدقيق لمكان مصدر الصوت.

وكما تفعل خنازير البحر، تقوم الحيتان القاتلة بتحديد موقع فريستها تحت الماء بواسطة موجات صوتية تنعكس منها إلى الفريسة أي بواسطة جهاز «سونار» داخلي. فخنازير البحر تصنع ضوضاء صاخبة تولّد موجات وتجعل المخلوقات تثب فجأة من أماكنها. وبهذه الطريقة، هي تحدد مواقع طعامها بواسطة الأصداء المرتدة. وتكشف الأشرطة المسجلة عن أن الحيتان القاتلة تصنع هي أيضًا أصواتًا صاخبة، وهي تتحدّث بعضها مع بعض بأصوات شبيهة بصرير الأبواب مستخدمة صفيرًا مرتفعًا.

وتنتقل الحيتان القاتلة بشكل مجموعات تضم من ثلاثة إلى أربعين حوتًا، تقوم الإناث والصغار بالسباحة سوية وبشكل متقارب بينما تسبح الذكور وحيدة أو في مجموعات أصغر وعلى بُعْد مسافة معينة وكثيرًا ما تشاهد وهي تقفز خارجة من الماء.

وهناك مثال على هجوم تعاوني تقوم به الحيتان القاتلة ويذكره لنا صائدُ الحيتان «فرانك بولن» في كتابه المعنون «تطواف حوت العنبر». فبينما كان هو في رحلة لصيد الحيتان في شمال المحيط الهادي، رأى واحدًا من حيتان البحار القطبية الشمالية، حوتًا بطيء الحركة وذا رأس كبير. وكان ذلك الحوت قريبًا من السفينة وكأنه في مأزق كما هو واضح. ولم يكن «فرانك بولن، يستطيع، في البداية، معرفة حقيقة الأمر. ثم قفز أحد الحيتان القاتلة خارجًا من الماء بكامل بدنه واستقر، بكل ما فيه من وزن على ظهر ذلك الحوت الضخم وكأنه كان بذلك يحاول إجبار الحوت الضخم على الاستسلام. ولم يبد أن الحوت الضخم كان قادرًا على السباحة والهرب أو على مقارعة الحوت القاتل الواثب . ولم يكن بولن يعرف



يسبح الحوت القاتل بسرعة تصل إلى أربعة وثلاثين ميلاً في الساعة



يصطاد الحوت القاتل عادة في شكل مجموعات

حقيقة ما كان يجري إلا بعد أن رفع الحوت الضخم رأسه الكبير الحجم مُخرجًا إيّاه من الزَبَد إذْ كان هناك اثنان آخران من الحيتان القاتلة وهما متشبثان بشفة الحوت الضخم وكما لوْ أنهما كانا يحاولان فتح فمه. واستمر الأنشط من بين تلك الحيتان القاتلة في ممارسته الضغط على الحوت حتى أصابه الإنهاك. وعندما استلقى الحوت الضخم على الماء وبطنه إلى الأعلى، اشترك الحوت القاتل الواثب مع الحوتين الآخرين المهتمين بشفة الحوت الضخم. وبعد عراك لم يَدُم طويلاً، نجحت الحيتان القاتلة في فتح فم الحوت الضخم ثم التهمت لسان الحوت الضخم المهزوم. وكتب «بولن» قائلاً «كان ذلك هو هدفها الوحيد لأنها عندما أتمت عملها الوحشي ذهبت تاركةً الحوت الضخم ضعيفًا ويصارع الموت».

وفي العادة، تلد أنثى الحوت عجلاً واحداً فقط في المرة الواحدة وبعد فترة حمل تمتد إلى نحو سنة واحدة. وبما أن الحيتان القاتلة هي من الثدييات (الحيوانات اللّبونة)، فهي تقوم بإرضاع صغيرها، وتكون العجول الحديثة الولادة كبيرة الحجم وحسنة التكوين. وحالما يولد صغير الحوت، تقوم الأمّ بدفعه إلى سطح الماء ليتنفس الهواء أول مرة. ومن ذلك الوقت فصاعداً، يكون الصغير قادراً على السباحة مع مجموعة الحيتان.

والدان مثاليان

والأب والأم، في الحيتان القاتلة، والدان رائعان، وهما لا يخلفان سوى عدد قليل من الصغار ويهتمان بهم اهتمامًا وسواسيًا،



تتمتع الحيتان القاتلة بروابط عائلية متينة، وهي في ذلك مشابهة للذئاب

ويمنحانهم أعلى درجة من الرعاية والاهتمام.

وتتمتع الحيتان القاتلة بروابط عائلية متينة، وهي في ذلك مشابهة للذئاب. فإذا أصاب ضررٌ ما أنثى الحوت القاتل أو ابنها فستقوم الإناث الأُخريات، الموجودات في المجموعة، بدفع الأُنثى المتضررة إلى سطح الماء أو إلى مكان أمين.

وتقف هذه الحيوانات المفترسة الكبيرة على قمة هرم الأطعمة. وعند قاعدة الهرم هناك ملايين لا تُحصى من النباتات المجهرية العائمة على سطح البحر أو بالقرب من البحر، وهي تؤكل من قبل حيوانات صغيرة جداً مثل الرُوبيان والحيوانات المجذافية الأرجل التي تشكل طبقة عالية ومحدودة من الهرم. ويستلزم الأمر توفر مئات الأرطال من الرُّوبيان للإبقاء على حياة سمكة «إسقمري» أو سمكة «رنكة» أو سمكة «هلبوت» تزن عشرة أرطال. ثم تؤكل هذه أيضاً من قبل أسماك كبيرة وأقراش وفقمات وخنازير بحر تصبح، هي الأخرى، طعاماً للحوت القاتل. وبما أنه ليس هناك أعداء طبيعيون للحيتان القاتلة، فهي لا تتكاثر حسب نسبة مرتفعة.

ولحسن الحظ، تختار الحيتان القاتلة البحار القطبية البعيدة مكاناً رئيساً تصطاد فيه، ولكنّها هي تكثر أيضاً في خليج «ألاسكا» وعلى امتداد ساحل «كولومبيا البريطانية»، وهي تشاهد أحياناً من السفن الذاهبة في رحلات في المحيط الأطلسي والمحيط الهادي. وهي أحياناً تزور «بحر الشمال»، وقد وُجِدَتْ أيضاً في السنوات الأخيرة وهي مدفوعة إلى شواطئ «كمبرلاند» و«كلير» و«دونغال».

الإنسان أكثر افتراساً!!

وبما أن كل مخلوقٌ في المحيط يهرب من هذه الحيتان المنقّطة بلونين أبيض وأسود، يحق للمرء أنْ يتساءل عن ما هيِّة الغرض الذي تخدمُه هذه المخلوقات. في الواقع، يمثل الحوت القاتل مكانة مرموقة من ناحية السيطرة على التوازن الطبيعي في المحيط، وهو ليس بالحيوان المفترس بالمعنى نفسه الذي ينطبق على الإنسان. فالأمر هو كما يقول الدكتور كارلتون راي المسؤول عن المربى المائي في نيويورك:

«إن أكبر مفترس جشع على وجه الأرض هو المفترس ذو الساقيْن أيْ الإنسان. ولكن نادراً ما يخدم الإنسان أغراض الطبيعة. فالإنسان صائد السمك، يقتل من دون تمييز. والإنسان صائد الحيوانات، يمثل القمة بحيث إنه يذبح الحيوان الممتاز. وبالموازنة، يحتل المفترس الطبيعي. فالذئب يفترس الحيوان الضعيف أو التائه.

والحوت القاتل يقوم بهذا السلوك نفسه في البحر بحيث إنه يترك الحيوان الأفضل والأقوى ليبقى على قيد الحياة ويتناسل».



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٠٥)

ذو القعدة ١٤٢٢هـ/ يناير ـ فبراير ٢٠٠٢م

الفائز الأول: **الطاهر بن حسن واجه ـ قابس ـ تونس.**

الفائز الثاني: **عبده علي محمد الدبعي ـ تعز ـ اليمن.**

الفائز الثالث: **هدى خميس صالح حمد ـ الزرقاء ـ الأردن.**

الفائز الرابع: **منيرة علي محمد الزامل ـ عنيزة ـ السعودية.**

الفائز الخامس: **خليفة خليل حسن ـ الدوحة ـ قطر.**

الفائز السادس: **إيمان علي الحاج أحمد ـ تعز ـ اليمن.**

الفائز السابع: **إبراهيم أحمد آدم المصوعي ـ جدة ـ السعودية.**

الفائز الثامن: **محمد محمد سالم بخيت ـ طنطا ـ مصر.**

حل مسابقة العدد (٣٠٥)

١ـ وإذا تشاجرَ في فؤادك مرةً   أمرانِ فاعمدْ للأعفَ الأجملِ

قائل البيت: هو عبد قيس بن خفاف البرجمي.

٢ـ المثمن لقب أطلق على الخليفة العباسي: المعتصم.

٣ـ زينب: اسم لشجرة حسنة المنظر طيبة الرائحة.

٤ـ الشمس تدور حول نفسها مرة: كل ٢٥ يومًا.

٥ـ المكوث مدة تساوي: أربعة أيام.

أسئلة مسابقة العدد (٣٠٨)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: **تراه إذا ما جئته متهللاً   كأنك تعطيه الذي أنت سائله**

☐ جرير   ☐ زهير بن أبي سُلمى.

(٢) توماس بين:

☐ من زعماء الثورة الأمريكية، مؤلف كتاب «حقوق الإنسان»

☐ فسيولوجي وجراح إنجليزي، شخّص سرطان الثدي.

(٣) تِبِسّه: ☐ مدينة في شمال شرق الجزائر   ☐ قلعة شهيرة في عُمان.

(٤) البيكادور: ☐ فارس يفتتح مصارعة الثيران   ☐ البيزو أو الدولار الإسباني القديم.

(٥) الفيلولوجي: ☐ المتخصص بعلم الصخور   ☐ العالم بفقه اللغة.

الاسم: .... **المدينة:** .... **ص.ب:** .... **هاتف:** ....

العنوان: .... **الدولة:** .... **الرمز البريدي:** .... **ناسوخ:** ....



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا بحظ وافر لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) - الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

في ندوة «الإسلام وحوار الحضارات»

الأمير عبدالله:
لا أمان لإسرائيل إلا بالعدل وما بعثر الأمم الجائرة إلا التشنج والمغامرات

إعداد: قسم التحرير



الأمير عبدالله بن عبد العزيز.. وتطلعات مستقبلية

منذ إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠٠١م عاماً لحوار الحضارات، ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض تستنفر جهودها - برعاية منشئها وراعيها صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني من أجل إثراء جوانب هذا الموضوع، فكانت أن جاءت فكرة إقامة ندوة «الإسلام وحوار الحضارات» في الفترة من ٣ - ٦ من المحرم ١٤٢٣هـ (١٧ - ٢٠ مارس/آذار ٢٠٠٢م)، لتتزامن هذه الندوة مع ظروف دولية بالغة الدقة لا تزال تتفاعل، مما يجعل من المناسب الانحياز لمفهوم الصراع، ولكن تأتي الندوة لتجلية مفهوم الحوار بين الحضارات وطرحه بديلاً موضوعيًا وإيجابيًا لمفهوم الصدام والصراع بين الحضارات، إلى جانب دفع محاولات إيجاد صورة ذهنية تربط بين الإسلام وبعض المفاهيم السلبية كالعنف والإرهاب والصراع اتساقًا مع الصورة النمطية التي تحاول بعض وسائل الإعلام الغربية ترويجها.

وجاءت الندوة في محاور ثلاثة هي: «الحضارات.. صراع أم حوار؟»، و«الإسلام والحضارات»، و«الحضارة المعاصرة.. تجارب وممارسات».

وأتاحت حواراً مفتوحاً ومباشراً بين ممثلي حضارات العالم، إذ شارك فيها نحو مئة مفكر وباحث ينتمون إلى أكثر من ٢٣٠ دولة على امتداد قارات العالم، وتضمنت الندوة ١٧ جلسة على مدى أربعة أيام. وقد ضمت اللجنة التحضيرية لهذه الندوة في تشكيلها عدداً كبيراً من المختصين الذين بذلوا جهداً كبيراً في الإعداد لها وإدارتها بصورة جيدة مما كان سبباً في نجاحها. رأس هذه اللجنة الأستاذ فيصل بن عبدالرحمن المعمر، وكيل الحرس الوطني للشؤون الثقافية والتعليمية، والمشرف العام على المكتبة.



الأمير سلمان بن عبد العزيز في لقاء مع المشاركين في الندوة

والأعضاء هم: عبدالرحمن الطيب الأنصاري، ود. إبراهيم بن محمد أبو عباة، ود.حامد بن أحمد الرفاعي، ود. سعد بن عبدالرحمن البازعي، ود. بدر بن جويعد العتيبي، والأستاذ محمد رضا نصرالله، ود. عبدالكريم بن عبدالرحمن الزيد، والأستاذ عبدالله بن إبراهيم المفرج.

وقد أناب سمو ولي العهد في حفل الافتتاح صاحب السمو الملكي الفريق أول ركن متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز نائب رئيس الحرس الوطني المساعد للشؤون العسكرية وعضو مجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة الذي ألقى كلمة عقب قيام معالي الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري نائب رئيس الحرس الوطني المساعد، نائب الرئيس الأعلى لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة بإلقاء كلمة.

وجاءت كلمة سمو ولي العهد على النحو الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والصلاة والسلام على نبي الرحمة وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:أيها الإخوة:

بقدر ما لهذه المناسبة الكريمة من معانٍ سامية في نفوسنا، نحييكم ونشكركم على استجابتكم لدعوة القائمين على مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، مؤسس دولتنا الحديثة، رحمه الله.

ومما يطيب لي في هذا اليوم المبارك، أن أنقل إليكم تحيات مولاي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، حفظه الله.

أيها الإخوة:

ما هذا اللقاء المبارك، الذي تلتقي فيه هذه الفئة من العلماء من أجل التواصل الثقافي في عصر المتغيرات والتبدلات، عصر تلاشت فيه المسافات، وتراجعت فيه العزلة بين البشر، إلا تداعيات علمية، قليلٌ من البشر في العصور القديمة من فكّر فيها، فهي لم تكن من خلق الإنسان، أبداً، ولكنها وديعة الله في ذاكرة الإنسان تذكرها من تذكرها في هذا العصر، وغفل عنها من غفل. ففي الماضي، جاء تفكير الإنسان وفق بيئته مكاناً وزماناً وبالقدر الضئيل من ثقافات الأمم ومعرفتها. واليوم قد تراجعت العزلة، بفضل الله، ثم بفضل العلم الذي أذن الله به للإنسان حتى صار العالم كله يلتقي بفكره وتوجهاته وعلومه وإنسانيته في شبه قاعة واحدة، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: *علم الإنسان ما لم يعلم*. **العلق**:٥.

هذا العالم المتغير لم نستوحش من علومه النافعة، ولا من حضارته المعاصرة ما كان في باطن الأرض أو ظاهرها، بل قامت المدارس والجامعات والمدن، وأسست المكتبات، وتداعت البعثات على جامعات الغرب، والفضل في ذلك كله لله، ثم لمؤسس دولتنا الحديثة، الذي بكفاحه وجهاده أمن الخائف، وأمن قاصد الأراضي المقدسة من العالم كله. جابه المخاطر، رحمه الله، وأقام الوحدة، وحارب التطرف والعصبية والعنصرية، أورثنا هذا مثلما أورثنا وصاياه وسياسته الحكيمة، علّمنا كيف يكون التعامل مع الأصدقاء وغير الأصدقاء من العالم ممن يختلفون معنا أو نختلف معهم، قال لنا: التزموا قول الله تعالى في قرآنه الكريم: *ادع إلى سبيل ربك*

بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن. **النحل:١٢٥**. وقال لنا: إن الإنسان أخو الإنسان تفهموا قول الله تعالى في الآية الكريمة: *يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم*. **الحجرات:١٣**. وهذا ما نسعى إليه بوعي إنساني وحضاري إلى أن يرانا العالم ونراه، ليتفهم فضائل الإسلام وإنسانيته. نعطي ونأخذ، نستوحي ذلك كله من ديننا الحنيف، دين أبينا إبراهيم عليه السلام، والإيمان بالكتب المنزلة من الله على رسله: التوراة والإنجيل والقرآن. هذه سبيلنا، إن شاء الله.

نعم أيها الإخوة:

إننا، إخوانكم، في المملكة العربية السعودية، ملكًا وشعبًا، لا نريد أبدًا أن تعايشنا العنصرية أو العصبية، لا نريد أن يكون لنا موقف سياسي لم نعرضه على عبر التاريخ. فما بعثر الأمم الجائرة على القيم في التاريخ كله، شرقه وغربه، من آلاف السنين إلا التشنج والمغامرات، نجتهد أن يأتي تفكيرنا هادئًا، تتقبل النصيحة المخلصة ونعطيها. لا نريد أن تكون سياستنا كضالة الإبل هائمة على وجهها في متاهات ومضيعة، بل نحاول أن نختار أفضل السبل التي تتنفس فيها الأحداث الصعداء. فجاء اختيارنا الذي سيكون اختيار قادة الأمة العربية وشعوبها من أجل السلام، حتى لا نتعصب للرأي الواحد، بل نريد أن ينطفئ الثقاب الذي بيد الجاهل، أينما كان لا تحترق روما. فنيرون لا نريد له وارثًا في هذا العصر الحضاري، نريد حكمة الحكيم، والوعي الإنساني الذي يعرف فضائل السلام، فيتقي الكوارث، وخصوصاً في هذا العصر.

أيها الإخوة:

نعم، إن أمة وأممًا لا يكون العدل والوعي السياسي ملازماً لقوتها تظل هدفًا للآفات والأمراض النفسية والشيخوخة. هذا ما يقوله المؤرخ والتاريخ في كل العصور.

إننا في المملكة العربية السعودية، قيادة وشعبًا، ندرك كل الإدراك أن أمننا ورخاءنا واستقرارنا ووحدتنا في محاورة كل حدث ومجادلته بالحسنى ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. لا نحلم أحلام اليقظة ولا نستعجل الأحداث إلى دارنا، وهذا ما نريده للآخرين. فما يجري اليوم في فلسطين الحبيبة، ويشهده العالم بما فيه من فجائع ومآس وجور على الحق والعدل أتراه حلمًا من أحلام اليقظة بالعظمة عند من يسفك الدماء بغزارة، ويدمر العامر، ويغالط الحقائق التاريخية. إن هذا لطريق شائك لا يعطي قومه الأمان، ما أجهل من يرى هذا كله ولا يعود إلى التاريخ ليحكي له كيف نهاية الظالم مع المظلوم!!

والسؤال الذي يلحّ في هذه المناسبة التي تشغل العالم اليوم: هل قرأ نيرون العصر أو العصور القديمة، تاريخ أمته وما فيه من عبر؟ لتقول له: لا تعاود أخطاءنا التي شتتنا في العالم قديمه وحديثه. هل يعرف أنه ما من أمة من الأمم في التاريخ كله أرحم من تاريخ العرب به وبقومه؟ هذا الذي يقوم به في فلسطين تفكير حالم لا يحقق لقومه الأمان. فحاضرهم وغائبهم في غيب الله، وإنه لتفكير محتاج من قومه اليوم أن يتساءلوا إلى أين ذاهب بنا رئيس وزرائنا؟ إنه اليوم يسلم أمتنا إلى أقدار الله وسننه!

أقول هذا، وتقوله معي المملكة العربية السعودية، ملكًا وشعبًا، ويقوله



كلمة ولي العهد الأمير عبدالله بن عبد العزيز في الافتتاح يلقيها الأمير متعب بن عبدالله

أيضاً خيار العالم، لنتقي بذلك الفتن وتداعي الأحداث من أجل استقرار هذه المنطقة الحساسة، وسلامتها من الكوارث، وما يختار الله هو الاختيار النافذ.

أيها الإخوة: إن ما طرحته لم يكن اجتهاداً متعصباً أبداً، بل هو في طريقه إلى إخواننا الرؤساء العرب، وإذا وصلهم فالرأي الأخير لهم ولشعوبهم، هو اجتهاد مخلص لا تعصب فيه، هو أيضاً أمل ستقاضيه الأيام، أرجو ألا يتعثر في معارك الدم والتدمير، وأن تلتقي عليه الأطراف. فقوة السلاح هي أخطر ما يفقد الأمم قوتها. فالسلاح الأقوى والأكثر فعالية هو العدل. أقول هذا، وأقول لا أمان لإسرائيل إلا بالعدل، وبرفع يدها عن حقوق الشعب الفلسطيني وبعض البلاد العربية، سيحاسبها عليه سلاح أقوى فعالية وهو مناصرة العدل من كل أمم الأرض، في يومنا هذا أو غدنا ويدينها السلاح الجائر قائلاً: لا أمان لإسرائيل إلا بالعدل، وإعادة كل الحقوق العربية المشروعة التاريخية. فهذه المنطقة الحساسة منطقة الرسالات السماوية والمُثل، لا تقبل بالجور، أبداً.

أقول هذا من ولائي المطلق لأمتي، واحترامي للإنسان هذا الذي استدعاني إلى هذه الإشارة، أيها الإخوة في هذه المناسبة الكريمة أقول مسبقاً لإخواني قادة العرب وشعوبهم: إن ما طرح لا أمنحه التعصب أبداً، أحترم كل اجتهاد مخلص ونافذ البصيرة من الجميع، لأني أحترم نفسي وأحترم إخوتي وأمتي، فحياتي كلها تميل دائماً إلى الاعتدال، إن شاء الله، في القول والعمل. أقول هذا من سريرتي وعلانيتي التي لا تعرف المزايدات، أقوله أيضاً لكل فكر شارد عن السلام والاستقرار، أقوله وأرجو أن يوفق الله الجميع إلى ما فيه الخير لهذه الأمة. فالتاريخ البعيد والقريب لكل الأمم، ونحن منهم، لابد من محاكاته بقلم وأقلام أمينة، وإخضاعه للحق والعدل فما كل من انتصر ودمر واستباح إنسانية الإنسان قد انتصر، أبداً، فالانتصار هو أن ينتصر الإنسان على نفسه. أيها الإخوة الحضور: وأنتم المصابيح التي تنير الظلمة النفسية، ما أجلّ ثوابكم إذا تجاوز بكم حواركم الحضاري الغبش النفسي الذي يتعثر دون إبصار آيات الله الكبرى في هذه الاكتشافات العلمية من هذا الكون البعيد. أنا بهذا لا أعظ، ولكني أقول لمن يعلمون ظواهر الحياة: *وهم عن الآخرة هم غافلون*. الروم:٧. كما جاء في القرآن الكريم. لعل العدل يلازم هذه الحضارة الإنسانية ويعوقها عن الجور، إنها حضارة خطيرة على الحياة إذا لم تعدل، فالحياة مهددة بالتداعي. هل في نية الإنسان أن يطلق الفناء على الجماد الكوني والإبداع العظيم والحياة التي فيها القيم والمُثل العليا، وفيها الإنسان الذي أكرمه الله بسجود ملائكته له سجود احترام وطاعة لأمر الله، لا سجود عبادة.

أيها الإخوة:

أختتم كلمتي هذه بما بدأتها به وأقول: أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم في بلدكم. وأقول أيضاً: ما أحوج شعوب العالم إلى العلماء والمثقفين وأرباب القلم. فهاجسنا دائماً مع هذه الفئة. هم أملنا، بعد الله، وأمل العالم في أن يكونوا حماة للحق والعدل متفهمين لهذه الحضارة البكر بخيرها وشرها. وأن يدافعوا عن خيرها وينبهوا إلى أخطارها على الإنسان والحياة.

ولأني أراكم هكذا رغبت في أن أشرككم معنا بمشكلات الساعة، لأنها كلها تعني سلامة العالم من الفتن، وهي إحدى مهماتكم.

وفقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ابن بيّه: الإيحاء بحتمية الصدام نتيجة تنوع الحضارات إنما هو دليل على إخفاق كل حضارة في إدراك أهمية الاعتراف بحق التنوع

الأمين العام للأمم المتحدة:

الحوار يؤدي إلى السلام وكرامة الإنسان

وألقى الممثل المقيم ومنسق الأمم المتحدة كلمة الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان، وتضمنت ثناءً على ما أسهم فيه العلماء والمفكرون العرب في مجالات الطب والرياضيات والعلوم وإثراء الحضارة الإنسانية، مشيراً إلى أن الإسلام يدعو إلى وجود نوع من التصالح والحوار بين الحضارات المختلفة، والأمم المتحدة تدعو إلى الحوار لأنه لا يمكن أن يؤدي إلا إلى السلام وكرامة الإنسان ورفع مثله العليا، مؤكداً دعم الأمم المتحدة فكرة الحوار.

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي:

الإسلام دين حوار لا صراع

وألقى معالي الدكتور عبد الله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي كلمة أشاد فيها بالندوة ومراميها قائلاً: «ما أحسن أن تقيم مكتبة الملك عبدالعزيز ندوة عالمية عن حوار الحضارات ليظهر بناء حضارة الإسلام على العدل، وحرصها على السلام، واعترافها بالخصائص الحضارية الأخرى، وأنها لا تتفق وصراع الحضارات الذي ينادي به فريق من مفكري الغرب، لما يترتب عليه من آثار مدمرة للبشرية ومكتسباتها».

وأشار إلى أنه على الرغم من الخلاف الجوهري بين طبيعة الحضارة المادية العلمانية والحضارة الإسلامية إلا أن المسلمين منفتحون على الآخرين بمقومات حضارتهم الأصيلة ودينهم الإنساني الخاتم، وأكد أن

الإسلام دين حوار لا صراع، وأن الحوار أقوى وسيلة للتفاهم بين الأنداد للوصول إلى حلول مشتركة تحقق الخير للبشرية جمعاء.

الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي:

الأمة الإسلامية تؤمن بالحوار مع الآخرين وتعترف بالتنوع الثقافي

ونيابة عن الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي عبدالواحد بلقزيز ألقى مدير ديوان الأمين العام سعد الدين الطيب كلمة شكر فيها المكتبة على إقامة هذه الندوة، مبرزاً أهميتها، ومشيراً إلى أن الحوار بديل للصراع، وأن الأمم المتحدة تثبت بعض الشروط الإسلامية لحوار الحضارات، وأوضح أن الأمة الإسلامية عبر ١٤ قرناً آمنت بالحوار مع الآخرين، واعترف الإسلام بالتنوع الثقافي.

جهود خادم الحرمين الشريفين

في دعم المراكز والملتقيات الإسلامية

تناولت الجلسة الأولى من ندوة «الإسلام وحوار الحضارات» التي انعقدت في صباح ٣ من المحرم الماضي، والتي أدارها الدكتور عبدالرحمن بن سليمان المطرودي «جهود خادم الحرمين الشريفين في دعم ورعاية المراكز والملتقيات الإسلامية ودورها في حوار الحضارات»، استهلها الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بالإشارة إلى أنه بعد ظهور فكرة صراع الحضارات بدأ الاهتمام وكتبت الكتب والأبحاث من المهتمين بالحضارتين الإسلامية والغربية، وأضاف أن الحضارة الإسلامية لديها رصيد كبير ومتفوق لأنه مرتبط بوحي إلهي، واتضح أنه لابد من احترام خصوصيات الآخرين وثقافتهم حتى يكون الحوار مفيداً، مؤكداً أن الإسلام دين الحوار، وهو قائم على العدل والمساواة، وأن الحوار هو وسيلة لمعرفة الحق والحقيقة والوصول إلى الشيء الصحيح، وأشار إلى أن كثيراً من الغربيين لا يعرفون حقيقة الإسلام، وأن المراكز الإسلامية التي تدعمها المملكة العربية السعودية تقوم بدور كبير في هذا الجانب، شاكراً لها دعمها الكبير لرابطة العالم الإسلامي.

وأوضح الدكتور بهيج ملا حويش (إسباني الجنسية) أن الحوار بالنسبة إلى المسلمين ليس مسلكاً اختيارياً بل هو أمر قرآني يمتد مع امتداد الزمان والمكان، وهو حوار لا يتوقف، ومنهجه السلم والعدل.

وأضاف أن الدولة التي قامت على تكامل الشرع والسلطان، والمؤسس والمصلح قد اعتمدت هذه المنظومة القيمية منهجاً ونبراساً، وأن خادم الحرمين الشريفين عندما عمل على وضع هذه المنظومة مع العالم الغربي موضع التنفيذ، كان يقوم بدوره الشرعي والسياسي تجاه تحديات المستقبل بدبلوماسية هادئة ونظام مؤسساتي يتعامل من خلاله مع الضمائر الحية كيما يحقق سلم الأفكار قبل سلم السياسة؛ لأن المثقفين والمفكرين هم القادرون على تهيئة الأجواء لسلم السياسة وسلم المعتقدات.

وأشار الدكتور مزمل يحيى صديقي - الأمريكي الجنسية - إلى دور المراكز الإسلامية ودعم المملكة لها، وتطرق إلى الإنجازات التي حققتها المراكز والمعاهد الإسلامية في دفع عملية الحوار مع الآخر.

محمود أمين العالم: هناك عولمة بديلة للعولمة الرأسمالية الاستغلالية ذات قاسم إنساني مشترك

في الجلسة الثالثة التي أدارها د. سعد بن عبدالرحمن البازعي قدم د. محمود أمين العالم بحثه المعنون «صراع الحضارات أم صراع مصالح وهمية» الذي ركز في نظرية هنتنغتون حول صراع الحضارات، وقدم



محمد سعد السالم يقدم نجم الدين أربكان

عرضاً تحليلياً نقدياً لوجهات نظر عربية تم طرحها في الندوة التي نظمتها منظمة التضامن مع الشعوب الإفريقية والآسيوية في القاهرة في عام ١٩٩٧م، ثم عرض وجهة نظره النقدية لنظرية هنتنغتون.

وخلص إلى أن الصراع الدائر في عصرنا هو صراع مصالح لا صراع حضارات، وإن اتخذ مظهراً ثقافياً أو حضارياً.

وذكر أن هناك عولمة بديلة أخذت تتنامى داخل العولمة الرأسمالية الاستغلالية الشرسة تتنادى نظرياً وتناضل عملياً من أجل حماية الحياة والإنسان والطبيعة من هذه العولمة، وتحويلها إلى عولمة تضامنية ديمقراطية يتحقق بها، وفيها مشترك إنساني عالمي.

الطيار: الحظر على الديمقراطية يأتي من مجتمعات نشأتها في أوربا وأمريكا

قدم د. صالح بن بكر الطيار في بحثه المعنون «الإسلام والحضارة: صراع أم حوار؟» نظرة عامة إلى تاريخ التفاعل الجدلي بين الحضارة

الإسلامية بتناقضاتها والحضارة الغربية بتناقضاتها أيضاً؛ مشيراً إلى أن تاريخه يطوي جروحاً غائرة.

وتطرق إلى النزعة الإنسانية في الإسلام وأثرها في النهضة الأوربية، مشيراً إلى مواقف رواد النهضة الأوربية وتأكيدهم المرجعية العربية والإسلامية.

وأشار إلى حق واجب العمل في الإسلام، والنشأة التاريخية لوثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادرة في عام ١٩٤٨م، وتحفظ المملكة العربية السعودية عليها لأن مصدر حقوق الإنسان مصدر علماني، وقال: إن الحركة العالمية تطرح مشروعاً بديلاً أو تكميلياً لوثيقة حقوق الإنسان يرتكز على أسس ثلاثة هي: القيم الروحية والأخلاقية في الأديان الثلاثة: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، والتراث الأخلاقي في الثقافات الإنسانية، والقيم الديمقراطية والتعددية.

وحول إشكالية الديمقراطية قال: إن حركة الإصلاح والنهضة كانت تعمل من خلال ثنائية تخلف الذات وتقدم الآخر بعد ما حدث من صدام مع الغرب لقيام الحملة الفرنسية على مصر.

وطرح جملة تساؤلات تواجه فقه الشورى والديمقراطية الإسلامية التي تعبر عن حالة التأزم بين الفكر الإسلامي في حالته الراهنة والديمقراطية.

وانتهى إلى أن الخطر الحقيقي الذي تتعرض له الديمقراطية يأتي اليوم من مجتمعات نشأتها في أوربا والولايات المتحدة.

د. ميثم الجنابي:

الحوار بين الحضارات نتاج طبيعي لحوار الحضارة مع نفسها

تناول د. ميثم محمد الجنابي «إشكالية العقل والحكمة في حوار الحضارات» بقصد كشف طبيعة الحوار الداخلي للحضارة واستمراره في «الحوار الخارجي» مع الآخرين، إذ ليس الحوار بين الحضارات في الواقع سوى النتاج الطبيعي لحوار الحضارة مع نفسها.

وفي رأيه أن خصوصية الحضارات تنبع من كيفية حلها للإشكاليات الكبرى في ميادين الطبيعيات والماورائيات.

ويذكر أن الحضارات الإسلامية أبدعت مرجعياتها الثقافية الخاصة في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية والمعرفية، وهي مرجعيات متفتحة بحد ذاتها، تجعل من حوارها الخارجي أسلوباً متناسقاً لحوارها الداخلي، والتاريخ الثقافي للإسلام هو دليل ساطع بهذا الصدد.

وهذا ما يجعل من بناء العلاقة المفترضة بالآخر وتأسيس حوار جديد معه محكاً جديداً بالنسبة إلى العالم الإسلامي، بما في ذلك إعادة ترتيب وجوده الذاتي والإسهام الفعال في بناء عولمة ثقافية سياسية جديدة.

ابن بيّه: الإيحاء بحتمية الصدام عدم اعتراف بحق التنوع

وفي الجلسة الرابعة التي أدارها د. عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش قدم د. عبدالله بن محفوظ بن بيّه بحثاً بعنوان «الإسلام والحضارات الأخرى»، قال فيه: إن مراكز التوجيه والتفكير بعدم انتهاء الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية بدأت تبحث عن جهة توجه إليها نشازها، فتم توجيه الأجهزة التي أنشئت للتشهير بالعدو السوفييتي إلى العالم الإسلامي، وكان مسوغهم قاعدة صدام الحضارات التي أعلنها هنتنغتون، ثم اكتملت الصورة بإعلان فوكوياما نهاية التاريخ ورسخ هذه الصورة المؤرخ الفرنسي فيرناند بروديل بكتابه «المتوسط والعالم المتوسطي» الذي قال فيه: «إن الغرب والإسلام يجمعهما تعارض عميق يقوم على التنافس والعداء والاقتباس في آن واحد، إنهما عدوان متكاملان».

وأشار ابن بيّه إلى أن الإيحاء بحتمية الصدام نتيجة تنوع الحضارات إنما هو دليل على إخفاق كل حضارة في إدراك أهمية الاعتراف بحق التنوع.

وتناول أسس الحوار في الإسلام الذي أكد مبدأ المساواة المطلقة بين الناس.

السيد يسين: الخصوصية الثقافية ليست بناءً مغلقاً بل إنها أشبه بوعاء حضاري منفتح على التأثيرات التي تفد إليه

شعبان سلاّم: الإسلام دعوة للتعايش والاحترام المتبادل

وعن «سماحة الإسلام ودوره في تقدم الحضارات» تركز بحث د. شعبان محمد سلاّم الذي يؤكد أننا لا نستطيع أن نقيم المجتمع الإسلامي الأول على أساس لوني أو طبقي أو اجتماعي، وإنما كان خلاصة للإنسانية ونموذجاً لها.

وتناول أثره الإسلامي في إحداث نقلة كبيرة في حياة اللغة العربية، وغرس الإسلام في نفوس العرب حب المعرفة، ودفعهم إلى العلم عندما توافرت أمامهم أسباب المعرفة بعد الفتح الإسلامي.

وتطرق سلاّم إلى سماحة المبادئ الإسلامية التي تتمثل في الدعوة إلى التعايش والاحترام المتبادل مع أبناء الأديان الأخرى، وذكر مظاهر من الحرية الدينية التي تمتع بها اليهود والنصارى في ظل الإسلام، ودور الحضارة الإسلامية في تشكيل التفكير العلمي، والارتقاء بالفكر الغربي، بل كان للآداب العربية دور ملموس في تكوين الآداب الأوربية والارتقاء بها عن طريق الترجمة التي نقلت كنوز الفكر العربي الإسلامي إلى اللغات المختلفة.

العسكر: رسخ المسلمون في الأندلس أسس الحوار الرصين

وفي بحثه المعنون «الجدل الديني في الأندلس سمة من سمات حوار الحضارات» أوضح د. عبدالله بن إبراهيم العسكر أن الجدل الديني بين معتنقي الديانات السماوية أو غيرها سمة من سمات حوار الحضارات،

مـؤكـداً مقـولة: «إن أكـثـر المناظرات صـعـوبة هي مـا تـتـعلق بالدين أو المذهب»، مشـيراً إلى أن مـصطلح التعصب عند إطـلاقه دون تغيـير لا يذهب إلا للتعصب الديني العتيق.

وذكـر العسـكـر أن الحوار بين الأديان اخـتـاره المسلمـون الأوائل في الأندلس طريقاً للتعايش السلمي، وللدعوة الدينية.

وكان المجتمـع الأندلسي يضم طوائف وأعراقاً متعددة كـونت اللحمة الاجتماعية والثقـافية، وكانت القرون الرابع والخامس والسادس توصف بأنها قرون العلم الحق والفكر النير وحرية التـعبير مع بعض الانتكاسات التي تعد شذوذاً عن القاعدة.

وسبق الجدل الديني بين الأرثوذكس والأريوسيين دخول الإسلام إلى الأندلس، بل إن هناك مـن قـال: إن الإسـلام هرطقـة نصـرانيـة، وعلى الرغم من الشطط في نقد الإسلام، إلا أن المسلمين رسخوا أسلوباً رصيناً في الحـوار مسـتـعينين بـعلم المنطق والعـقليات والفلسـفـة لدحض آراء المناوئين للإسلام وبيان فساد عقيدة أهل الكتاب.

وجـاء بحث المفكر المغـربي د. مـحـمـد فـاروق النبـهان بعنوان «التـصـور الإسلامي لمنهج حـوار الحضارات»، وبدأه بتأكـيد أن منهج الحوار أصيل في التـصـور الإسـلامي، وقـد رسم القـرآن الكريم منهج الحوار وحدد أهدافه.

مشـيراً إلى أن هناك فارقاً بين الحـوار والجدل، إذ إن الحـوار هو المنهج القيم للدعوة إلى الإسـلام، ويشترط في الحوار أن يكون موضوعـه مفيداً، كما يشـتـرط في المتحـاورين أن يملكوا سلطة التـفويض مقرونة بسعة الفهم، ويشترط في مجالس الحوار أن تكون مـجـالس علم ودرايـة والتـزام الحق؛ مع نبـذ طرفـيـه التطرف والتعصب في الأقوال والآراء.

إن أهم منزلقـات الحوار هو سيطرة روح الأنانيـة والتـعـصـب المذموم وانتفاء الثقة بين الأطراف، وتداخل العوامل السـياسية في توجيه الحوار وانعدام المنهجية الشمولية لأهداف الحوار.

النبهان: الحوار أسلوب حضاري لاختيار منهج متميز لتفجير القوى الإنسانية

وقال محمد فاروق النبهان: إن هذا الهدف يتطلب رسم سياسة تربوية لتكوين شخصية مـتفتحة على المستقبل، مؤمنة بالفضـيلة، متسامحة في نظرتها للآخر.

وأوضح أن الرؤية الإسلامية تتميز بنظرتـها الشمولية التي تستوعب قضـايا الإنسان، ومـواكبة المـتغيـرات الزمانيـة والمكانية وتحـصين القوة الإبداعية بالقيم الإنسانية الثابتة.

وقال المحـاضر: إن عـالم الغد يجب أن يتـجه عن طريـق الحوار إلى عـالم جـديد يؤمن بالوحـدة في رؤيتـه الحضـارية في ظل شـعـار يرسخ الكرامة الإنسانيـة، والأديان هي الأمل الوحيد لنشر ثقافة الحـوار لتفعيل التعاون بين الشعوب المختلفة لتحقيق أهداف إنسانية.

السيد يسين: الخصوصية الثقافية ليست بناءً مغلقاً

وأدار الجلسـة الخامسـة للندوة د. عثـمان ياسين الـرواف، وقدم أول أبحـاثهـا المفكر المصـري د. السيـد يسين وكـان بعنوان «الغـرب الكوني والشرق المتـفرد.. دراسـة تحليلية لحوار الحـضارات» واستـعرض فـيه عدداً من الموضوعات التي لها علاقـة بموضوع الندوة مثل العولمة وحوار الحضـارات وشروط الحوار للإشكاليات المعرفـية والمشكلات الواقعـية، والأسس الفلسـفـية للحوار، والحـوار بين الأخلاق والسـياسة، وحـوار الحضـارات في مواجهـة ما بعـد الحداثة، واستـشراف مستـقبل العالم، ودراسة حـالة لحوار الحـضارات، والصراع الثـقافي، والعـقل الأخلاقي العربي والخصوصية الثقافية والأخلاقية، والأخلاق بين النص والممـارسة، وتفكيك الآخـر، ونقد الذات، والمركـزية الغربـية وتجليـاتهـا المعاصـرة، والأصل المتـفـرد، والغـرب الكوني، والـنقـد الذاتي العـربي، وانتهاء النقد الذاتي في نهاية القرن العشرين.


ريتشارد ميرفي

وقال د. يسين إن المثقفين عادة يهتمون بما يطلق عليه «الثـقافة العـالمية»، ويتجـاهلون إلى حد كبـير الثقـافة الشعبـية، وأوضح أن الخصوصـية الثقافـية الإسلامـية لـيست وحيدة البـعد لكونهـا قامت على مورثات هي: المـوروث الفارسي وقيـمتـه المركزية، وهي أخـلاق الطاعـة للحـاكـم، والموروث اليـوناني وقيمته المـركزية، وهي أخلاق السعادة التي ينبغي أن يسعى إلى تحـقيقها المواطن في المدينة، والموروث الصـوفي الأجنبي وقيمته المـركزية، وهي أخلاق الفناء التي تحض على الزهد والتقشف.

وانتهى الباحث إلى أن الثقافة الإسلامية إذا كانت قد تأثرت بالمورثات السابقة، فإنها أثرت في الحضارة الغربية الحديثة.

وانتهى إلى أن الخصـوصية الثقافية ليست بناء مغلقاً، بل إنهـا أشبه بوعاء حضـاري منفتح على التأثيرات الـتي تفد إليه من التفاعـل العميق مع الحضارات الأخرى.

أنور عبدالملك: ريح الشرق في صياغة المشروع الحضاري الجديد

وكان عنوان بحث د. أنور عبدالملك «لحظة ريح الشـرق في صياغة المشروع الحضاري الجديد»، أوضح فيه أن الفكر العربي والإسلامي في العالم العربي مازال يدور في الدائرة التقليدية ـ الغربية ومن ذلك تسميات مثل الإسلام والمسيحية، وأوربا والإسلام، والإسلام والغرب...إلخ.

وأصبح لزاماً علينا أن نواكب تغيير العالم، ويتمثل ذلك في:

ـ انتقال مركز الثقل في الحركة التاريخية، ومن المبادرة التاريخية من الغرب الأطلسي إلى الشرق الآسيوي، حول الصين، ومركز في تواكب مع الصحوة الحضارية الإسلامية المرتقبة.

ـ انتقال مركز الثقل من حيث المناهج من الاقتصاد والمال والعنف إلى العلم والتقنية والجيوسياسية مع عودة البعد الحضاري إلى مكانة الصدارة والفعالية.

ـ صياغة المشروع الحضاري الشرقي على تنوع يقوم على أرقام واضحة مثل: أولوية الجماعة والروح الجماعية، السلام على أساس العدل، التنمية البشرية والاجتماعية، السلطة المجتمعية، جبهة شعبية واسعة.

وانتهى إلى أن ريح الشرق في حاجة إلى مشاركة العالم الإسلامي والعربي دون إبطاء.





من فعاليات الندوة

العدواني: على الثقافة العربية الإسلامية تفجير طاقاتها الإبداعية

وقدم د. محمد الطاهر العدواني بحثًا بعنوان: «الحضارة العربية الإسلامية في حوار الحضارات» أوضح فيه أن الثقافة العربية الإسلامية تخوض إحدى أخطر تجاربها في التاريخ، تجربة الانبثاق والانطلاق، وهي الطريق الوحيد لاستعادة الدور الحضاري والريادي بعد أن قدمت خلال ما يزيد على خمسة قرون الدليل على قدرتها على المقاومة والتحدي.

وفي رأي العدواني أن الحضارة هي المنتج والمنجز المادي للثقافة، بينما الثقافة هي الروح، وهي الهوية والانتماء.

وأكد أنه ليس المطلوب من الثقافة العربية الإسلامية الدخول في منافسة وسباق للحاق بالحضارة الغربية في رحلة تحقيق الذات؛ إنما المطلوب معادلة أخرى تقوم على الاختراع والإبداع والاعتماد على الذات وتقديم العطاءات.

وأشار إلى أن الثقافة العربية الإسلامية مدعوة إلى تفجير طاقاتها الإبداعية الخلاقة ونشر إشعاعها وبريقها وسحرها الأخاذ والمبهر لكونها رسول سلام ومحبة في العالم ولكل العالم.

جمال الدين بدوي: التيارات الحضارية أقوى وأثبت من فعاليات الغزو الاستعماري

وأدار د. صالح المانع الجلسة السادسة التي استهلها جمال الدين بدوي بتساؤل: «الحضارات صراع أم حوار؟» فأوضح أن المسالك قد تشعبت أمام الحضارات كي تستقر على الأرض، وتنقل الشعوب من طور الهمجية إلى طور التمدن، وكانت الحروب على الرغم من فظاعتها أداة من أدوات نقل المعارف والأفكار واقتباس الثقافات، إذ لا يخلو شر من ومضة خير.

واستدل بدوي على نظرته هذه ببعض أحداث التاريخ، ثم أشار إلى أن الفتوحات الإسلامية فتحت الباب أمام عملية الامتزاج واللقاء واللقاح بين الحضارة القديمة: هندية وفارسية وبيزنطية وسريانية إلى جانب العربية.

وتفاعلت على أرض الإسلام اللغات والثقافات والعقائد والعادات والتقاليد.

وعلى الرغم من فظائع الحروب الصليبية إلا أنها كانت فرصة للاحتكاك المباشر والاطلاع على ثقافة الآخر، وعرف الأوربيون عن الشرق ما كانوا يجهلونه. وحدث الشيء نفسه مع المغول الذين دمروا مراكز الحضارة الإسلامية، ثم اعتنقوا بعد ذلك ديانة المغلوبين وأقاموا الممالك وعلى النسق نفسه في إيران والهند.

وصحبت الجيوش الأوربية في العصر الحديث أنماط ثقافية واجتماعية وسياسية غربية المحتوى، ورحلت الجيوش، وبقيت معالم الثقافة الغربية تحافظ على وجودها من خلال التفاهم والتعايش مع الحضارة العربية الحديثة.

وانتهى بدوي إلى أن التيارات الحضارية على الدوام كانت أقوى وأكثر ثباتاً من فعاليات الغزو الاستعماري.

عارف حسين: ضرورة استلهام روح الإسلام للتعامل مع عالم متغير

وقدم الدكتور عارف حسين الهندي الجنسية بحثًا بعنوان «الإسلام والحضارات الأخرى» تطرق فيه إلى بعض التجارب الثقافية والاجتماعية والفلسفية التي مرت بها الحضارات الإسلامية عبر القرون.

تناول البحث بشيء من التفصيل التجربة الهندية قبل ظهور الإسلام، ثم كيفية تعايش الإسلام بصورة ناجحة مع حضارة قديمة متقدمة منذ استقلال الهند في عام ١٩٤٧م.

وأشار عارف إلى أن اتخاذ موقف الدفاع والاعتماد على أمجاد الماضي لن يخدما القضية بأي شكل من الأشكال، إذ لن يكون بإمكان الثقافة أو الحضارة أن تعيش طويلاً إذا فقدت صلتها باحتياجات الناس اليومية، وبما أن القاعدة الأساسية اللازمة للبقاء والتطور موجودة أصلاً في روح الإسلام، فإن النهوض لمواجهة تحديات العولمة يستدعي استلهام هذه الروح لتتعامل مع عالم متغير، مع عدم إغفال الاحتفاظ بذاتيته وهويته الحضارية.

د. آمنة بلعلي: علينا أن نبرهن على أن الإسلام يرسخ التفاعل مع الآخر

«إستراتيجية الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار» كان هذا هو عنوان بحث د.آمنة بلعلي الذي تعرضت فيه إلى أساليب الإقناع في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من خلال تحليل بعض النماذج الخطابية في كل منهما للإجابة عن السؤال الجوهري: هل حقًا أن الصراع بين الإسلام والغرب راجع إلى أن الخطاب الديني الإسلامي مفروض على عقول الناس بالتربية ويدعو إلى التسليم دون برهان؟

وتقول د. آمنة: إن الحضارة الغربية حين تطرح رأيها في التحاور أو الصراع مع الإسلام، فإنها تضع في حسبانها الإستراتيجية الخطابية في كل من القرآن والسنة موضع تجن أو إنصاف.

وإذا كان بعض المستشرقين يقرون بأن الديانة التي أتى بها الرسول صلى الله عليه وسلم لا تتضمن إلا ما يقره العقل، فالأحرى بنا نحن اليوم أن نثمن هذا المنحى ونجعله وسيلة للتفاعل معهم، ونبرهن على أن الإسلام جاء لترسيخ التفاعل مع الآخر.

عبدالمؤمن: الحوار من أجل تقليل سوء الفهم بين الشعوب

وعن «مدخل إسلامي لحوار الحضارات» كان بحث د. محمد السعيد عبدالمؤمن الذي أوضح أن الحضارة الإسلامية هي واسطة عقد حضارات العالم؛ ليس لأنها حضارة الأمة الوسط زمنياً فحسب، بل لأنها الأمة الوسط عقائدياً وثقافيًا بحكم الله سبحانه وتعالى. وهي حضارة لا تستعظم إنجازات الآخرين ولا تحقرها، بل تأخذ منها العبرة والعظة، والفائدة المادية والمعنوية، وهي لا تخشى كذلك النظر إلى الحضارات المعاصرة.

والحوار الذي يمكن أن تجريه مع الحضارات الأخرى يهدف إلى إزالة سوء الفهم الحالي أو تقليله بين الشعوب. والتطبيق الصحيح والمفيد للمفاهيم البشرية المعاصرة مثل: علاقات الصداقة والأخوة، والعدالة، والسلام، وحقوق الإنسان، والعولمة (وتصحيحها بالعالمية الإنسانية)، وغير ذلك.

عفيف بهنسي: لابد من وحدة اقتصادية عربية ليبقى العرب طرفًا

قدم د. عفيف أحمد بهنسي بحثًا اختار له عنوان «الحضارة المعاصرة تجارب وممارسات العولمة والصراع - العالمية والحوارات»، ومهد لبحثه بقوله: إن دراسة الحضارة المعاصرة والحديثة أمر أساسي لتشخيص الواقع الإنساني ومآله. ومن أهم مظاهر هذه الحضارة السعي إلى تكوين نظام يسود العالم في ظروفه الجديدة، ولكن هذا النظام لم يصدر كمنهاج أو خطة إستراتيجية، بل مازال إعلاناً حائراً بين موضوعين: موضوع توحيد الاقتصاد العالمي تحت اسم العولمة، وموضوع تنظيم مطامح الشعوب وعلاقاتها الإنسانية تحت اسم العالمية».

وأشار إلى أن الإسلام يحدد مبدأ التعارف، وليس التصادم، أساساً لنظام العالم، وأن أول خطوة في طريق التفاهم هي فهم الذات، ثم فهم الآخر.

د. حسن حنفي: الغرب أخذته العزة بالنصر والثقة بالرأسمالية في صراعه مع المعسكر الشرقي وبدأ في إبداع مفاهيم جديدة

وأوضح أن الواقع الجغرافي فرض تقابلاً وتقارباً بين الشرق والغرب، مما يستوجب وجود نظام عالمي يحمي حقوق الإنسان والأمم.

وألقى اللائمة على الغرب لحديثه عن تأجج صدام حتمي بين الحضارات، بينما كان إعلاء القيم الإنسانية، ثم أخذ على الاستشراق بحثه عن تفوق الذات من خلال تخلف الشرق وضعفه، كما أخذ على الغرب تحوله إلى نوع من التبعية على حساب الهوية: وأوضح أن النظام العالمي الجديد (العولمة) يهدف إلى تنظيم استغلال إمكانات الدول المستضعفة، وأنه كان لابد من تصحيح العولمة إلى العالمية التي تعني اتخاذ العالم فضاء يسع جميع الذاتيات الثقافية.

ودعا إلى قيام وحدة عربية اقتصادية على غرار ما هو حادث في أوربا تدعمها الوحدة الطبيعية التاريخية والتضامن من أجل أن يكون العرب طرفًا فاعلاً في الحوار.

د. مهاجراني: في ظل منهج العالم الإسلامي للآخرين الحق في الحياة والتفكير

وفي محاضرته المعنونة «التسامح في الإسلام» التي ألقاها في مساء الثلاثاء ٥ من المحرم الماضي، والتي أدارها الأستاذ فيصل بن عبدالرحمن بن معمر المشرف العام على المكتبة، تناول الدكتور سيد عطاء الله المهاجراني مستشار رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية ورئيس المركز



جانب من المشاركين

الدولي لحوار الحضارات في طهران التسامح في اللغة والحديث والنص، وذكر أن لفظة التسامح مرادفة للفظة التساهل واليسر، وأن القاعدة في السيرة والدعوة والتبليغ هي التسامح والتساهل، وأما العقاب والجزاء فهما استثناء. وأكد أن الله أراد لدينه الخاتم أن يكون دين الحياة وشريعة العيش الكريم، ولذلك لم تكن تعليماته سبحانه أوامر عسكرية صارمة، وقد بدا تسامح المسلمين واضحاً حتى مع أعدائهم من اليهود، مما يشير إلى أن التسامح هو المنهج الذي ينبغي أن يكون على أساسه التعامل مع الآخر، واختتم مهاجراني محاضرته بقوله: «إن ما أردته هنا أن الحكم على الناس، على الصديق منهم وعلى العدو يجب أن يبقى في دائرة الإنصاف، وضمن إطار الاعتراف والإقرار، بحقنا؟ مثل الآخرين، وبحقهم في الحياة والتفكير، وعرض آرائهم بكل حرية مهما اختلفنا معهم، فليس نحن من يجبر الآخرين على الهداية، أو يمنعها عنهم».

د. حامد أحمد الرفاعي: مقترحات من أجل بناء أسرة بشرية واحدة

قدم د. حامد بن حمد الرفاعي في الجلسة الثامنة التي أدارها د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري بحثاً بعنوان «الإسلام والحضارات الأخرى» بدأه بجملة من الأسئلة، ثم قام بالإجابة موضحاً أن الإسلام هو دين الله تعالى ورسالته للناس جميعاً، وهو يقوم على مرتكزي العقيدة والشريعة.

وتحدث عن نظرة الإسلام وفلسفته تجاه الكون والحياة، وتجاه علاقة الإنسان بالأشياء، ومعنى منهجية تسخير المادة للإنسان، ثم تناول البحث الحضارة وما قيل في شأنها من رؤى ومفاهيم، ومن وجهة النظر الإسلامية، فإن الحضارة من وجهة النظر الإعلامية هي ثمرة الجهد البشري المبذول لعمارة الأرض وإقامة العدل فيها وفق منهج الاستخلاف الرباني.

ويرى الرفاعي أن الشق الثقافي هو المسؤول عن هوية الفعل الحضاري، وأن التنوع الثقافي يفرز تنوعاً حضارياً.

وطرح مقترحات من الكليات العليا القابلة لأن يصطلح الناس عليها، واتخاذها هدفاً مشتركاً لتحقيق تعايش حضاري عالمي آمن مثل: وحدة الأسرة البشرية ورفض التمييز، وأن الأرض للجميع، وأن العدل أساس أي علاقة، والعمل معاً على تجديد القيم الدينية والأخلاقية، واعتماد الحوار الجاد أساساً للتعارف بين الحضارة، وأن الزواج الشرعي هو الوحدة الأساسية في بناء المجتمعات البشرية، وأن الأسرة وحدة أساسية من وحدات المجتمع المدني، والعمل على مساعدة الفقراء والعمل معاً لاكتشاف القيم الحضارية المشتركة.

د. حسن حنفي: الغرب أخذته العزة بالنصر والثقة بالرأسمالية

«صراع الحضارات أم حوار الثقافات.. نماذج متبادلة؟» سؤال اتخذه المفكر المصري د.حسن حنفي عنواناً لبحثه، وأوضح من خلاله أن الغرب بعد أن أخذته العزة بالنصر والثقة بالرأسمالية في صراعه مع المعسكر الشرقي بدأ في إبداع مفاهيم جديدة شغل بها العالم.

وأشار إلى عداء الغرب للإسلام في العصر الوسيط والحملات الصليبية المتتالية التي قصدت العالم الإسلامي، ومحاولات القضاء على الثقافات واللغات الوطنية تحت ستار التثاقف والتحديث والحوار المتبادل.

وقال: إن النموذج العربي الإسلامي القديم لحوار الثقافات نموذج يقوم على الأخذ والعطاء، والندية.

د. فهمي جدعان: تكامل الحضارات لاصراعها

في بحثه المعنون «الحضارة المعاصرة ومعركة البدائل» استعرض المفكر الأردني فهمي راجح جدعان، جوانب الحضارة الغربية موازنة بالحضارات الشرقية ومن بينها الإسلامية، والبوذية، والكنفوشيوسية، وقال: إن المعطى للإسلام هو وحده الذي يشخص في الفضاء الكوني كمعطى يزعم أنه يمثل بديلاً للحضارة المعاصرة، ودعا الباحث إلى ضرورة الحرص على دراسة أسباب تنامي الشعور المضاد للغرب، والتمييز القاطع بين الإسلام الحضاري والحركات الإسلامية المتشددة، والعمل على حل المشكلات المزمنة، وتكثيف اللقاءات الإسلامية المسيحية لدراسة المسائل التي تهم الطرفين، وكبح النزعات الحضارية الشوفينية التي تبشر بهزيمة الحضارات والثقافات المباينة للحضارة الغربية والإقرار بالقيمة الذاتية لهذه الحضارات وفق مبدأ التشبيه الحضاري والثقافي، وعدّ هذه الحضارات والثقافات مكملة للحضارة

الغربية لا حضارة بديلة عنها.

الدكتور بكر مصباح تنيرة: تجربة ينبغي أن تجدد في عصرنا الحاضر

وتناول الدكتور بكر مصباح تنيرة في بحثه «تطورات إستراتيجية الحوار في الحضارة الإسلامية مع الحضارات، قديماً، وحديثاً» المفهوم الشامل للحوار، وقال: إن الحضارة الإسلامية عرفت مفهوم الحوار منذ فجر الدعوة، وكان وسيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بعده للدعوة إلى الحق.

وأكد أن النماذج التي قدمتها الحضارة الإسلامية في حوارها مع الحضارات الأخرى تمثل تجربة ينبغي أن تتجدد في عصرنا وتتم الاستفادة منها في تكرار هذا الحوار مع الحضارات المعاصرة ونبذ الصراع والنزاع اللذين يقوم بهما بعض مفكري الغرب.

الدكتور محمد نور الدين أفاية: صاغ الإسلام تصورات محددة للحضارات المختلفة التي احتك بها

وقدم الدكتور محمد نور الدين أفاية بحثاً بعنوان «الإسلام والعالم.. مرتكزات التصور الإسلامي للآخر»، وقال: إن الأمر في هذه الدراسة، يتعلق باستجلاء النمط الذي أنتجه التراث العربي الإسلامي في إدراك الآخر والحضارات الأخرى، وسعى الباحث إلى الوقوف عند الصور التي عملت الثقافة العربية الإسلامية الكلاسيكية على استحضار الآخر، وكيف قدمته، وحددت له صفات وملامح، وأصدرت في حقه أحكاماً.

وقال أفاية: يفترض البحث في هذا الموضوع العودة إلى النص التأسيسي للنظر العربي الإسلامي إلى الآخر، ألا وهو القرآن الكريم، فالدعوة المحمدية أكدت وجوب إقامة مسافة جذرية مع ما كان سائداً وقتئذ من عقائد وتصورات وعلاقات، وصياغة وعي جديد بالذات وبالحضارات الأخرى، ولذلك تضمن التصور القرآني إدراكاً قوياً للاختلاف بين الكائنات والأجناس واللغات والعقائد.

وبيّن الباحث الكيفية التي عمل الإسلام من خلالها على إقامة (نظام عالمي جديد)، وصياغة تصورات محددة للحضارات المختلفة التي احتك بها، وتعامل معها، سواء بطرائق مهادنة أو بواسطة الصراع والمواجهة.

الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم: تمثل البوشيدو مجموعة القيم اليابانية والمثل العليا للشعب الياباني

أما الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم فقد تحدث في بحثه عن «البوشيدو.. روح اليابان، وقيم الحضارة العربية الإسلامية»، وأوضح أن اليابان على الرغم من أنها دولة ينظر لها كأنها دولة متأخرة من ناحية السمو الديني، لعدم وجود كتاب من دون معتقداتها ويضبط شرائعها الدينية كما هو الحال لدى أصحاب الديانات السماوية، إلا أن اليابان لم تتغافل هذا الأمر، فقد أوضح العلماء اليابانيون في عدة مؤلفات عادات بلادهم، ومذاهب أمتهم في التفكر وتفسير الأحداث الاجتماعية والكونية، وهكذا شرح الفيلسوف الياباني الدكتور إينازو نيتوبيه تلك الأمور، وفسر مفهوم البوشيدو التي تعد روح اليابان ودستورها الأخلاقي.

وأوضح المحاضر تقاليد البوشيدو وقيمها وفضائلها التي كانت وليدة الفروسية أو ما يطلق عليه في تاريخ الآداب العربية والفكر الإسلامي (الفتوة)، وتمثل البوشيدو مجموعة القيم اليابانية والمثل العليا للشعب الياباني.

وأوصى الباحث في النهاية بضرورة تعريف الأمة اليابانية بقيم الحضارة العربية الإسلامية، وإلقاء الضوء على التراث الياباني والقيم اليابانية التي تتشابه إن لم تكن تماثل القيم العربية الإسلامية في جوانب كثيرة.

الدكتور سيد محمد صادق الحسيني: الاختلاف سنة كونية طبيعية

وفي الجلسة العاشرة التي أدارها د. أبو بكر باقادر، استهل الدكتور سيد محمد صادق الحسيني الجلسة ببحث عنوانه «الإسلام وحوار الحضارات.. نحن والآخر»، أكد فيه أن الاختلاف يبقى سنة كونية لا مناص منها، وإذا ما التزم الناس بآدابها فإنها لا شك ظاهرة إيجابية، ولا يبدأ تحولها إلى مشكلة إلا عندما تتحول معالجة الخلاف والاختلاف لتصبح نزاعاً وشقاقاً يجلب الدمار والخراب.

محمد خليفة حسن: العولمة والشرق أوسطية خطران يهددان الثقافة العربية الإسلامية ولا بد من تكاتف الجهود

وقال: إن الإسلام يعترف بالآخر وبشروط متساوية في الخلق والنشأة دون أن يحدد هوية الآخر، أو نمط تفكيره، أو انتماءه، بل يحدد سلفاً أن معيار التقويم والخطأ والصواب والحساب والكتاب والثواب والعقاب كلها أمور تتلخص بالتقوى.. وبمعنى آخر بنتائج سلوكيات ذلك الإنسان أياً كانت أصوله وجذوره وانتماءاته وارتباطاته.

الدكتور محمد الكتاني: حوار الحضارات ظاهرة دورية بالنسبة إلى تاريخ الحضارات الإنسانية كلها

وتناول الدكتور محمد الكتاني في بحثه الذي جاء بعنوان «صور من علاقات التفاعل الحضاري في سياق التاريخ الإسلامي» مبدأ قيام أي حضارة على أساس التأثر بما سبقها من حضارات والتأثير فيما عاصرها أو تلاها من تلك الحضارات، وقال: إن هذه العلاقة الجدلية التاريخية هي التي يعبر عنها اليوم بحوار الحضارات، وقد كانت ظاهرة دورية بالنسبة إلى تاريخ الحضارات الإنسانية كلها، لم تشذ عنها الحضارة الإسلامية ولا الحضارة الغربية الحديثة، وضرب مثلاً بالأطوار التي مرت بها الحضارة الإسلامية، فقد كان الطور الأول حينما تلقت المؤثرات العميقة

من حضارات فارس وبيزنطة واليونان والهند والصين، والطور الثاني حينما حملت هذه العناصر إلى الحضارة الغربية عبر صقلية والشرق الأدنى.

وتناول البحث كذلك تقديم ثلاث صور رئيسة عن هذا التفاعل والتواصل بين المسلمين وحضارات الشرق القديم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، ثم عن الأمويين والعباسيين ومن جاء بعدهم.

وعدّد الباحث الشروط الاجتماعية والدينية التي أسهمت في التفاعل الحضاري والأخذ بالعلوم العقلية، وترسيخ واقع التعايش بين المسلمين والمخالفين لهم في العقيدة الإسلامية.

الدكتور محمد أركال: الحوار بين الحضارات، الحوار بين الأديان

وجاء بحث الدكتور محمد أركال بعنوان «تطوير الحوار بين المسلمين والنصارى وبعض المقترحات اللازمة لذلك»، وفيه أكد أن مؤسسي الحضارة الغربية الحديثة يرون أن العصرية أو الحداثة Modernism بمعناها العام اليوم هي حرمان أثر الدين، وحرمان النصرانية بمعناها الخاص من الوجود، أو إهباط رتبة الدين في الحياة كلها.

وأكد المحاضر أن هذا يقال على المستشرق النظري، ولا يوجد في المستوى العلمي من يؤيد ذلك في البحوث العلمية.

وقال أركال: إن العلاقة بين المسلمين والنصارى قد بدأت من فجر الإسلام، واستمرت إلى يومنا هذا بشكل ملموس، إلا أن هذه العلاقة لم تكن مبنية على الحوار، بل كانت منبثقة من الحقد والعداوة، لذلك فإن الصورة الموجودة اليوم في أذهان أهل أوربا عن الإسلام والمسلمين ناجمة عن التخوف النفسي وبعيدة عن الأسس الموضوعية.

ولخص المحاضر بحثه في الختام في ثلاث نقاط رئيسة، وهي:

- تقويم النصارى للإسلام عبر التاريخ.
- تقويم المسلمين للنصارى والحضارة الغربية في ضوء تجارب الدولة العثمانية.

وانطلاقاً من هاتين النقطتين تطرق المحاضر إلى أسس أخرى مهمة منها: الانكسار والتحول الحاصل بين المسلمين والنصارى.

- وعلى ضوء النقاط الرئيسة السابقة ذكر المحاضر أبعاد هذا الحوار والاقتراحات الضرورية لتكون فائدة الحوار أنفع وأشمل.

الدكتور إندرزيج كابيزوسكي: دول الخليج نموذج حي للتعددية الثقافية والتسامح

وقدم الدكتور إندرزيج كابيزوسكي بحثاً عن «المواطنون والعمال الأجانب في بلدان الخليج.. التعددية الثقافية في مجال العمل»

قال فيه: تمثل دول مجلس التعاون الخليجي (المملكة العربية السعودية، والكويت، ومملكة البحرين، وقطر، والإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان) منطقة رائعة لدراسة الآثار الناجمة عن عمليات احتكاك حضارات وثقافات وديانات متنوعة. فعلى الرغم من الاختلافات الكثيرة التي توجد بين هذه الدول فإن سكانها يمثلون نسيجاً اجتماعياً، ولديهم عادات وتقاليد متشابهة، إذ إنها مستمدة من الإسلام والهوية القبلية، ولهذه العادات تأثير كبير ومستمر حتى يومنا هذا. وأصبح العمال الأجانب، بسبب متطلبات التنمية المتسارعة، يشكلون الغالبية العظمى من سكانها، إذ يمثلون نحو ٤٠٪ من العدد الإجمالي للسكان، وفي قطر والإمارات العربية المتحدة ترتفع هذه النسبة لتصل إلى ٧٥٪. وبذلك أصبحت دول مجلس التعاون الخليجي من أكثر دول العالم ذات الكثافة السكانية المختلطة.

ويمكن وصف دول مجلس التعاون الخليجي من جهة أخرى بأنها نموذج حي للتعددية الثقافية، والتسامح مع التنوع الثقافي الذي تمارسه مجموعات مختلفة داخل نطاقها الخاص.

العبودي: لابد أن يمتد حوار الحضارات إلى حوار بين الأديان



نهاد عوض

وفي الجلسة الحادية عشرة من الندوة ألقى الدكتور محمد بن ناصر العبودي محاضرة بعنوان: «الحضارة المعاصرة.. تجارب وممارسات» رأى فيها أن الحوار بين الحضارات لابد أن يمتد إلى الحوار بين الأديان؛ لأن الدين يشكل عنصراً أساسياً في كل الحضارات، وليس الهدف من الحوار بين الأديان أن يعرض علينا أهل الأديان ما لديهم من دين لنتبعه نحن المسلمين، وإنما يعرضون ما عندهم من حجج عقلية، ونعرض ما عندنا من حجج عقلية تبين لهم أن الدين الإسلامي لا يخالف العقل السليم والنظرة السليمة. ولا يقوم بالحوار مع أهل الكتاب أو غيرهم إلا من توافرت لديه شروط المحاورة والمناظرة، ونبه العبودي على أهمية بيان محاسن الإسلام للعالم المعاصر وخصوصاً الغرب، مبيناً رؤية الإسلام في التعاون العالمي، وفي المال، ومفهوم الإرهاب، والمرأة.

محمد خليفة حسن: العولمة والشرق أوسطية خطران يهددان الثقافة العربية الإسلامية

ونبه الدكتور محمد خليفة حسن في بحثه «الموقف العربي والإسلامي من العولمة: الشرق أوسطية» على أن العالم العربي والإسلامي يواجه خلال القرن الحادي والعشرين خطرين أساسيين



جانب آخر من المشاركين

يجب الاستعداد لهما ثقافيًا وعلمياً وتكنولوجيًا، يتمثل الخطر الأول في العولمة؛ التي بدأت تفرض نفسها على دول العالم وذلك في شكلها الاقتصادي، وأن لها بعداً ثقافياً يعني هيمنة الثقافة الواحدة على بقية الثقافات العالمية، فالعولمة لا تتقيد بالحدود الوطنية ولا تعترف بالإقليمية وتعمل على تعبئة الشعوب في اتجاه عالمي يتعارض مع المحلية، كما تسعى إلى تغيير عادات الشعوب وتقاليدها، وتغيير المفاهيم والأفكار، واستبدال الثقافة المحلية.

أما الخطر الثاني كما يراه المحاضر فهو خطر مشروع الشرق أوسطية الذي تقوم عليه الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل كمشروع متمم للعولمة ومرتبط بها، وهو مشروع اقتصادي ثقافي حضاري لمنطقة الشرق الأوسط، وتم التعبير عنه بشكل قوي ومباشر من خلال كتابات الزعماء الإسرائيليين مثل شمعون بيريز في كتاب «الشرق الأوسط الجديد»، وكتاب بنيامين نيتنياهو «مكان تحت الشمس» وكلاهم ينظر إلى قيام شرق أوسط جديد بعد السلام محوره إسرائيل التي ستصبح المركز الاقتصادي والثقافي للشرق الأوسط الذي يتحول إلى سوق اقتصادي للمنتج الإسرائيلي يسمح لها بتحقيق الهيمنة الاقتصادية وما يتبعها من هيمنة ثقافية.

ووضح المحاضر تحديد الموقف العربي الإسلامي من العولمة والشرق أوسطية؛ وذلك للحد من المخاطر الناجمة عنها، ودعا إلى تكاتف الجهود العربية والإسلامية في مقاومة هذا الخطر الثقافي الجديد على الأمة الإسلامية.

أربكان: حضارة القوة لا تحقق السعادة للإنسانية

وفي الجلسة الثانية عشرة من الندوة ألقى الدكتور نجم الدين أربكان رئيس الوزراء التركي الأسبق محاضرة بعنوان «علاقة الإسلام بالغرب.. رؤية مستقبلية»، أدارها الدكتور محمد بن سعد سالم، وقد شهد المحاضرة جمهور كبير اكتظت به القاعة، وألقى أربكان محاضرته باللغة التركية، وركز فيها على إبراز خصائص كل من الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، مؤكداً أن الحضارة الإسلامية أهم خصائصها إعلاء الحق، بينما أبرز خصائص الحضارة الغربية هو إعلاء القوة، وأن الإنسانية لم تصل إلى السعادة في يوم من الأيام في ظل حضارة تجعل القوة أعلى قيمها، ولذلك فإنه يرى أن تحقيق السعادة والسلام يكون بالحوار البناء، والتعاون المثمر لبناء عالم متعدد الثقافات، ونبذ المعايير المزدوجة، وإقامة العدل.

الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي: الأمة الإسلامية تؤمن بالحوار مع الآخرين وتعترف بالتنوع الثقافي

وتناول أربكان ما يتعرض له المسلمون من مظالم في أكثر من مكان في العالم، كما هو الحال في فلسطين وكشمير، وما تتعرض له بعض الدول الإسلامية من حصار، في ظل حجج واهية بهدف محاربة المسلمين.

واقترح أربكان أن تتبنى المملكة العربية السعودية - لما لها من مكانة خاصة في العالم الإسلامي - تشكيل تنظيم من رجال العلم والفكر خاص بالحوار من أجل بحث الأمور التي ينبغي التركيز فيها لتكون أساساً لنظام العالم الجديد.

كورتيز: العدو المدمر للحوار بين أبناء البشرية هو انطواء الشعوب وعدم انفتاحها

واستهل الدكتور الفرنسي جاك كورتيز الجلسة الثالثة عشرة والتي أدارها الدكتور يحيى محمود بن جنيد، بمحاضرة بعنوان «الثقافة بين الحقيقة والحلم»، طرح فيها تساؤلاً هل الكائن البشري أياً كانت القيم الروحية التي تؤسس ثقافته قادر على احترام إنسان آخر يعيش وفق مبادئ أخلاقية أخرى، متجاهلاً ما يكون عن تفوق معنوي أم أنه قادر على القيام بذلك. وأوضح أن العرقية التي نعلم أنها تعمل على تنمية التعصب بشتى أنواعه سواء أكان تعصباً لرأي أو عقيدة تؤدي إلى تمزيق العالم وتشتيته، وبين المحاضر في بحثه أن علم اللغويات كان العلم

الذي احتل المقدمة في القرن العشرين إلا أنه لم يعد بمقدوره تحمل تبعات دراسة الإنسان وفكره بما تمثله من ثقافة أدبية وعلمية في العالم الحديث. ولكي نتمكن من فهم الآخر فهماً عميقاً وكذلك إقامة علاقات متينة معه، فعلينا تعلم لغته وفهم ثقافته بلا تحيز أو كراهية، مشيراً إلى أن العدو المدمر للحوار بين أبناء البشرية هو انطواء الشعوب وعدم انفتاحها بعضها على بعض، وتمسكها بقيمها المقدسة، كالثقافة واللغة.

الجهني: إشاعة ثقافة الحوار وتقبل الرأي الآخر في المجتمعات المسلمة

وألقى الدكتور مانع بن حماد الجهني بحثاً بعنوان «الإسلام والحوار الحضاري» تناول البحث منطلقات التصور الإسلامي الخاصة «بتكريم الإنسان، واحترام عقله، واستنفار ملكاته، وتحريضه على السؤال والمناقشة، والإقناع والاقتناع، هي الأرضية الثابتة التي يتحرك عليها المسلم الواعي الذي يدرب نفسه للحوار مع أهل الأديان والمذاهب والحضارات، من جيران العيش، وشركاء الحياة، وأفراد المجتمع الإنساني المتطلع للأمن والسلام»، وأشار إلى أن الهدف من الحوار هو إيصال رسالة محددة إلى الطرف الذي تتم محاورته وإقناعه بصحة محتوى هذه الرسالة، ودفع ما يمكن أن يعترض قناعته من أفكار أو شبهات».

ثم حدد الجهني بعض التوصيات التي تساهم في تفعيل الحوار الإسلامي منها: اعتماد الحوار الهادف الموضوعي في الدعوة إلى الإسلام عن طريق جميع وسائل الإعلام المتاحة المرئية والمسموعة والمقروءة؛ وبيان حقيقة الإسلام وفضله ومحاسنه وأنه دين الرحمة والعدل والإنصاف، وتأكيد ضرورة تنمية مهارات النقاش والعناية بموضوع الحوار في المدارس والمعاهد والجامعات لإعداد الدعاة المؤهلين والمحاورين المتمكنين وترقية الخطاب الإسلامي مع الآخر، وإشاعة ثقافة الحوار، وتقبل الرأي الآخر في المجتمعات المسلمة لتقوية روح التسامح، وبناء جسور التفاهم بين طوائف المسلمين أنفسهم وشرائح المجتمعات البشرية.

زيادة: استمرارية الحضارات بتفاعلها بعضها مع بعض

عقدت في اليوم الختامي جلسة صباحية تحدث فيها كل من د. خالد محمد زيادة، وترأسها د. توفيق القصير، ود. إسماعيل عبدالكافي، ود. عبدالله العشي، و د. حبيبة كون كاتا، ود. زكي الميلاد.

كان عنوان بحث د. خالد محمد زيادة «الإسلام والحضارة المعاصرة من التاريخ إلى الحاضر»، وقد استعرض مسيرة الحضارة الإنسانية عبر تاريخها الطويل، وأشار إلى أن كثيراً من الحضارات قد بادت واندثرت، ولم يبق سوى بعض الحضارات الراسخة كالحضارات الصينية والهندية والإسلامية، كما أن الحضارة الأوربية تعد أحدث الحضارات في السلم التاريخي.

وتناول البحث مكانة الحضارة الإسلامية وما قدمته من إسهام فكري وعلمي أثر في أوربا، كما تناول بالتفصيل قصة الصدام بين هذه الحضارة والغرب والتي تمثلت بشكل رئيس في الحروب الصليبية، وأشار البحث إلى الوجود الإسلامي في الأندلس الذي امتد ثمانية قرون، وكان من أسباب نقطة الهوية النصرانية للشعوب الأوربية التي لم تستطع أن تحدد هويتها إلا بالتصادم مع الإسلام.

وكان من مظاهرها غزارة المؤلفات الغربية التي تحذر من الإسلام، ومع ذلك فإن هناك بعض الأوربيين الذين أنصفوا الإسلام، واعترفوا بعطاء المسلمين.

وأوضح زيادة أن أثر صدام الحضارات لا أساس له، لأن الصدام يقع بين دول وقوى ومصالح، وصراع المصالح بين الولايات المتحدة وأوربا وحده أشد عمقاً مما هو بين أوربا واليابان أو الصين على سبيل المثال. وأضاف أن الحضارات لم تستطع الاستمرار واستعادة نهضتها إلا بالتفاعل فيما بينها.



مهاجراني

عبدالكافي: أدب الأطفال الإسلامي وسيلة لتفادي آثار الكوكبة والعولمة

واتخذ د. إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي عنوان «أدب الأطفال الإسلامي» نقطة أساسية في الحوار مع الحضارات الأخرى.

وعرف في البداية «أدب الأطفال الإسلامي» بأنه أدب عالمي، ولكن بمنظور إسلامي شامل موجه لأطفال المسلمين ويحمل رسالة الإسلام العالمية إلى أطفال العالم.

ويذكر مادام أن الإسلام دعوة عالمية ورسالة إنسانية سامية، فإن أدب الأطفال الإسلامي قادر على أن يحمل هذه الدعوة الإسلامية العالمية إلى الإنسانية جمعاء.

ويبرز عبدالكافي أن علاقة الإسلام بالحضارات الأخرى علاقة تواصل إنساني وإقناع فكري؛ وأن أدب الأطفال الإسلامي من أبرز وسائل الدعوة الإسلامية، وهو يشتمل على نشاطات متعددة لتعميق جذور الإسلام في نفوس أطفال المسلمين، ومن الوسائل التي يستخدمها هذا الأدب الصحافة، ومجلات الأطفال، والبرامج الإذاعية والتلفازية، والأفلام السينمائية، والمسرح، والكتب، وأوعية المعلومات الأخرى.

ويشير البحث إلى أن هذا الأدب وسيلة لتفادي آثار العولمة والكوكبة، وهو غير مرتبط بالعلاقات السياسية والدولية، وله أثر عميق لاتخاذه أسلوباً هادئاً، كما أنه وسيلة للأجيال الجديدة لتحقيق

مزيد من التواصل والحوار لا الصدام والصراع مع الحضارات الأخرى.

حوار الحضارات بين المركزية الغربية والفكر الإسلامي

كان هذا هو عنوان بحث د. عبدالله محمد العشي الذي أشار إلى المفاهيم التي شاعت في القرن العشرين ما بعد الحداثة، وما بعد الأيديولوجية، وصدام الحضارات، ونهاية التاريخ، والعولمة، والنظام العالمي الجديد.

وتناول العشي مرجعيات المركزية الغربية وحددها في المرجعية الفلسفية متمثلة في الفكر اليوناني، والمرجعية الدينية متمثلة في اليهودية والمسيحية، والمرجعية الأخلاقية ممثلة في فلسفة اللغة، والمرجعية الأدبية ممثلة في الأدب اللاتيني، والمرجعية الجمالية ممثلة في جماليات المادة كما جسدها النحت اليوناني.

وذكر أن تمظهرات المركزية الغربية هي إلغاء الآخر واستغلاله، والنرجسية، والسادية وفرض النماذج السياسية والاقتصادية والثقافية، بل حتى أنظمة القيم الأخلاقية.

وفي هذا الإطار، فإن المركزية الغربية تسعى إلى تقديم نفسها بديلاً كلياً في الثقافة والقيم والفن والسياسة والاقتصاد والثقافة، ومن آليانها وإستراتيجياتها لتحقيق هذه الأهداف: الخطاب المزدوج، والاحتواء السياسي والثقافي، والفتح المعلوماتي، والضغط السياسي، وإعاقة التواصل الثقافي بين الحضارات، وتفعيل آليات الإعلام لترويج أفكارها، والمزج بين السياسي والثقافي للهيمنة على الثقافة، والتضخيم من دور فكرها، واستمدت وسائل للصراع ذات تأثير نفسي، مثل منظومة المفاهيم الواردة آنفاً، واستدراج الآخر إلى تبني الأفكار الغربية، والإقبال على كل ما هو من نتاج الغرب.

وأورد العشي الأسس المرجعية للحوار الحضاري من منظور الفكر الإسلامي، ولخصها في المفهوم الإسلامي للتاريخ والحضارة، والأساس القيمي في تقدير فاعلية الإنسان والمجتمع والأمة، والتعارف كمفهوم يحدد طبيعة العلاقة بين الأمم، وعالمية الرسالة الإسلامية، والاعتراف بالآخر.

أما إستراتيجية الحوار الحضاري من منظور الفكر الإسلامي - في رأي - د. العشي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأولية القيمة والإنسان على المادة والآلة، والحوار الحقيقي القائم على الإقناع بالحجة والدليل، وآليات قائمة على فلسفة التسامح والاختلاف، والخطاب الموحد في مقابل الخطاب المزدوج للمركزية الغربية، والتدافع بمعنى التنافس الشريف على الإبداع، ومراعاة المعنى والغاية في كل سلوك بشري، وفي كل فعل حضاري.

ويخلص د. العشي إلى أن الحوار ضرورة عملية وعلمية، ولكن لكي يكون إنسانياً بعيداً عن الاستبداد والأضواء، فإنه ينبغي أن يؤسس على منظومة مفاهيمية تدار من خلالها إستراتيجية الحوار الحضاري من دون أن نفقد خصوصياتنا الثقافية، وهويتنا العربية والإسلامية.

كونا كاتا: مجتمع بلا حواجز في اليابان وفي البلاد الإسلامية

وكان عنوان بحث د. حبيبة كونا كاتا اليابانية الجنسية هو «مجتمع بلا حواجز في اليابان وفي البلاد الإسلامية»، وتركز حول المجتمع الياباني المعاصر الذي يسعى إلى أن يكون مجتمعاً بلا حواجز ودون عوائق قد تمنع المعاقين وكبار السن من العيش بداخله بشكل طبيعي.

وتذكر كونا كاتا أن المجتمعات الإسلامية قد تخلو من هذا النموذج، ولكنها تخلو من الحواجز الروحية.

كورتيز: العدو المدمر للحوار بين أبناء البشرية هو انطواء الشعوب وعدم انفتاحها بعضها على بعض وتمسكها بقيمها

وأشارت إلى المجتمع الياباني الخالي من العوائق المادية وغير القادر على إزالة الحاجز الروحي الذي يشعر به اليابانيون بعضهم تجاه بعض، مشيدة بما في المجتمع الإسلامي من مظاهر التكافل والتعاون، حتى إن اليابانيين الذين يزورون البلاد الإسلامية ينبهرون بحرارة الاستقبال، وبما يلمسون من مظاهر الأخوة الإسلامية التي تتبدى في الشعائر الدينية، مثل صلاة الجماعة اليومية، وصلاة الجمعة، وصيام رمضان، والحج.

زكي الميلاد: حوار الحضارات دعوة أخلاقية نبيلة ليس غير

وتحت عنوان «من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات» جاء بحث زكي بن عبدالله الميلاد الذي أشار إلى أرضيات طرح الدعوة إلى حوار الحضارات، ذاكراً أنها جاءت في ظرفين وزمنين مختلفين هما:

الزمن الأول: في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين، وتحديداً في عام ١٩٧٧م، عندما أصدر روجيه غارودي كتابه «من أجل حوار بين الحضارات»، ومرت هذه الدعوة بثلاثة أطوار زمنية: الأول، الدعوة إلى الحوار بين الماركسية والمسيحية. والثاني، أن يكون الحوار في نطاق منطقة ثقافية واحدة هي الغرب، وكان هدف هذا الحوار بناء العلاقة بين الإيمان والتاريخ، والإيمان والعالم، والإيمان الذي يعطي الشعوب القوة والأمل في تغيير العالم والحياة، أما الطور الثالث، فكان الدعوة إلى الحوار بين الغرب والإسلام.

الزمن الثاني: تسعينيات القرن العشرين بعد إطلاق صامويل هينتينغتون مقولته: «صدام الحضارات» في عام ١٩٩٣م، وحرصت

هذه المقولة على تجديد الدعوة إلى حوار الحضارات حتى أعلنت الأمم المتحدة في نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٨م اتخاذ عام ٢٠٠١م عاماً لحوار الحضارات.

واستخلص الميلاد أن الدعوة في الزمنين ارتبطت بالغرب، مشيراً إلى أن المشكلة أن الغرب ليس مستعداً للانخراط في حوار متكافئ بين الحضارات، مما يفقد الدعوة أرضيتها، لتصبح دعوة أخلاقية نبيلة ليس غير.

وتناول الباحث خبرة المسلمين على امتداد التاريخ في ميدان تعارف الحضارات، مدللاً على مقولته بالقرائن والحقائق.

زورخي: يناقش النهوض الحضاري للأمة الإسلامية.. ـ الحركة الباديسية (نموذجًا)

وفي الجلسة الخامسة عشرة التي ترأسها د. هاشم بن بكر حريري ألقى الدكتور إسماعيل زورخي ورقة بعنوان «موقف الفكر الجزائري المعاصر في الحضارة الغربية» تناول فيها الاحتكاك بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية في أثناء الحروب الصليبية والذي كان فيه التفوق الحضاري الإسلامي يعد نموذجاً قوياً للحضارة الإنسانية مما جعل الإنسان الغربي يكتشف ذاته ومستواه الحضاري، وبذلك أدرك ضعفه أمام القوة الحضارية التي كان عليها العالم الإسلامي وقتئذ مما جعل خصوم العالم الإسلامي يعترفون بالرقي والازدهار العلمي والثقافي والإنساني، مما جعل الشعوب والأمم الأخرى تقلده وتدخل في عقيدته. وهذا «لوبون» صاحب كتاب «حضارة العرب» يقول: إن القرآن لم ينتشر بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول»

ثم ركز زورخي على الجزائر لكونها استطاعت أن تقدم نماذج حضارية لمفكرين جزائريين. وبهذا أسهمت في إثراء الحركة الحضارية للإسلام متمثلاً في مالك بن نبي واهتمامه بمنظومة الحضارة عند «ابن خلدون» ورؤيته وإدراكه في فهم العوامل التي تؤسس الحضارات، فقد ارتأى «ابن نبي» أن الحركة الإصلاحية التي قادها «محمد عبده» كانت حركة تجريدية تستند إلى الأساليب الكلامية غير العلمية، ومن ثم فهي حركة لا يمكن الاعتماد عليها في النهوض الحضاري للأمة الإسلامية.

أما حركة الإصلاح الباديسية التي محور هذه الدراسة فهي أقرب إلى النفوس، وإلى الواقع العملي؛ لأنها استلهمت المنهاج القرآني الذي قرره الله تعالى في قوله: *«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»* **الرعد: ١١**. بمعنى أن الحل الأساسي لكل القضايا والمشكلات التي يتخبط فيها أي شعب إنما يكمن في روح الأمة ذاتها. بعد ذلك ناقش زورخي موضوع محاضرته في أربعة عناصر تمثلت في: الحضارة في بعدها الديني والأخلاقي، وفي بعدها الاجتماعي والسياسي، وفي بعدها العلمي والفكري، وفي بعدها الاستعماري.

توصيات الندوة

وفي ختام الجلسات: توصلّ المشاركون في الندوة إلى التوصيات الآتية:

ـ اتخاذ كلمة سمو ولي العهد (راعي الندوة) وثيقة للحوار والتعايش السلمي بين الحضارات.

ـ وضع إستراتيجية بعيدة المدى لتفعيل الحوار بين الحضارات والثقافات من خلال استخدام معطيات التقانة الحديثة، لتدعيم هذا الحوار الحضاري، وتشجيع مجالات الترجمة في هذا الخصوص.

ـ تكثيف اللقاءات الإسلامية مع الحضارات الأخرى لدراسة المسائل التي تهم الطرفين من أجل تشكيل مفاهيم مشتركة حولها، وتحرير النفوس والعقول من وطأة الصراع التاريخي بين الحضارات.

ـ بذل الجهود الدولية السلمية الفاعلة من أجل حل المشكلات الكبرى المعقدة والمزمنة التي تشكو منها المناطق التي يتولّد ويتنامى فيها العنف.

ـ تأكيد أهمية القيم الدينية والروحية والأخلاقية في تحقيق كرامة الإنسان وإقامة العدل، وتحقيق التعايش الآمن بين المجتمعات البشرية من الكوارث والفقر، والجهل والتدهور الأخلاقي.

ـ إشاعة روح التسامح والمساواة والتضامن واحترام التنوع الثقافي بين الشعوب وخصوصيته.

ـ زيادة الاهتمام بالأقليات الدينية والعرقية وضحايا الحروب والكوارث.

ـ التركيز في التعليم وإشاعة ثقافة الحوار؛ لكونهما السبيل الأفضل لتحقيق التعارف بين المجتمعات.

ـ تشجيع العلماء والباحثين والأكاديميين في الجامعات ومراكز البحوث على إنجاز بحوث ميدانية وتطبيقية تتعلق بحوار الحضارات، وربطها بالنشاط العلمي لأعضاء هيئة التدريس والباحثين.

ـ عقد المؤتمرات النوعية ومعارض الكتب ومنتديات الفكر والثقافة العالمية، والمشاركة فيها بما يسهم في إثراء التفاعل بين حضارات الشعوب وثقافاتها.

ـ أن تتبنّى مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض إنشاء منتدى عالمي لحوار الحضارات يهدف إلى تفعيل الحوار بين الحضارة الإسلامية وحضارات الأمم الأخرى وشعوبها.

ـ قيام مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض بتكوين لجنة لمتابعة توصيات الندوة والعمل على تنفيذها ومتابعة طباعة بحوث الندوة وإصدارها في سجل علمي.

ـ رفع برقيات شكر إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وإلى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، وإلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام حفظهم الله.

لنا ما تمنينا

الفرزدق

عزَفْتَ بأعشاشٍ، وما كنت تَعْزِفُ،
وأنكرت من حَدراءَ ما كنتَ تَعْرِفُ(١)

ولجَّ بكَ الهجرانُ حتى كأنّما
ترى الموتَ في البيت الذي كنتَ تألَفُ(٢)

لجاجةَ صَرْمٍ ليس بالوصلِ، إنّما
أخو الوصل من يدنو ومن يَتَلَطَّفُ

إذا انْتَبَهَتْ حَدراءُ من نَومةِ الضُّحى
دعت، وعليها دِرعُ خَزٍّ ومُطرَفُ(٣)

بأخضرَ من نَعْمانَ ثمّ جَلَت به
عِذابَ الثنايا طَيِّباً حين يُرشَفُ(٤)

ومُستنْفِزاتٍ للقلوب كأنّها
مَهاً حول مَنتوجاتها تَتَصرَّفُ(٥)

إذا هنّ ساقطْنَ الحديثَ كأنّه
جَنَى النحل أو أبكارُ كَرمٍ تُقَطَّفُ(٦)

موانعُ للأسرارِ إلاّ لأهلِها
ويُخْلِفْنَ ما ظنَّ الغيورُ المُشَفْشَفُ(٧)

يُحَدِّثْنَ، بعد اليأسِ من غيرِ ريبةٍ
أحاديثَ تَشْفي المُدْنَفين وتَشْغَفُ(٨)

دَعَوْنَ بقُضبانِ الأراكِ التي جنى
لها الركبُ من نعمانَ أيامَ عرَّفوا(٩)

فَمِحْنَ به عَذْباً رُضاباً غُروبُه
رِقاقٌ وأعلى حيثُ رُكِّبْنَ أعجفُ(١٠)

لَبِسْنَ الفِرِنْدَ الخُسْرُوانيَّ، دونه
مشاعِرَ من خَزِّ العراقِ المُفَوَّفُ(١١)

فكيف بمحبوسٍ دعاني، ودونه
دُروبٌ وأبوابٌ وقصرٌ مُشَرَّفُ(١٢)

دَعَوتُ الذي سَوّى السماواتِ أيدَهُ؛
ولَلَّهُ أدنى من وريدي وألطَفُ(١٣)

ليَشْغَلَ عنّي بَعْلَها بزَمانةٍ
تُدَلِّهُهُ عنّي وعنها فنُسْعَفُ(١٤)

بما في فؤادَيْنا من الهمّ والهوى
فيَبْرأ مُنهاضُ الفؤادِ المُسَقَّفُ(١٥)

فيا ليْتَنا كنّا بعيرينِ لا نَرِدْ
على حاضرٍ إلا نُشَلّ ونُقْذَفُ

كلانا به عَرٌّ يُخافُ قِرافُه
على الناس مَطْلِيّ المساعِرِ أخشَفُ(١٦)

بأرضٍ خَلاءٍ وحدَنا وثيابُنا
من الرَّيطِ والدِّيباجِ دِرعٌ ومِلْحَفُ(١٧)

لنا ما تمنَّينا من العيشِ ما دعا
هديلاً حماماتٌ بنَعمانَ هُتَّفُ(١٨)

الهوامش

١. أعشاش: موضع. حدراء: فتاة نصرانية تزوجها الفرزدق بعد امرأته النوار.
٢. لجّ بك الهجران: لزمته. ٣. كانت حدراء منعمة تنام إلى ارتفاع النهار. الدرع: قميص تلبسه المرأة. خز: حرير. المطرف. رداء من خز. ٤. طلبت غصناً أخضر من شجر الأراك الذي ينبت في وادي نعمان وراء جبل عرفات قرب مكة.
٥. مستنفزات: محركات للقلوب: منتوجاتها: أولادها. تتصرف: تذهب وتجيء.
٦. ساقطن الحديث: تبادلن الحديث. جنى النحل: العسل. أبكار كرم: العنب في أول نضجه. ٧. المشفشف: الشديد الغيرة. ٨. المدنف: الذي ثقل مرضه من الحب. تشغف: تمتلك العقل والقلب. ٩. قطفوا لهن الحُجّاج من عرفات أعواد الأراك.

١٠. ماح: استاك. غروبه: أسنانه. أعجف: نحيل. ١١. الفرند الخسرواني: نوع من الثياب الملوكية. مفوف: كثير الألوان. ١٢. محبوس: فتاة مصونة. مشرف: له شرفات. ١٣. أيده: قوته. ١٤. الزمانة: العاهة المزمنة الصعبة الشفاء. تدلهه: تحيره حتى يغفل عما حوله. نسعف. نساعد. يتسع لنا المجال حتى نتلاقى. ١٥. المنهاض: المكسور الذي عليه الجبيرة. ١٦. العرّ: الجرب. القراف: العدوى. أخشف: يابس. ١٧. الريط: نوع من الثياب اللينة. الديباج: الحرير. ملحف: رداء يدفع البرد. ١٨. الهديل: فرخ الحمام.

* الفرزدق: هو أبو فراس الحمداني همامُ بن غالب بن صعصعة، من مُجاشع بن دارم من بني تميم.

كان الفرزدق من فرعٍ قويٍّ من بني تميم. وعُرِفَ جدّه صعصعة بأنه مُحيي الموؤودات لأنه كان في الجاهلية يفدي كل فتاة يبلغ إليه أن أهلها يريدون أن يئدوها من فقر. وكان والده غالبٌ يَحيا حياةً بدوية ويملك إبلاً وأنعامًا كثيرة. فلما بُنيت البصرة سنة (١٤هـ) نَزَل جنوبيها، واشتهر هنالك بكرمه. وأمّ الفرزدق لينة بنت قَرَظة، وجدّته لأبيه ليلى بنت حابس أختُ الأقرع بن حابس.

أما الفرزدق نفسه فقد وُلدَ في كاظمة نحو سنة ٢٠هـ في خلافة عمر بن الخطاب ونشأ هنالك نشأة بدوية. وتوفي في بادية البصرة سنة ١١٠هـ. والفرزدق لقب له لغلظ وجهه وشبّهه بالرغيف.

[تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ٦٥٣/١، دار العلم للملايين، بيروت ط٤].

الخروج إلى الأغنية

محمد الطوبي

القنيطرة - المغرب

نزارُ العُمْرُ محتَرقٌ عَجُولُ

كأقنعةِ النَّهارِ لهَا أفُولُ

مَناديلُ الوَداعِ لِمُنْتَهَاها

تلوِّحُ كلَّما اغْتبطَ الوصُولُ

بِنا في كلِّ لُقْيا يا أميري

أحَارُ بما أقُولُ ولا أقُولُ

وأنْتَ معي تُحاصِرُني شُجُوني

وذاكِرةُ الحَنينِ لهَا هُطُولٌ

وأنْتَ مَعي أداري عَنْكَ ما في

ضُلُوعي مِنْ مَواجِعَ لا تزُولُ

أحَاوِلُ مَا أحاوِلُ في سُؤالٍ

فتذْهَبُ في مَدائِحِهَا الطُّلُولُ

وفاتِحَةُ السُّرى سِرْبَالُ حُمَّى

صَواعِقُها على جَسَدي تجُولُ

أتدري ما يُكبِّدُني اغْتِرابي

ومَا تلْقى من العَطَشِ الخيُولُ

كنُوزُ الحُلْمِ أرْسُمُ مُشْتَهَاها

كأنِّي الواثِقُ الطَّلْقُ الوصُولُ

أرتِّلُ عُزْلتي في غُرْبَتي لَمْ

تُصَبْ منِّي الفرُوعُ ولا الأصُولُ

فلِي مِنْ تَرْجُمَانِ الجُرْحِ فجْرٌ

تُبايِعُهُ السَّنَابِلُ والشُّتُولُ

ولِي مِنْ أقْحُوانِ سَبُو رِغَابٌ

خِصَابٌ فوقَ ما تَسَعُ الحُقُولُ

أخاطِبُ فيكَ ما مَلَكَ اخْتِياري

وما سَفكَ التَّوقُّعُ والحُصُولُ

فإنْ طرَقَ انْتِظاري أدْرَكَتني

وأدْرَكَني منَ الشَّوقِ النُّحُولُ

ولوَّنَتِ التجاربُ ما أعاني

فمِنْ أحْوالِهَا الدُّنْيا تحُولُ

طويلٌ ليلُ مَنْفَانا ارْتِقَابًا

ولَيْلُ النَّفْي يا ولَدِي يطُولُ

حُدُودُ الجُرْحِ والمنْفى أراهَا

وسُهْدي صاعِدٌ وأنا نُزُولُ

أنا لوْ أسْتطيعُ كنَسْتُ قلبي

منَ الأحلامِ لوْ يهْوي الذُّهُولُ

على ما يخْطفُ الأيَّامَ مِنِّي

ومِنْ وَجعي لِيُخْرِجَني الدُّخُولُ

لأغْنِيةٍ أسرِّحُها حَمَامًا

وتخْفرُها المزَاهِرُ والطُّبُولُ

صُنُوجُ الشَّوْقِ ترْفُلُ في أسَاهَا

ويرْفُلُ في فجيعَتِهِ حَمُولُ

لقَشْتاليَّةِ الأنْسابِ وَعْدٌ

وأنْتَ بلَوْعَةِ الذِّكْرى تصُولُ

«ألسْنا خيْرَ مَنْ ركِبَ المطَايا»

لأنْدلُسٍ وصَبْوتُها قتُولُ

---

* نزار: ابن الشاعر.

أبيات شارونية

سعد البواردي
القاهرة - مصر

انتخبوه زعيمًا لحزب الليكود فرئيسًا لمجلس الوزراء من أجل توفير أمنٍ لن يتم

«شـارون» عُـدتَ إلى الزعَـامـه!
لا عَـتْبَ فـيكَ.. ولا مـلامـه
الناخـبـون طبـاعُـهـمْ
تهوى التعصّب.. والقَـتـامهْ
ظنُّوكَ عَنتَـر.. عـصـرِهِم
أبدًا.. فـأنتَ وَضـيعُ هامـهْ
حَـسِبُـوك عـمـلاقًـا لهم!
أبدًا.. فـأنتَ قـصـيـر قـامـهْ
طأطأتَ رأسكَ لـلرمـا....
لِ لأنتَ في الرؤيا «نعـامـه»

لم تدر أن الـغـاصـبـيـ ....
ـن سـيُـهـزمـونَ.. ولا كـرامـهْ
عَـضُّـوا على نَدَمٍ أصـا
بِعَـهُمْ فـمـا تُجـدي الندامـهْ
بيني، وبينك أيهـا «السـ...
سفَّاحُ» أهوالُ القـيـامـه!
بيني، وبينك «حكمـة»
«من جَـارَ يقـتله زؤامـه»
لا.. لن يهـابك «مِـربَعُ»
سيعيش.. تصحبه السلامهْ

الظلام

جوسيفين جونسون
ترجمة: مسعد شتيوي
العريش ـ مصر

جلس دينكس في حجرة النوم ونظر إلى الأوراق التي غطت جدران الحجرة. شعر بأنه كالغريب. فرغم أنه هو وزوجته كانا ينامان في هذه الحجرة طوال حياتهما الزوجية، إلا أنه عندما أصيب بالعمى لم يستطع أن يتذكر كيف كانت هذه الجدران تبدو. أما الآن وبعد أن عاد إليه بصره فقد قام واتجه ناحية الجدران وتحسس أوراق الحائط وما بها من نباتات خضراء وأزهار حمراء صغيرة إلا أن الألوان كانت تبدو باهتة قديمة. هذا الصباح.. استرد دينكس بصره، عندما فتح عينيه أحس بالضوء، الضوء الذي لم يره منذ خمس سنوات.

في البداية رأى الأشياء باهتة مغشاة ثم وضحت معالمها أكثر وأخيراً رأى كل شيء واضحاً يلمع. وبكل بساطة جلس دينكس هناك وأخذ يمعن النظر في كل الأشياء من حوله. عندما أخبر ابنه وزوجته بعودة البصر إليه انخرطا في البكاء من شدة الفرح. أخذ دينكس يخبرهما عن كل ما يحبان سماعه، فقد قال لابنه «لقد أصبحت طويلاً ـ طويلاً كالشجرة، إنك تشبه الرجال الآن، إنني مسرور جداً برؤيتك ورؤية ابتسامتك اللطيفة مرة ثانية». كان من الصعب على دينكس أن يتحدث إلى زوجته.

«إنك ما زلت كما أنت تماماً يالينا» هكذا أخبرها ورغم اعترافه بأنه كان كاذباً في قوله هذا إلا أنه استمر يكرر ذلك فقد كان يحاول أن يخفي مشاعره حينما رأى وجهها النحيف العجوز. لم تكن لينا جميلة في يوم من الأيام ولكن ابتسامتها الدافئة كانت سر جاذبيتها. أما الآن فإن آثار التعب والإرهاق قد ظهرت واضحة على قسمات وجهها. أحس دينكس وكأنه يريد أن يدفع نفسه خارج الحجرة ليفعل شيئاً يعوض به زوجته عن تلك السنوات العجاف. ولكن لينا وابنها خرجا من الحجرة، وجلس دينكس وحيداً يفكر في الماضي وكيف أن كل شيء يبدو مختلفاً الآن بعد أن عاد إليه بصره. بدا دينكس متعباً بعد الظهر وهو مستلق ينظر إلى أوراق الحائط وهو يفكر، هل يبدأ من حيث انتهى. ولكن أين النقود؟ لقد فكرت لينا في أن تبيع المزرعة، ولكن ذلك لم يعد ضرورياً الآن، وقد أصبح قادراً على العمل ومعه ابنه يساعده. بدأت الأفكار تتداعى في رأسه.. بدأ يفكر في المستقبل.. بدأت فكرة عودته إلى العمل تستهويه أكثر. أخيراً أحس بمزيد من الشجاعة وقرر الخروج من المنزل ليرى كيف تغيرت الأحوال.. كيف تبدو الأشياء الآن. نظرت لينا إليه بقلق وقالت: كن حريصاً

يادينكس فقد نصحك الطبيب بالراحة والهدوء. رد عليها قائلاً: سوف أكون بخير، وغادر المنزل.

في البداية تضررت عيناه من الضوء فأغلقهما ليضع دقائق وبدا يفتحهما ببطء ثم بدا يمشي الهوينى ناحية النهر، وهناك جلس على جذع شجرة قديمة، وتلفت حواليه ليرى مزرعته.. كم هي محتاجة إليه وإلى كل جهده وعرقه.! كان ذلك في يوم من أيام إبريل، الجو مازال بارداً ورغم ذلك فقد جلس هناك ينظر ويفكر ويخطط. أخذ يمعن النظر في ذلك النهر الملتوي والمرتفعات الأرجوانية الشامخة وأشجار البلوط الباسقة الممتدة على جانبي النهر وقد ازدادت أطوالها وامتلأت بالأزهار البيضاء ولم يخل الأمر من عدد من الطيور السوداء وهي تحط هنا وهناك في الحقول المترامية. أحس دينكس برغبة جامحة في العمل في حقوله ولكن سرعان ما خمدت هذه الرغبة وأحس بالاطمئنان والسعادة لمجرد أنه أصبح يرى وبإمكانه في أي وقت أن يعيد بناء أرضه من جديد ويبعث فيها الحياة. بدأ يفكر كيف يخطط لذلك وينظم أفكاره، فحينما أصيب بالعمى، أصيبت أفكاره كذلك بالعمى. نظر إلى يديه وجدهما رقيقتين ناعمتين في حاجة إلى تدريب على العمل من جديد.

بعد أن انتهى دينكس من صياغة أفكاره وبلورة خططه شعر برغبة قوية في التحدث إلى كل من زوجته وابنه فاتجه إلى المنزل. كان يخطو سريعاً وهو يحدث نفسه.. إنه لمن الرائع أن تسير وحدك دون مساعدة من أحد. قفزت ضفدعة بين قدميه. اذهبي بعيداً أيتها الضفدعة.. هكذا صاح وهو يضحك.

لاحظ دينكس وهو ينظر إلى السماء.. إلى الأشجار.. إلى العالم، أن شيئًا كالستائر ينسدل على النهر..

تسمر في مكانه وفتح عينيه بأقصى ما يستطيع. رأى الستائر تنساب أكثر فأكثر وتغطي أشجار البلوط حتى بدت وكأنها أشباح طويلة. أغلق دينكس عينيه ووضع يديه



عليهما وهو يدعو ويدعو.. فتحهما ثانية، لم تنقشع الظلمة بعد.. الدنيا تزداد ظلامًا، هذا بالضبط كما حدث منذ خمس سنوات.. إنه يتذكر ذلك جيداً. في دقيقة كان يرى بوضوح وفي الدقيقة التي تليها وجد سحابة سوداء تحجب عنه الضوء، وتزداد كثافة، المرتفعات الأرجوانية اختفت أولا ثم تلتها أشجار البلوط والأزهار البيضاء. بعد ذلك لاحظ دينكس

اختفاء أرضه الزراعية أيضًا. تملكه رعب شديد هزّه من أعماقه. لوح بيديه في الهواء محاولاً دفع الظلام بعيداً عنه. أخذ يصيح.. رباه رباه ليس ثانية.. ولكن الظلام ازداد كثافة. أخذ دينكس يبكي في غضب ويأس. ويقول: توقف توقف.. كفاني معاناة، أعطني فرصة.. وابعد عني هذا الظلام يارباه. أخذ دينكس يتوسل إلى السماء، ومع ذلك كان الظلام يزداد كثافة. إنه مازال يسمع النهر ولكنه لا يستطيع رؤيته. أخذ يجري حتى يترك الظلام خلفه، وفي أثناء جريه اصطدم بشجرة.. انتصب واقفاً، لم يشعر بألم، شعر ببرودة فقط. عاود الجري، وفجأة توقف وانخرط في نوبة من الضحك المتواصل، فقد أدرك أنه غاية في الحماقة وضيق الأفق، فليس هناك ما يدعو إلى كل هذا القلق والاضطراب. إنها كانت كذلك دائمًا.. ظلام في الليل، ولكنه خلال سنوات من العمى نسي ذلك تمامًا. في شهر إبريل يحل الظلام مبكراً على هذا الوادي. جلس دينكس تحت شجرة، متعبًا من كثرة الضحك. قرر أن يروي ما حدث لزوجته لينا وابنه. بالطبع سيسخران منه ويضحكان عليه. إنه لم يصب بالعمى ثانية. لا يحدث ذلك مرتين في حياة واحدة. أسند دينكس رأسه على جذع الشجرة وابتسم ثانية وهو يرى قرص الشمس الأحمر عند الغروب يختفي وراء الدموع التي تنساب من عينيه.

الأدكن

موسى بن عبدالله البوكري
جدة - السعودية

كان شاباً جميل الصورة، أنيق الملبس. كان أبيض الوجه مشرباً بحمرة. يضع على أنفه المستقيم نظارة طبية، تتحول إلى اللون الداكن عند معانقة الزجاج لأشعة الشمس. وكان شعره السبط يتدلى من خلف رقبته على شكل عناقيد بلون كستنائي.

هنا في بيت الشباب الجميع يلبس لباسًا رياضياً. ونجتمع بعضنا مع بعض في حلقة إلا هو!

كان يجلس يتأمل المسبح ويلوذ بالصمت. أحيانًا ترتكز عيناه على ما أمامه وأحيانًا يخفض رأسه كأنه يفكر بعمق.

ولم يثرني نحوه شيء قدر محافظته على لبس الأثواب الدكناء: أزرق، بني، أصفر يميل إلى اللون البرتقالي، رمادي.. رغم رطوبة الصيف البالغة على ساحل جدة.

كان رفاقي يراهنون أنه موظف استلم الوظيفة في بيت الشباب قريباً.. وبعضهم رماه بتهمةٍ أخلاقية دون مبرر... آخر زعم أنه يتجسس لمصلحة معينة!!.

لكنه رغم ذلك كان أنيقًا. فهو حين يلبس الألوان الداكنة يلائم فيما بينها. فلا يلبس الشماغ الأحمر مع الرمادي والأزرق. بل



يلبس الغترة البيضاء السابغة.. ويواظب على ذلك أيامًا.

وقررت أن أكتشف أمره.

ومرت أسابيع وأنا أقدم وأؤخر... وأخيرًا ذات مساء..

ـ السلام عليكم!

ـ وعليكم السلام.

ومررت من أمامه. كان رده عاديًا جهوريًا. وأحسست أنه يريد أن يقول ويقول..

في المرة التالية استغللت الازدحام..

ـ لو سمحت هل من الممكن أن أجلس هنا؟

ـ تفضل.. المحل محلك...

ما الداعي لقوله المحل محلك؟!.. لكنها ترحيبة، تدل على الرغبة في المخالطة عكس ما يوحي به انفراده.

رآني رفيقي فجلس معي وشعرت بأنه أحس بشيءٍ من الضيق؛ ربما لأنه سيصبح الدخيل بعد أن كنته.. أخذ يتلفت يمنة ويسرة؛ ربما كان يبحث عن مقعد خال.. وجاء ثالث.

وأخذنا نتحادث.. وهنا ألقى رفيقي الأول بسؤال نحو الشخص فأجاب باقتضاب حول موضوعنا الذي بدا لي أنه لا يثير شهيته للحديث.. وقفت، عرضت عليه أن أجلب شيئًا ليشربه.. رفض فأصررت.. ثم التفت إلى رفيقيّ فطلبا بعض العصير. والتفت إليه:

ـ لا بد أن تشرب شيئًا...!

وهنا وافق.

في اليوم التالي جاء بثوبٍ أبيض... لقد أحسست أن ثوبه الأبيض كان لغة داخلية.. ترى هل يعني أنه مرحبٌ بلقائنا وبجلوسنا معه؟.. وجلست معه، ساجلته الحديث واكتشفت أنه شاب مرح حاضر البديهة جميل الطرفة حسن الاستماع... استغربت: كل هذا ومنذ زمن؟!

تكررت اللقاءات والجلسات وأخذت اكتشفه أكثر وأكثر ولمست بيدي فيه طيبة وشاعرية... حقيقة لقد وجدته شخصًا بلون أثوابه البيضاء التي أصبح يحافظ على لبسها... ومع ذلك مازلت أجهل سر الثياب الدكناء. لأمر طارئ غبتُ عن بيت الشباب أسابيع متطاولة، أصبحت شهرًا.. ونسيت ذلك الشاب. وعندما انتهى الأمر على ما يرام تذكرته... فأصررت على زيارة بيت الشباب.

عدت إلى بيت الشباب ووجدته... كان كما كان من قبل يضع ذقنه على قبضته متكئًا على مرفقه يحملق في المسبح. يخيم عليه نسيجٌ صامت... مرتديًا ثوبًا رماديًا...!!

هل انتكس؟!

حييته فرد التحية... ثم انصرفت عنه.

عدت في المرة الثانية فلم أجده.. عدتُ مرارًا فلم أجده... افتقدته.. شعرتُ بالحزن.. ومرت الأيام فنسيته.

حكايات إفريقية

ترجمة: محمد أحمد طجو
الرياض - السعودية

الطبع يغلب التطبع

كان الأرنب البري والقرد ذات يوم يتحادثان، وكان كل منهما يطلق العنان لعادته المألوفة وهو يخاطب محدثه. كان القرد من وقت إلى آخر يحك جسمه بقوائمه وبحركات متقطعة، بينما كان الأرنب البري الذي يخشى باستمرار هجوماً مفاجئاً من أحد أعداء جنسه، لا يكف في كل لحظة عن تحريك رأسه من جهة إلى أخرى.

لم يكن الحيوانان يستطيعان الخلود إلى الراحة.

- «من العجيب حقًا أنك لا تستطيع البقاء دقيقة واحدة دون أن تحك نفسك» قال الأرنب البري للقرد.

- «ليس أكثر غرابة من رؤيتك، وأنت تحرك رأسك في كل الاتجاهات دون توقف» أجاب القرد.

- أوه، لو صممت على ذلك لامتنعت، احتج الأرنب البري بالقول:

- حسنًا، لنر إن كنت تستطيع ذلك. لنحاول البقاء دون حراك، ومن يتحرك أولاً يخسر الرهان.

- اتفقنا، قال الأرنب البري.

واجتهد الاثنان على عدم القيام بأي حركة.

وسرعان ما شعرا أن السكون لا يطاق، إذ كان القرد يحس بحكة لم يشعر بها من قبل.

أما الأرنب البري فكان يشعر بقلق بالغ بشأن أمنه منذ أن كفّ عن إلقاء نظرات عابرة في كل اتجاه. وعندما أصبح غير قادر على الصمود قال:

- «إن رهاننا في الواقع لا يمنعنا من سرد حكاية حتى لا نشعر بطول الوقت. أليس كذلك أيها القرد؟».

- «هذا مؤكد، أجاب القرد الذي كان قلبه يحدثه بوجود خدعة يدبرها شريكه الأرنب البري، ويستعد لانتهاز الفرصة التي سيتيحها له».

- حسنًا، قال الأرنب البري، تصور أني في أحد أيام الجفاف وجدت نفسي في سهل كبير وقد تعرضت لخطر كبير.

- عجبًا! هتف القرد مستغربًا، لقد حدث لي الشيء نفسه.

- أجل قال الأرنب وهو يتابع، لقد رأيت كلابًا تهرع نحوي وهي تنبح. كانت قادمة من جميع الجهات: من اليمين واليسار، من الأمام والخلف، وكلما كنت أنظر إلى جهة كنت أسمع نباحها من هنا ومن ثم هناك، وهكذا.

كان الأرنب البري يبدو مأخوذًا بحكايته، ويقلد قلقه في تلك المصادفة المزعجة، وينظر في كل الاتجاهات التي كان يلمح إليها بينما كان القرد من جهته يسرد حكايته دون أن يعير أدنى انتباه لما يقوله محدثه:

- تعرضت في أحد الأيام لهجوم مجموعة من الأطفال الذين طاردوني بحجارتهم. وقد أصابتني هنا!، وكان يحك خاصرته اليمنى وخاصرته اليسرى، وجهة الكليتين والفخذ، والرقبة، متظاهراً بأنه يشير إلى مكان الإصابات بالحجر.. وهكذا كان يشير إلى كل جزء من أجزاء جسمه ويحكه حكة سريعة توقف الحكة الملحة التي أصابته.

لم يستطع الأرنب أن يتمالك نفسه من الضحك فانفجر ضاحكًا، وضحك القرد من أعماق قلبه وهو يراه ضاحكاً.

- أجل، أجل، إني اسمعك، وكما ترى، مهما حاولنا، ومهما قلنا، فلن نغير من طبعنا، وقد برهن كلّ منا على ذلك، وأجاد البرهنة. لنتوقف إذًا عند هذا الحد، فلم يكسب أحد الرهان أو يخسره.

أبو قرين(١) والضفدع

يحكى أن طيور (أبو قرين) كانت تعيش في وفاق مع الضفادع، وأن ملك طيور (أبو قرين) كان قد زوج ابنته لملك الضفادع، وأن الزوجين أنجبا ابنًا بعد هذا الزوج.

قال الابن لأمه ذات يوم:"

- سوف أزور جدي (أبو قرين).

سار الابن وصديقه على الطريق، ووصلا إلى الجد.

تشاجر صديق الضفدع الأمير مع أحد أخوال صديقه. أمسك الخال بمنقاره الضفدع الأمير، وشطره إلى شطرين، وابتلع على حين غـرة الشطر الأول من لحم الضفدع الأمير ففوجئ بأنه لذيذ جداً. حمل الشطر الثاني إلى الجد (أبو قرين) وقال له: «إن لحم هذه الحيوانات القذرة لذيذ فتذوقه!» أخذ الجد أبو قرين الشطر الثاني وابتلعه فبدا له لذيذ الطعم بالفعل وأحبه إلى درجة أنه قرر الحصول على المزيد منه، لكنه لم يجد الوسيلة المناسبة لبلوغ هدفه. قصد الجد القط وعبر له عن رغبته وحيرته.



ـ إنك حمو ملك الضفادع، ولا تجهل أنه عندما تتزوج البنت فإن العُرف يقضي أن يأتي الصهر لزراعة حقل حميه! أرسل في دعوة ملك الضفادع ليستصلح أرضك غداً صباحاً. سوف يأتي بصحبة شعبه كله؛ عندها تستطيع أن تفعل بهم ما تشاء.

أرسل أبو قرين الملك في طلب صهره فحضر ومعه نسل الضفادع كله، يسبقه شاعر وساحر كان يضرب طبلاً ويغني:

زراعة أرض الحمي!

زراعة نسل الضفادع لأرض الحمي!

اختبأت طيور (أبو قرين) كلها حول الحقل الذي دخلته الضفادع، وبدأت استصلاحه. لم يصدر أبو قرين الملك أي أمر يخالف الأعراف في مثل هذه الحالات.

انقضت كل طيور (أبو قرين) في وقت واحد على الضفادع وابتلعتها. واختلف الطرفان منذ ذلك التاريخ ولم يتفقا أبداً.

الكناري العجيب

كانت بافو طفلة صغيرة غير مهذبة، وتتشاجر مع صديقاتها، وترفض العمل بعناد. ولا تستطيع رؤية شيء دون أن تلمسه.

وغالبًا ما كان أبواها يضربانها تأديبًا لها، لكنه جهد لا طائل من ورائه، إذ لم تكن تتحسن نحو الأفضل بسبب ذلك.

ذهبت بافو في أحد الأيام إلى السوق فرأت هناك صغار كناري بيضاء وحديثة الولادة فأخذت منها واحداً، وطلبت من البائع الجوال الذي كان يجلس بالقرب منها:

ـ ما هو سعر هذا الكناري؟»

ـ لست أدري كما أنها ليست للبيع، أجاب البائع المتجول.

ألقت بافو بمبلغ من المال، وحملت الكناري، وابتعدت وهي تحدث نفسها:

ـ عندما يعود البائع سيرى المبلغ مكان الكناري.

والواقع أن صغار الكناري لم تكن سوى طيور البلشون التي كانت تتحول في كل يوم من أيام السوق إلى طيور الكناري لتعيش قليلاً وسط الناس.

تحول طائر الكناري من جديد إلى طائر بلشون قبل أن تدرك بافو خيمتها فحملها وحلق بها عالياً باتجاه إحدى الأشجار الباسقة. وضعها على أحد الأغصان الكبيرة ثم طار من جديد قبل أن يختفي عن الأنظار.

أطلقت بافو صرخات النجدة فسمع صراخها، وعلم أبواها بالأمر. هرع الأبوان وهما يصطحبان كلبًا أسود. تسلق الكلب شجرة القابوق، وأنزل بافو.

فهمت بافو الدرس، وأصلحت غلطتها، واعترفت بالجميل، ولم تنس أبداً أن تقدم في كل مرة أول وآخر لقمة من الكسكس الذي كانت تأكل منه للكلب الأسود الكبير الذي خلصها من هذا الموقف الصعب.

الهوامش

١. أبو قرين طائر ضخم المنقار يعيش عادة في الغابات الحارة. وهو من الحوائم الملتصقات الأصابع. (المترجم).



تعقيب على دور الصوفية في أوزبكستان

العرب والإسلام في أوزبكستان

تاريخ وسط آسيا من أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم

مراجعة شاه رستم شاه موساروف

الرياض، السعودية

هذا الكتاب جاء في خمسة عشر فصلاً سبقها تمهيد قصير يؤكد إسلامية أوزبكستان، ويشير إلى أن تاريخ هذه البلاد لم ينل دراسة موضوعية كافية لأسباب، منها أن الدراسات كانت إما سياسية، وإما حزبية قام بها زعماء الحزب الشيوعي، ويثني التمهيد على ما قام به المؤلفان بوريبوي أحمدوف وزاهدالله منوروف في هذا الكتاب من الرجوع إلى المصادر القديمة والوثائق لتقديم عرض موضوعي لتاريخ الشعب الأوزبكي، وسنلحظ في أثناء رحلتنا في الكتاب اهتماماً بارزاً بدور الإسلام والعرب في حياة الأوزبك.

في أثناء قراءتي المعتادة لمجلة الفيصل الأثيرة الغراء قرأت في عدد ربيع الآخر ١٤٢٢هـ العدد رقم (٢٩٨) ما نصه «أما عن الحياة العلمية والثقافية، فقد تطورت العلوم والثقافة والفنون في خانية بخارى على كثرة الحروب وخصومات أفراد الأسرة الحاكمة، فقد نشطت حركة التأليف في الرياضيات والطب والجغرافية، وفي العلوم الدينية، فقد كان للعالم مخدومي أعظم كاساني (من أقطاب الطريقة النقشبندية) دور تنويري كبير في حياة الناس...» انتهى بنصه من مقالة (العرب والإسلام في أوزبكستان).

وأقول: إن الذي يعرفه المتضلعون من الشريعة عامة والعقيدة خاصة أن الصوفية كانت وبالاً على الإسلام وأهله، وكانت بدعاً في العقيدة والعبادات وكل شؤون الحياة، فكيف يكون لهم دور تنويري كبير في حياة الناس؟!!

وهذا الكلام من الخطورة بمكان ولاسيما إذا ورد في مجلة رصينة هادفة مثل «الفيصل» وكذلك تزداد خطورة هذا الكلام إذا ورد في مجلة تصدر في أرض المملكة حصن الدين والعقيدة والشريعة، ومن أعظم ما قرأت في ذلك - من وجهة نظري - ماكتبه الشيخ عبدالرحمن الوكيل - رحمه الله - وهو متخصص في الرد على الصوفية ودحض أكاذيبهم وتخرصاتهم.

يقول الشيخ الوكيل - رحمه الله - في كتابه الفذ «هذه هي الصوفية» تحت عنوان «دين الصوفية» ما نصه: «للصوفية مدد من كل نحلة ودين إلا دين الإسلام، اللهم إلا حين نظن أن للباطل اللئيم مدداً من الحق الكريم، وأن للكفر الدنس روحاً من الإيمان الطهور. والصوفية نفسها تتبرأ إلا من دين طواغيتها مؤمنة بأنه هو الحق الخالص».

يقول التلمساني - وهو من كهان الصوفية: «القرآن كله شرك وإنما التوحيد في كلامنا» - ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموعته «مجموعة الرسائل والمسائل» جـ١ ص١٤٥ ،

ويزعم ابن عربي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه كتاب فصوص الحكم - وهو دين زندقته - وقال له: «اخرج به إلى الناس ينتفعوا به، ويقول: فحققت الأمنية كما حده لي رسول الله بلا زيادة ولا نقصان» ثم يقول:

فمن الله فاسمعوا ... وإلى الله فارجعوا

بينما يذكر الحق وتاريخه الصادق أن الصوفية تنتسب إلى كل نحلة مارقة، وتنتهب منها أخبث ما تدين به، ثم تفتريه لنفسها مؤمنة به، وتحمل على الإيمان به كل فراشة تطيف بجحيمه، وإلا فهل من الإسلام أسطورة وحدة الوجود وخرافة وحدة الأديان؟!! فتلك تزعم أن الله سبحانه نفس خلقه، عينهم في الذات والصفات والأسماء والأفعال، تزعم أن واهب الحياة وخالق الوجود عين الصخر الأصم والرمة والعفنة!! ووحدة الأديان تزعم أن كفر الكافر خطيئة الفاجر عن إيمان المؤمن وصالحة الناسك، تزعم أن دين الخليل هو دين أبيه آزر، وإيمان موسى عين كفر فرعون، وأن وثنية أبي جهل عين توحيد محمد، فكلٌ ربٌ للدين ورسوله!! كلٌ تعينٌ للذات الإلهية غير أنها سميت في تعين بمحمد وفي آخر بأبي جهل وهي هي في مظهريها أو اسميها تزعم أن دين إبليس وإيمانه عين دين أمين الوحي وروح إيمانه، بل زادت الخطيئة فجوراً، فزعمت أن إبليس أعظم معرفة بآداب الحضرة الإلهية من أمين الوحي وأسمى مقاماً!!

ثم يختم الشيخ كلامه بقوله: أفمن دين الإسلام هذه الخطايا الكافرة؟!!» انتهى بنصه من الكتاب المذكور.

ولو استطرد الباحث في ذكر مخازي الصوفية وانحرافاتهم لاحتاج إلى عشرات بل مئات الصفحات، ولكننا ذكرنا صفحة واحدة من مخازيهم وانحرافاتهم.

ولا يظنن ظان أن ذكرنا ترهاتهم وكفرياتهم، وكذلك ذكر أي باحث أو كاتب ذلك، لا يوجد إلا في كتب أهل السنة والجماعة، بل إن كتبهم هم تنضح بذلك، ولو كان المقام يسمح لذكرنا نقولاً من كتبهم، وحسب من أراد الاطلاع على ذلك كتاب «الطبقات الكبرى» للشعراني، كتاب واحد فقط ترى فيه من العجائب والغرائب والشركيات والوثنيات ما لا يخطر ببال أحد إلا من قرأ هذا الكتاب وأمثاله.

فهذه هي الصوفية، فلا يغتر بها أحد، ولا يحسن الظن بها مسلم، فهي ظلمات بعضها فوق بعض، ويستحيل شرعاً وعقلاً أن يكون لها أدنى دور تنويري في حياة الناس.

محمد نجيب لطفي
العدوة - الفيوم - مكتب بريد العدوة
الرمز البريدي ٦٣٧٤٤ - مصر

رحلة
في كتاب

كلاب وشياطين

حكايات من الجانب المظلم لليابان

مراجعة: كامل يوسف حسين
دبي - الإمارات العربية المتحدة

بقدر ما أعرف، ومن خلال اهتمامي بالدراسات اليابانية دام أكثر من ربع قرن من الزمان، فإنه لم يقدر لأحد من الرحالين العرب والمسلمين العظام أن يشق طريقه إلى اليابان، ويعود إلى قلب العالم الإسلامي ليحدثنا عن هذا الأرخبيل النائي، الذي عرفه السلف باسم بلاد السيلي، ووصف بأنه يقع عند أقاصي بحر الصين. وقد أرقتني مسألة هل وصل هؤلاء الرحالون إلى اليابان أم لا، كما أحسب أنها أرقت الكثيرين. وفي اعتقادي أن هذه المسألة قد حسمت على يد أبي الحسن علي ابن الحسين بن علي المعروف بالمسعودي (ت: ٣٤٦هـ) في كتابه الشهير «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، فإننا نقرأ في ص ١٥٥ من هذا الكتاب في الطبعة التي حققها محمد محيي الدين عبدالحميد وأصدرتها مطبعة السعادة عام ١٩٤٨م بالقاهرة، وهي الطبعة الثانية ما يأتي: «ليست بعد بلاد الصين مما يلي البحر ممالك تعرف ولا توصف إلا بلاد السيلي وجزائرها، ولم يصل إليها من الغرباء أحد من العراق ولا غيره فخرج منها لصحة هوائها ورقة مائها وجودة تربتها وكثرة خيرها، إلا النادر من الناس».

ويخيل إلي أن هذا النص الواضح والصريح والمحدد يحسم النقاش حول هل كانت كتب التراث تضم كتابات عن اليابان، فمن الواضح أن المسعودي يجزم باستحالة ذلك.

إن علينا أن نرحل قاطعين عشرة آلاف كيلو متر لنقترب من الحقيقة، وهذه هي على وجه الدقة المسافة بين اليابان والشرق الأوسط، فالجانب الياباني هو الذي يقدم لنا عبر الوثائق إطلالة على اللقاء الأول بين اليابانيين والسلف الصالح من العرب والمسلمين.

الشائع أن اليابانيين استمدوا معرفتهم الأولى بالشرق الأوسط من خلال الأوربيين، ابتداء من القرن السادس عشر، غير أننا، إذا دققنا وتعمقنا في المراجع اليابانية، وجدنا أن هناك اتصالات مباشرة تمت بين اليابانيين والعرب والمسلمين في وقت أكثر تبكيراً من ذلك بكثير عبر صلة الجانبين بالصين.



كلاب وشياطين
حكايات
من الجانب المظلم لليابان

إليكس كير
هيل أند وانج

أغسطس ٢٠٠١م
٤٣٢ صفحة

في كتاب مهم لم يلق ما يستحق من اهتمام ومتابعة في العالم العربي بعنوان: «اليابان والشرق الأوسط» من تأليف كونيو كاتاكورا وموتوكو كاتاكورا وإصدار معهد اليابان للشرق الأوسط سنجد أن المؤلفين يطلعاننا على الحقيقة البسيطة من خلال الوثائق التاريخية اليابانية.

وفحوى هذه الحقيقة هو أن أقدم وثيقة يابانية تلقي الضوء على وعي اليابانيين بالشعوب الإسلامية تظهر في كتاب «شوكو نيهونجي» الذي ألفه في عام ٧٥٣م نائب السفير الياباني في بلاط تانج الصيني حين يتحدث المؤلف عن مشاهدة مبعوثين أجانب هم مسلمون من أصول عربية.

في ذلك الوقت كان اليابانيون، في حقيقة الأمر، يدركون وجود العالم الإسلامي، وفي القرون الممتدة بين عام ٦٢٣ و ١٢٥٣ كانت للدول الإسلامية تأثيرات بالغة القوة في معظم آسيا، وقد احتك التجار اليابانيون بنظرائهم المسلمين، وكانوا يطلقون عليهم لقب «تازي»، ومن الجلي أنه التحريف الياباني لكلمة «تاجر» العربية.

ونجد تجسيداً مادياً للعلاقات التي ربطت اليابانيين بالثقافة العربية والإسلامية في كنوز شوسوين المحفوظة حالياً في محفوظات كنز شوسوين الإمبراطوري في نارا باليابان، وهذه الكنوز تعود إلى منتصف القرن الثامن الميلادي، وقد جلبها اليابانيون من الصين في عهد تانج حين كان الصينيون يرتبطون بعلاقات تجارية وثيقة مع العالم الإسلامي من خلال طريق الحرير، وتضم هذه الكنوز أدوية وآنية زجاجية وآلات موسيقية.



الوجهة الأمامية للفاصل المعدني بين المقبض والنصل في سيف ياباني تقليدي

وربما كان أول اتصال مباشر وموثق بين اليابانيين والمسلمين يعود إلى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، حين قدم الكاهن البوذي كايوسي من كيوتو دليلاً مادياً على لقائه بأحد المسلمين عندما زار سفينة تجارية لبعض التجار المسلمين في ميناء كانزو (كانتون حالياً) في عام ١٢١٧م، وتلقى على متن السفينة رباعيتين لاتزالان محفوظتين في اليابان حتى اليوم، يقول المستشرق الفرنسي بول بيو الذي فحصهما: إنهما أقدم وثيقة عربية لاتزال موجودة في الشرق الأوسط.

تلك هي البداية المبكرة للعلاقات بين الجانبين، وهي العلاقات التي سرد قصتها في أكثر من كتاب عربي وبخاصة كتاب د. رؤوف عباس عن عصر ميجي.

صورة مثالية

الكثير من العرب اهتموا بالدروس المستفادة من تجربة التحديث اليابانية، وقد برز هذا الاهتمام بصفة خاصة بعد الهزيمة العربية في حزيران/يونيو عام ١٩٦٧م. وقد كنت من الكتّاب العرب الذين شاركوا في هذا الاهتمام، فقد ترجمت خمسة آلاف صفحة من الأدب الياباني، وكتبت قرابة مئة مقالة عن مختلف وجوه الحياة والحضارة في اليابان.

غير أنني أخشى أن ما كتبته وما كتبه غيري قد أدى إلى النهاية، إلى رسم صورة مثالية وغير دقيقة عن اليابان، صورة تركز في الجوانب الإيجابية، وتتجاهل الجوانب السلبية، ومن ثم فهي صورة بعيدة عن الواقعية، وعما هو قائم وموجود بالفعل في اليابان. مما يجعل فائدتها تظل محدودة.

لهذا، بالضبط يجيء اهتمامنا بالكتاب الذي نناقشه هنا، وهو «كلاب وشياطين: حكايات من الجانب المظلم لليابان» الذي أثار ضجة كبرى لدى صدوره مؤخراً، إذ ينفرد من بين الكتب الصادرة حديثاً عن اليابان بإلقاء الضوء على السلبيات في الحياة العامة اليابانية.

إليكس كير

لكن قبل أن نبادر إلى مناقشة الكتاب، دعنا نحاول معرفة من هو مؤلفه على وجه الدقة.

درس إليكس كير في جامعات بال واكسفورد وكايو، وهو مؤلفٌ لكثير من الدراسات والمقالات باللغتين الإنجليزية واليابانية. وآخر كتاب أنجزه قبل الكتاب الماثل بين أيدينا هنا هو كتاب «اليابان المفقودة»، وقد كان أول كتاب في اليابان من تأليف مؤلف أجنبي يحظى بجائزة شينتشو جاكومي

الأدبيـة للأعـمـال غـير الـروائيـة. وقد أقام كـير خـمـسـة وثلاثين عـامًـا في اليـابان، ربطتـه أوثق العـلاقات مع كـثير من الـشخصيـات البـارزة في مختلف مـيادين الحياة في اليابان، وهو يقيم حاليًا في كـيـوتو، العـاصـمـة القـديمة لليـابان، والمعـقل البارز للثقافة التقليدية فيها.

من نـاحـيــة الشكل، يقع الكـتـاب «كـلاب ووحوش» في مقدمة وخاتمة بينهـما خمسة عشر فـصـلاً، وفي المقـدمـة يلقي المؤلف الـضـوء على الأسـبـاب الـتـي دفـعـتـه إلى تأليف هـذا الكـتـاب، ويشير إلى أنه كان يقدِّر أن إنجازه سيستغرق منه عامًا، لكنه أنفق ما يزيد على خمس سنوات كاملة لينتـهي من تـأليـفـه، ذلك أنه كلمـا أوغل في موضـوعه تـكشف له المزيد والمزيد من الحقـائق، حول أن تجربة التـحديث اليابانية حـافلة بالعيوب والمشكلات منذ البـداية ذاتهـا مع انطلاق عـصـر مـيـجي وهـو طرحٌ يعني بأوسع المـعـاني أن مـا تواجـهـه الـيـابان في جـوهره ليـس إلا مـشكلات هيكلية تجعل صميم تجربة التحديث اليابانية شيئًا معيبًا وبحاجة إلى علاج جذري وسريع.



جانب من حديقة القصر الإمبراطوري الياباني في كيوتو

تعامل وحشي

والمؤلف يثير دهشتنا ـ نحن الذين نتـأمل التجربة اليابانية في التحديث للخروج منها بدروس تفيد مجتمعاتنا ـ بالإشارة إلى أن جـوهر مـشكلات اليـابان اليـوم يتـعلق بقـصـور في التحديث وإخفاقات في جوانب شتى منه.

في الفـصـول الـثـلاثة الأولى من الكـتـاب يـتـناول المؤلف مشكلة تعـامل اليابان مع أرضهـا وبيئتـها، فـيـرى أنه ما من دولة على الأرض حظيت بـأرض حبتـها الـطـبيـعـة بكنوز هائلة كـما هي الحال مع اليـابان، لكن الكارثة الحـقيـقيـة هي أن الدولة سمـحت بتعامل وحشـي مع هذه الطبيعة لحـساب تكوين مؤلف من البيروقراطية اليابانية والشركات المستفيدة في اليابان، فـقد سمح للمصـانع بإطلاق نفاياتها الـسـامة في رحـاب الطبيعة، من دون أن تتكبد ينًا واحدًا في معالجة هذه النفـايات أو تخفيف ضررها على البيئة، وتحولت الأنـهـار والغدران إلى أنابيب أسـمنتية، وكُسيت الشواطئ اليـابانية الممتدة بكسوة أسمنتية شديدة القبح وباهظة الكلفة.

في الفـصـول الرابع والخـامس والسـادس سنقـتـرب من الاتجاه القوي الذي تبنتـه البيروقراطية اليابانيـة في مواجهة الانتـقـادات الحادة الـتـي وُجهت إلـيـهـا، وهو بناء الأعـمـال الصرحية. ففي كل مكان نرى طـرقًا هائلة الامتداد، ولكنها تفـضـي إلى الأمـاكن، ونشـاهد سـدودًا تقـتل الأنهـار، وتقع عيوننا على مطارات حديثة لا تخدم أحدًا ولا تحقق شيئًا.

في الفصـلين السـابع والثـامن سنلتقي مع عـرض مكثف لمراحل قيام البيروقراطية اليـابانية بالتعاون مع إمبراطورية المقـاولات في تشويه المدن اليـابانيـة القديمة، وخنقـهـا خنقًـا، والقضـاء عليهـا، وبناء مدن جديـدة مكانها تتسم بـالقبح في المقام الأول، وبعـدم مراعاتهـا للحوائج الإنسـانية والجمـالية للمقيمين فيها.

في الفصول من التاسع حتى الخـامس عشر سنتعمق في فهم فلسـفة إقامة الأعمـال الصرحية، وتحـوّل هذه الأعمال إلى شيء وحـشـي في اليـابان يوشك أن يكـون سـورياليًـا لمفارقتـه لكل ما هو منطقي وطبيعي ومعـقول، وسننتقل إلى الكيـفية التي يتـم بها تبديـد ثروة اليابان والغرق حتى الآذان في الدَّين العام والخاص على السواء. وسـيجري رد جوانب

من هذا كله إلى طبيعة التعليم الياباني، وكيف تمّ تطويع هيكله بحيث لا يفضي في النهاية إلى تخريج المزيد والمزيد من البشر الذين لا يتقنون إلا إنتاج السلع ولا شيء غير ذلك، وسنلمح في غمار هذا كله كيف تدنت فنون اليابان، وكيف هوت السينما فيها إلى الحضيض.

يتعين أن!!

أخيراً، وفي الخلاصة، يوضح المؤلف أن كتابه خلافاً لمعظم الكتب التي ألّفها أوربيون وأمريكيون عن اليابان، يتجنب عبارات من نوعية «اليابان يتعين عليها أن» أو «اليابان يتحتم عليها أن» لأنه يعتقد أن الأجانب لا ينبغي لهم أن يملوا على اليابان ما تقوم به، وأنه ليس هناك ما هو أشد إضراراً من هذا بالعلاقات بين اليابان، والغرب. لكن إليكس كير يشدد على أن هناك هوّة بين طريقة اليابان في إنجاز الأشياء والحقائق الواقعية للحياة الحديثة، وأن هذه الهوة نابعة من إخفاق اليابان في التحديث. ولجوء اليابان إلى إنجاز الأعمال الصرحية هو نوع من المنهاج الدفاعي، وهو محاولة يائسة للدفاع عن الأنظمة اليابانية في مواجهة الثقل الساحق للقيمة الحقيقية، ومع ذلك فإن الواقع هو الذي سيسود، ويفرض نفسه في نهاية المطاف.

في اعتقاد المؤلف أن اليابان، خلال القرن الماضي، لم تستجب بشكل جيد للأفكار القادمة إليها من الغرب، على نحو ما تطالب النظرية التقليدية في التحديث، وإنما دخلت في صراع طويل ومعذب مع هذه الأفكار، وهو صراع أبعد ما يكون عن الانتهاء اليوم.

لا يتردد كير في القول: إن اليابان، على نحو ما حدث في ثلاثينيات القرن العشرين، تكرر الآن نمطاً في السلوك يفضي في إطاره إلى نجاح أو إلى كارثة. فاليابان في المراحل الأولى تجد طريقتها التجديدية الخاصة بها للقيام بما يقوم به الغرب، وبنتائج مدوية. وعلينا هنا أن نتذكر أنه منذ عقد مضى من الزمان فحسب كان العالم بأسره عاكفاً على دراسة منجزات اليابان في الإدارة: التصنيع، والتمويل، وأساليب التجارة، غير أنه في المرحلة الراهنة يتم المضي قدماً بهذه الابتكارات التي أدهشت العالم إلى أبعد مما ينبغي، إذ يتم وضع النظام بأسره بين يدي ما يشبه الطيار الآلي في الطائرة، وهكذا فإن السفينة سرعان، ما تجنح وترتطم بالصخور.

ومن منظور المؤلف أيضاً فإن هناك علاجاً للمشكلات اليابانية، ولاسيما المشكلات الثقافية التي يصفها بأنها مشكلات مزمنة وذات مدى طويل، وهذا العلاج جوهره العودة إلى التماسك مع الواقع. غير أن الواقع الذي لابد لليابان من العودة إليه ليس بالضرورة هو الواقع على نحو ما ينظر إليه في الغرب، وإنما هو واقع جذور اليابان الثقافية والأخلاقية.

في السطور الأخيرة من الكتاب، يخلص إليكس كير إلى القول: إن التحدي الكبير بالنسبة إلى اليابانيين، خلال القرنين الماضيين، قد تمثل في الخروج من نطاق العزلة، وفي إثبات وجودهم على مستوى العالم، وهو ما نجحوا في القيام به على نحو متألق، إلى الحد الذي تعدّ معه اليابان اليوم إحدى أقوى أمم العالم. غير أن هذا النجاح جاء مصحوباً بثمن باهظ تم دفعه على الصعيد الداخلي. والتحدي الكبير المطروح على اليابان في هذا القرن سيتمثل في الكيفية التي ستعود بها إلى نفسها، إلى الوطن.



ملمح آخر من حديقة القصر الإمبراطوري في كيوتو

كيف نستفيد من التجربة اليابانية؟

عند هذا الحد في مناقشتنا لكتاب إليكس كير، يبرز سؤال نعتقد أنه السؤال الأكثر أهمية في هذه المناقشة، بل نراه المسوغ الحقيقي للانطلاق في هذه المناقشة بأسرها، وهذا السؤال هو: كيف نستفيد نحن العرب المعنيين بدراسة تجربة التحديث اليابانية من كتاب إليكس كير؟

وأنا بوصفي أحد المعنيين بتجربة التحديث اليابانية، بهدف الاستفادة من إيجابياتها، وتجنب الوقوع في مزالق سلبياتها، أجد أن من الطبيعي أن يثير كتاب كير قدراً ليس باليسير من اهتمام الباحثين والدارسين العرب، وفي اعتقادي أنه ـ كما حدث في اليابان ذاتها ـ سيقابل بثلاثة أنواع من المواقف في التعامل معه.

ـ أولاً: هناك من سيميل إلى التقليل من شأنه، بل وربما ينادي بتنحيته جانبًا، ذلك أنه أيًا كانت سلبيات تجربة التحديث اليابانية، فإنها تظل أقرب إلى اجتراح المعجزات منها أي شيء آخر، ولا شيء يقلل من تماسك هذه الحقيقة أيا كانت الانتقادات التي توجه إلى هذه التجربة، حتى وإن كان الانتقاد الرئيس يوجه إلى صميمها، إلى جذرها، إلى منطلقها ذاته ـ عصر الميجي ـ وليس إلى ما ترتب عليها من نتائج وتبعات.

ـ ثانيًا: على النقيض مباشرة من الاتجاه السابق، سنجد من يتحمس لكتاب كير ويرى فيه انعكاساً لهواجس كانت تجول في صدور الكثير ممن لم يستطيعوا رفع أعينهم عن سلبيات تجربة التحديث اليابانية.

ـ ثالثًا: بين هذين النقيضين هناك امتداد رمادي طويل، لا هو يميل إلى الأسود ولا هو يقترب من الأبيض، وإنما هو يميل إلى مزيج من الإشارة بتجربة التحديث اليابانية وإلى التنديد بسلبياتها العتيدة والكثيرة التي تبدأ بالدور المتضخم للدولة في المجتمع، والسماح للعسكرتاريا بالتحول إلى القوة التي تتحكم في مصير الإمبراطورية، ثم لا تنتهي بالدمار الكابوسي الذي أصاب البيئة في اليابان، ولا بالتحطيم الوحشي لإنسانية الإنسان في مدن تشبه الطريق من الجحيم إلى الجحيم.

كلاب ووحوش

ولكن أين نقف نحن في خريطة المواقف تلك إزاء كتاب إليكس كير؟ قبل الرد على هذا السؤال يهمني أن أنقل للقارئ قصة يرويها المؤلف هي التي استمد منها عنوان كتابه، وهو يقول إنه في حكاية قديمة يسأل إمبراطور صيني مصور البلاط عن أسهل الموضوعات في التصوير وأصعبها، ويرد المصور قائلاً إن الكلاب هي أسهل الموضوعات في التصوير وأصعبها، ويرد المصور قائلاً: إن الكلاب هي أسهل الموضوعات من حيث تصويرها، أما أصعبها فهي الوحوش، أو الهولات إن شئت الدقة.



الطبيعة اليابانية في جزئية من أحد سيوف الساموراي

وبالنسبة إلى كير الذي أقام طويلاً في اليابان وعجم عدد مشكلاتها فإن الكلاب في حالة اليابان هي الأنشطة الحيوية والضرورية التي تستديم اقتصاداً مسؤولاً على الصعيدين البيئي والثقافي، بينما الوحوش والهولات هي المشروعات التافهة، العديمة المردود، التي تكلف ملايين الدولارات، والتي اجتاحت أرض الكثير من مناطق اليابان، وكستها بالإسمنت الوحشي.

بهذا المعنى فإن مشكلات اليابان، بين منظور كير، تتجاوز بكثير محنتها الاقتصادية، تهاوي مصارفها وصناديق معاشاتها، وتراجع أداء سوق أوراقها المالية، وتتعمق وصولاً إلى موضوعات غالبًا ما تتجاهلها الصحافة الغربية عندما تركز قضايا المال والأعمال في اليابان، وتشمل بيئتها المعرضة لشتى الأخطار، والتي تشمل شواطئ بحارها المكسوة بالإسمنت، وطرقها التي لا تفضي إلى مكان في



ملمح من داخل القصر الإمبراطوري في كيوتو

الجبال، والاندفاع العصبي إلى إقامة الأعمال الصرحية، وانهيار فنونها، وفي مقدمتها السينما التي كانت متألقة ذات يوم، ودمار مدنها، وفي مقدمتها كيوتو، وبناء مدن جديدة خالية من أي ملمح من ملامح الجمال والروح الإنسانية، وما تزامن مع هذا كله من انهيار صناعة السياحة.

كل هذه التطورات غير الصحية توضح التأثير الارتدادي لنظامٍ تعليميٍّ وإداريٍّ صُمِّم لإنتاج السلع المصنعة، ولا شيء يتعدى ذلك إلا في القليل النادر.

يطلق كير على هذا كله التوصيف الشامل والداعي إلى الشعور بالصدمة «إخفاق الحداثة»، ويشدّد على أن مجرد تحقيق زيادة في معدل النمو الاقتصادي لنا يشكل علاجاً لهذا الإخفاق، وهو يفتح النار على الخبراء الأجانب الذين يعتمدون عادة على الدعم من الحكومة وأنشطة الأعمال اليابانية، ولا يلقون الضوء على الأعراض الداخلية للأمراض، وهو يحذر من مخاطر تجاهل الأعمال الصرحية، كالحدائق والجسور التي تفضي إلى الأماكن والمشروعات العملاقة التي تثري (البيروقراطية) وتفقر الناس.

وكير لا يتردد في مواجهة هذه الوحوش والهولات وتصويرها على صعوبة عملية التصوير تلك وفي انتقاد المفهوم الياباني الذي يرى أن الدهر عفّى عليه لما تعنيه الحداثة. وهو لا يتردد بصدد هذا في القول: «إن الكيفية التي تداعت بها اليابان هي إحدى الحكايات الغريبة والرهيبة المنتمية إلى أواخر القرن العشرين».

وهو في رصده لمنعطفات هذه الحكاية الغريبة والرهيبة يلاحظ ملاحظة مدهشة حقًا، وهي أن مشكلات اليابان تضرب جذورها في ستينيات القرن التاسع عشر، عندما فتحت أبوابها أمام العالم للمرة الأولى، فهي في ذلك الوقت انطلقت لمقاومة القوى الاستعمارية (الكولونيالية) الغربية، ثم في وقت لاحق تنافست مع هذه القوى على الهيمنة، وعلى الرغم من أنها أصبحت إحدى أقوى أمم الأرض، إلا أن السياسة الأساسية القائمة على التضحية بكل شيء من أجل النمو الصناعي لم تتغير. ومع مرور الوقت برزت هوة واسعة بين أهداف هذه السياسة التي تمّ تجميعها قبل ما يزيد على قرن من الزمان والحوائج الفعلية للمجتمع الياباني الحديث، وتراكمت التشوهات والديون المحتجبة إلى أن أدت إلى التداعي المدوي لليابان الذي شهدناه مؤخراً.

ونصل إلى أقوى المفاهيم والأفكار التي يطرحها كير، عندما نرصد تمييزه بين «الأزمة» و«الانحراف الصحي» على أنه توصيف للوضع الراهن لليابان، فهو يرفض وصف ما تعيشه اليابان اليوم بأنه «أزمة»، ذلك أن هذه الكلمة تفترض ضمناً أننا نتحدث عن لحظة صدق، لحظة تتم فيها مواجهة حسمها، بينما ما تشهده اليابان أكثر تطاولاً، وأبعد مدى بكثير من ذلك.

هكذا لا يتردد كير في القول: إن «الانحراف الصحي الثقافي» هو توصيف أقرب إلى الحقيقة في رصيد ما يجري في اليابان اليوم، وهو انحراف صحي يرى أنه قد حدث بسبب عدم اتساق قاسٍ بين النظم (البيروقراطية) اليابانية وحقائق الحياة الحديثة.

بهذا المعنى فإن ما يقدمه لنا كير هو قصة عدم الاتساق هذا، قصة الكيفية التي مضت بها اليابان تضرب على غير هدى على طريق جانبي معزول، بعيدة لا عن العالم في مجمله فحسب، وإنما عن ذاتها الحقة كذلك.

لهذا، بالضبط، فإن كتاب «كلاب ووحوش: حكايات من الجانب المظلم لليابان» لمؤلفه إليكس كير يظل عملاً مهماً بالنسبة إلينا في العالم العربي على نحو يفوق ما يتجاوزه الكثيرون.

الكاتب الإسباني فرناندو آرابال: أنا متصالح مع الهزيمة!!

حوار: ماريا ـ ليزا جازارين جيتار

ترجمة: حسين عيد

ولد فرناندو آرابال في مدينة مليلة المغربية عام ١٩٣٢م، وعاش في طفولته رعب الحرب الأهلية، كما كابد مشاق سنوات ما بعد الحرب في إسبانيا. وانتقل إلى باريس عام ١٩٥٥م، واستقر فيها منذ ذلك الوقت، واكتسب شهرته كطليعي مشاكس مزعج للمسرح الفرنسي، وأطلق عليه بعضهم (الفوضوي)، كما نسب إليه ابتكار «مسرح الفزع»، وكان يوازن بأعمال الوجوديين.

عرف عن فرناندو على المستوى الدولي أنه كاتب مسرحي، وروائي، وشاعر، ومنتج ومخرج سينمائي، وكان يكتب مسرحياته بالإسبانية والفرنسية، وقد عرضت مسرحياته في عدة بلاد.

الفصل الأول

بماذا تشعر حين ترى عملك بلغة ليست لغتك الأصلية؟

هذا سوء حظ عانيته منذ البداية؛ لأن أعمالي كانت تنشر أولاً بالفرنسية، كما جرى الأمر نفسه مع كل حفلات الافتتاح. وأعرف أنه لم يقدم عرض أول لأي من مسرحياتي بالإسبانية.

هل تكتب بالفرنسية؟

لا، أنا أكتب بالإسبانية، ثم أعدّ ترجمة فرنسية لما كتبت مع زوجتي التي هي إحدى زميلاتك في جامعة السوربون.



فرناندو آرابال

ما التأثير الذي أدخلته فرنسا في سياق تطوير عملك؟

منحتني فرنسا الاستقرار، استقراراً حراً سمح لمسرحي أن يطبع تلقائياً، ينشر، ويقدم.

وبالتعاون مع الكتّاب والفنّانين كوّنا ما يمكن أن يسمى «المدرسة الفرنسية». كما أتيحت لي أيضًا فرصة الخروج إلى السينما في فرنسا، حتى عندما صنعت أفلامًا في الولايات المتحدة الأمريكية ـ آخر فيلم أنجزته في الولايات المتحدة كان مع الممثل الأمريكي ميكي روني ـ كانت تلك الأفلام إنتاجًا فرانكو ـ أمريكيًا.

ماذا يعني فوز روايتك «ارتطام برج بالضوء» بجائزة نادال، بالنسبة إليك؟

كان الأمر مثيراً لدهشة شديدة؛ بسبب نوع التلقي الذي استقبلته به الصحافة الإسبانية. كانت الاستجابة زائدة، كالعادة؛ لأنني لم أكن أظن أنها تعني شيئًا كبيراً. كما كان الأمر مثيراً للدهشة لسبب آخر، وذلك لأنني حين سافرت عبر الولايات المتحدة ـ حيث قدمت أربعين محاضرة في ثلاثين يوماً، من ميلواكي إلى سان جوان في بورتوريكو ـ قررت زوجتي وسكرتيرتي أن يمزحا معي، بأن أرسلا الرواية من دون علمي إلى لجنة جائزة نادال، وحين اكتشفت الأمر، أيقنت أن ذلك كان أمراً حسنًا، فقد كانت فكرة ذكية تستحق التقدير لزوجتي. وكما تعلمين، أنا رجل عصري جدًا، أصيل جدًا، طليعي أيضًا، لذلك لا تجدين شجرة عيد الميلاد في بيتي، أو أي أدوات من ذلك النوع، ولا حتى أي مشهد لميلاد المسيح. وفي أعياد الميلاد، لا نقدم هدايا؛ لا توجد لدينا في إسبانيا (سانتا كلوز) نستبدلها بالليلة الثانية عشرة، ليلة ميلشوار، جاسبار، بالتاثار. وحين كنت أعدّ الهدايا لأطفالي، في تلك الليلة، جاء خبر جائزة نادال، تلك المنحة من برشلونة.

هل هناك علاقة حميمة بين الكاتب الروائي والكاتب المسرحي؟

لقد كتبت أربعة عشر مجلدًا من المسرحيات، أي نحو مئة مسرحية، بالنسبة إلي، تعدّ المسرحية ظاهرة خاصة، شيئًا سريعًا، عاجلاً، تفسيرياً، يحدث ليلاً. باختصار، هي شيء ما حدث وأود أن أنظمه بسرعة؛ لذلك انتهي منها خلال ثلاثة أسابيع أو أربعة. إنها كالبرق الصاعق. أما الرواية، فهي على العكس، شيء طويل جداً، كالزواج الذي يوجد فيه كثير من لحظات الاضطراب، حتى أكان الفرد على الطريق الصحيح أم لا. إنها كالأوديسة.

أيهما تفضل، كتابة المسرحية أم الرواية؟

ما أحبه أكثر هو المسرح. يطلب مني بعض منتجي السينما أن أصنع مزيداً من الأفلام لكنني اكتفيت بإخراج خمسة أفلام فقط؛ لأنني أفضل المسرح.

ما العلاقة بين الكتابة المسرحية، والمشاهدين، والشخصيات؟

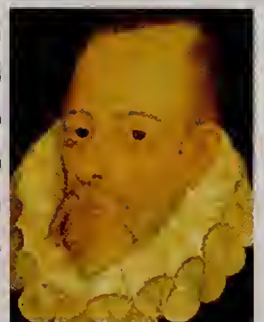
حسنًا، كنت قبلاً قصيراً، قاتماً، وقبيحًا، لكن شكراً للمسرح، فقد أصبحت بفضله الآن طويلاً، حرّاً، ووسيماً، كما حقق المسرح لي ما أسماه الإغريق (التطهير) وهو ما شفاني، وأتمنى أن يرى المشاهدون مسرحياتي بالطريقة التي أردتها كعلاج.

بالقراءة في مسرحك، شعرت أنك تخلق ميثولوجيا حديثة. هل تعتقد أن هذا صحيح؟

ربما كان صحيحاً؛ لأنني عبر حياتي، كنت على اتصال دائم بجماعات الطليعيين، ففي إسبانيا كنت على علاقة مع جماعة (يوستستا) وعند وصولي إلى الولايات المتحدة عام ١٩٥٩م قضيت وقتًا طويلاً مع الوجوديين، وفي فرنسا كان لي الشرف الكبير حين ضمّني أندريه بريتون إلى مجموعة السيرياليين.

الرواية تشبه رحلة، إنها مثل حفل زفاف، يدور الفرد في فلكه فترة طويلة!

كنت دائماً أعدّ مؤلفًا طليعيًا، مؤلفًا عصريًا، مؤلفًا جديدًا. لكني أعتقد أن هناك سوء فهم. لماذا أتحدث عن ذلك دائمًا بلهجة تهكمية؟ أعتقد أنني مؤلف إسباني، وُلد في مدينة إسبانية صغيرة، ولم يتوقف عن كتابة أعمال شبيهة بإنتاج القرون الوسطى؛ لأن ما سحرني دائمًا هو هذا العالم الذي عشت فيه طفولتي في مدينة سيداد رودريجو الصغيرة، القادمة من القرون الوسطى. لقد أعدت إنتاج الاحتفالات، والطقوس، ومهن صيد السمك الأوربية المتوارثة، ومواكب، وشواهد، وكل العناصر التربوية والهمجية التي واجهتها في شبابي، وذلك بعد أن أُزيل بعيداً عالم مدينة (سيداد رودريجو) القادم من القرون الوسطى، عن عالم إسبانيا الراسخ. وقد وجدت، عبر كل حياتي، هذا الفارق، وهذه المسافة، وهذا التهميش في الجماعات الطليعية.


سيرفانتس

أندريه بريتون الذي دافع عن مسرحي ـ كان يمكن أن يندهش جداً، إذا أخبرته أن السيريالية، بالنسبة إليّ تشبه سيداد رودريجو.

بقراءة أعمالك يظهر فوراً أنك لا يمكن أن تعيش من دون إسبانيا، أو من دون الله، وإسبانيا، ومع ذلك فهما يظهران كأسطورتين في أعمالك؟

خاصة الله؛ لأنني كاتب ديني، ولذلك فإن التيمات التي تثير اهتمامي هي دائمًا تيمات دينية. وهذا هو السبب، في أن اليوم الذي منحوني فيه جائزة نادال، كان هناك تزامن قدري سحري؛ ففي ذلك اليوم أجبت الدعوة إلى اجتماع

فوضوي في برشلونة، وحين وصلت إليه، وجدت هناك حشداً من البشر، ليس بسبب الفوضوية، بل بسبب الجائزة، وقد أخبرت الفوضويين أنني أحبّ أن أتحدث حول الدين، حتى إنني طلبت منهم أن يصلوا لتظل إسبانيا، كما كانت دائماً - إسبانيا دون كيشوت، ولا تريزا دي آفيلا، وسانت جون الصليبي.

في مسرحية «التحقيق» تسقط الرسائل في مظلات. لماذا كان بعضها مكتوباً على شكل مخطوط؟

لا تنس أنني رجل من القرون الوسطى، وبالنسبة إليّ، فإن معظم الشخصيات المثيرة للاهتمام، هم هؤلاء القادمون من العصور الوسطى؛ لأنها الفترة التي رغبت أن أعيشها، وحلمت فيها بامرأة كاليانور اكوتين وبلانش أوف كاسل. أحلم دائماً بامرأة تكون فوضوية في عصرها.

آخر امرأة من العصور الوسيطة، كانت تيريزا دي آفيلا؛ لذلك فإنني احتفظ في شقق بفرنسا بإسبانيا التي أحبها، وأودّ أن أقول بكل تواضع، إنني أعدّ نفسي سفيراً متواضعاً لإسبانيا، ليس لإسبانيا الرسمية، بل لإسبانيا الروحية؛ لأنه حين تقع الأحداث، التي تؤثر في الشعب الإسباني، لا تتجه صحف مثل «لوموند» و«نيويورك تايمز» إلى السفارة الإسبانية، بل يأتون إلى أناس مثلي.

أنت تستخدم في أعمالك نظرية الانتشار المزدوج. فهل ترى المسرح كلعبة، ترتدي فيه الشخصيات أقنعة وتخلعها؟

كما تعرفين أنا شديد الإعجاب بلعبة الشطرنج، ومع أنني لاعب شطرنج رديء، إلا أنني أعدّ عموداً للشطرنج لمجلة «لا اكسبريس» الفرنسية الأسبوعية، وهو عمل أحبّه. الشطرنج بالنسبة إليّ حياة: في زمن القاهرين، حين كانت إسبانيا أهم قطر لي في العالم، كان بطل الشطرنج العالمي قساً إسبانياً، يدعى لوبيز، كما كانت غالبية ترجمات الشطرنج التي أعيد التعرف إليها، إسبانية. وفي عصر النهضة، كان أفضل لاعب شطرنج من إسبانيا. وحين قامت الثورة الفرنسية، وتم التحكم في اللعبة بواسطة فيليدور الفرنسي، الذي قال: إن البيادق هي قلب الشطرنج، وليس الملك أو الملكة. لذا أعدّ الشطرنج حياة، ومسرحي الذي يسمى لعبة، لديه البيدق كما القائد. وأعتقد أن مسرحي يستطيع أن يحاجّ الشروط التي أتكلم عليها، لكن ما لا يمكن النقاش فيه، هو كيف أقول.. مع أن كل شيء يمكن المحاجّة حوله.

لذلك، فإن عنصر سيرة حياة الشخصية مهم جداً في مسرحك

لا أستطيع كتابة أي شيء آخر؛ لأن لدي قارئاً أساسياً لعملي، هو زوجتي. حين أنهي مسرحية تقرؤها، وأنا أقول لها دائماً «انظري، لقد كتبت أخيراً شيئاً مختلفاً، شيئاً جديداً» فتقرأ العمل، وتقول: «لا، إنك تكتب دائماً حول الشيء نفسه». لا أشكك في أنني أكتب دائماً حول التيمات نفسها. أما سيرة حياتي الشخصية، التي تتضمن صورة الناس من حولي، فهي مهمة جداً.

> **ذهب بيكيت إلى قضاتي، وقال لهم: لقد عانى آرابال كثيراً، لا تضيفوا مزيداً إلى عقابه!**

صمويل بيكيت

لماذا تحب أن تضع الغنائي إلى جانب المقدس في سياق من عدم الاحترام؟

هناك شخصيات في عملي لا تحترم المقدسات، أو لديها عدم الاحترام. أو ربّما قد تمتلكه يوماً. لكنني لست واحداً منها. ما أودّ قوله حقيقة، هو أننا: سيداد رودريجو، والوجوديون، والحركة السيريالية، وحركة مسرح الفزع، حاولنا جميعاً أن نجلب إلى العالم القائم، عناصر تعدّ غير عادية أو بذيئة. كما حاولنا أيضاً أن نحفر في أساسيات الفن القائم؛ لذلك، ولهذا السبب، هناك مزيج من العلو والنفايات في كل أعمالنا.

لقد اتخذت من بعض عناوين لوحات فنية لأساتذة عظماء عناوين لمسرحياتك، مثل «حديقة الأنوار»، «فن الساردينى»، و«كونشيرت من أجل بيضة». هل تحدثنا عن تأثير جويا، وبوسش، وبروغيل في أعمالك؟

كما سبق أن قلت، إن هناك تأثيرات من سيداد رودريجو واحتفالاتها، فإن هناك تأثيرات أيضاً من العالم التشكيلي لهؤلاء الفنانين الذين ذكرتهم، وربّما أيضاً من أعمال بعض السيرياليين المعاصرين مثل ماجريت.

لِمَ تعلق كل هذه الأهمية على الموسيقى، وخاصة الأغاني في مسرحك؟

فقط بعض مسرحياتي، ولنتذكر أنني كتبت أكثر من مئة مسرحية، لذلك فهناك مسرحيات ليست للموسيقى فيها أي

أهمية، كما أنني لا أظن أن الموسيقى ضوضاء سيئة، كما اعتاد آندريه بريتون أن يقول، لأنني أحبّ الموسيقى. وأنا أضمن أعمالي بالأغاني التي قد نعدّها دارجة منخفضة القيمة فنيا؛ وذلك بسبب مضمونها الذي لا يمكن استعادته. وكما يبدو كمفاجأة كاملة، أشعر هنا بالرغبة في أن أغني.

اسم ابنك صمويل، تيمنًا ببيكيت..؟

نعم، اسمه صمويل غاندي

ماذا يعني بيكيت بالنسبة إليك؟

كان كاتبا عظيما، أودّ أن يصبح ابني مثله، ليس ككاتب؛ لأن هذا يتطلب كثيرا من المعاناة، مع أنني أود أن يشعر بإلحاح لأن يكتب كما أفعل. أريد أن يصبح ابني أخلاقيًا مثل بيكيت؛ لأنه حين كبدتني قوات فرانكو كثيرًا حتى أوضع في السجن، بعد أن صادروا كل أعمالي، ذهب بيكيت إلى قضاتي، وقال لهم: «لقد عانى آرابال كثيراً ليكتب، لا تضيفوا مزيداً لعقابه». وهذا يظهر معدن الرجل.

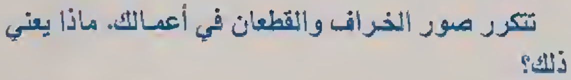
تتكرر صور الخراف والقطعان في أعمالك. ماذا يعني ذلك؟

هناك أستاذ قام بدراسة حول حديقة الحيوان في مسرحي، حيث يوجد كثير من الحيوانات.

حتى الصراصير؟

كنت سعيداً عندما نزلت في فنادق أمريكية، تتظاهر أنها فنادق فخمة، حتى جاءت صراصير لزيارتي، ولتخفف من وحدتي، لذا فإن هناك عدداً من الحيوانات في أعمالي، وحين أصنع أفلاماً سينمائية توجد دائماً مشكلات بسبب ذلك. هناك حيوان في كل مسرحية من مسرحياتي، لأن شخصية الحيوان مهمة كشخص. وفي الفيلم الذي أخرجته، كانت هناك شخصيتان أهم من الممثل ميكي روني، هما بطّة ومحرّك القطار. وفي فيلم «غارنيكا» ليست (ماريا ـ إنجيلا ملاتو) هي الشخصية المركزية، بل هو حمار. لقد أحببت دائماً أن أشعر بعالم الحياة الفانية من خلال حيوان.

إذا توجّب عليك أن تشرح في جملة أو كلمة، كنه هدفك الذي ترمي إليه في مسرحك. فماذا تقول؟



حين أجلس لأكتب، أعيش فقط تلك المغامرات التي لدي: أضحك، أصرخ، استثار، بصدق أمتّع نفسي!



أندريه بريتون

قد أقول: إنني رغبت أن أكون شاعراً؛ لأن الشاعر مثل الطائر الذي يعرف قليلاً عن علم الطيور. وإذا ألصق مراسل تلفزيون أمريكي ميكروفونا تحت أنف سيرفانتس وسأله: كيف ترى دون كيشوت؟». ولعلّ سيرفانتس كان غير قادر على أن يجيب؛ لأنه لم يكن معنيًا بأهمية ما يراه؛ لذلك فإنني لا أدري إذا كنت أعدّ أفضل شخص يمكنه أن يشرح ما أفعل. لقد كتبت بعض مقالات نظرية حول المسرح، مثل «علامات من العصر القديم»، ولكن كمؤسس لمسرح الفزع، وكمنشئ لمجلة تسمى «المسرح» فإن ما أودّ أن أقوله هو أنني حين أجلس لأكتب، أعيش فقط تلك المغامرات التي لدي: أضحك، أصرخ، أستثار، وبصدق فإنني أمتّع نفسي في تلك اللحظات، آملاً ألاّ أكتب معادلات نظرية أو أقوالاً مأثورة.

ماذا تعني اللغة بالنسبة إليك؟

حاربنا ضد الكلمات عشر سنوات، وصنعنا مسرحاً للإيماءات. أعتقد أن المسرح والحمد لله يعود ثانية إلى جذوره، إلى الكلمات؛ لأنه في البدء كانت الكلمة، وهي الوسيط لكل عمليات التوصيل.

الفصل الثاني

أتمنى أن أواصل ذلك الحوار الطويل، الذي بدأته معك منذ سنتين. هل يمكن أن تخبرني إذا كنت ترى تقدّما في عملك؟

قليل جداً، فقد كتبت عدداً كبيراً من المسرحيات خلال السنتين، وكتبت روايتين.. هناك تقدم طبقًا لشروط الكم. أمّا بالنسبة إلى شروط النوع، فقد ظلّ الحال كما هو.

في يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٨٦م، كانت الذكرى السنوية لوفاة فرانكو، وتمّ في نيويورك حفل افتتاح مسرحيتك «مادونا الحمراء أو برقوق لغوريلا»، كيف تأتّى لك كتابة هذا العمل؟

لقد واتاني العمل؛ لأنني أعدت قراءة حكاية أورارا رودريجز وهيلدجارت. هذا هو ما ألهمني كي أكتب تلك المسرحية بالإسبانية، وأن أكتب الرواية بالفرنسية.

هل هي روايتك الأولى التي كتبتها مباشرة بالفرنسية؟

لقد كتبت عدة مسرحيات مباشرة بالفرنسية، لكنها

الرواية الأولى التي كتبتها بالفرنسية، وقد استغرقت كثيراً من العمل.

وهل تشعر بالراحة عند كتابة الروايات، أم تفضل المسرح؟

كما قلت من قبل، فإن الرواية تشبه رحلة، إنها مثل حفل زفاف يدور الفرد في فلكه فترة طويلة. إنها ليست حبًا من أول نظرة كما يقول الفرنسيون؛ لأن الرواية تستغرق ما يقرب من سنة في كتابتها. لذا أفضّل المسرح؛ لأنه مركّز، عاجل، سريع، دائري، ومكتمل. والشيء المزعج لمؤلف رواية، أنه قد يكون في منتصفها ثم يفاجأ بأن أفكاراً أخرى قد بدأت. وهو ما قد يبدو مرعباً.

وأنت تعدّ كاتبًا فرنسيًا بقدر ما أنت إسباني. كيف ترى نفسك؟

أنا مراكشي. لقد وُلدت في مراكش (المغرب حاليًا). أنا آرابال، والوحيد فقط.

الآن، وبعد أن انتهت الدكتاتورية في إسبانيا، إلى أين ستمضي كي تجد تيمات للمستقبل، وأي شخصيات ترتبط بالناس قد تضمنها أعمالك؟

في عملي، ظهرت بوادر دكتاتورية فرانكو عند حدّها الأدنى.

نعم، ولكن أليست حاضرة بشكل غير مباشر؟!

إنها حاضرة بشكل غير مباشر، ولكنها ستكون حاضرة دائماً وإلى مدى أبعد؛ لأن الدكتاتورية، والكبح، والتحقيق، والتعصب، تكون دائماً حاضرة بشكل غير مباشر. ولكن من بين أكثر من مئة مسرحية، هناك قليل جداً فقط ألهمت بواسطة فرانكو أو الحرب الأهلية. فقط مسرحيتان: «رسالة إلى فرانكو»، و«غيرنيكا» اثنتان أو ثلاث فقط. لذلك أرى أن حياة فرانكو أو موته لم يغيّر شيئًا في عملي، فقد ظللت أكتب بالأسلوب نفسه. لذلك أعتقد أن فرانكو وما شابهه، هم مجرد مياه تحت الجسر.

لعملك إيقاع خاص. هل تحدثنا عن مسرحية «مادونا الحمراء» من وجهة نظر المخرج؟ وما شعورك لكونك مؤلفًا ومخرجًا في الوقت نفسه؟

أنا لا أحب ذلك. لقد أخرجت مسرحيات قليلة جداً، ربما اثنتي عشرة أو ما يقاربها.

في الفيلم الأمريكي الذي أخرجته، كانت هناك شخصيتان أهم من الممثل ميكي روني، هما بطة ومحرك القطار



ناتالي ساروت

لماذا لا تحب ذلك؟

أنا لست متحمساً للإخراج؛ لأنني أفضل أن يقوم به آخرون، لكني لا أمانع أن أقوم به، لأنني أتآلف جيداً مع الممثلين، كما رأيت، فنحن جزء من أسرة كبيرة، ولدينا دائمًا حفلة غير عادية. بهذا الإحساس أجد كثيراً من المتعة، مع أني أعتقد أن شخصاً ما آخر قد يمكنه أن يرتجل كثيراً في مسرحي، لأن هذا سيساعد. إنه مثل إجراء تبادلي في سباق.

إذن، في رأيك أن المخرج يجب أن يرتجل؟

يجب أن يريني جانبًا لا أدركه من عملي، مع أنه في كثير من الحالات قد يكون مخرجاً رديئًا؛ لأن كل ما شاهدته من إخراج كان مؤلمًا. ولكن حين يكون الإخراج جيداً، يصبح ذا قيمة كبيرة.

ما العلاقة التي توجد بين المخرج، والمؤلف، والممثل، والمشاهد، ومن يؤثر في الآخر؟ وهل للممثلين أي إضافة؟

لقد قلت دائمًا: إن الإخراج، على الأقل الذي مارسته، هو إخراج للممثلين؛ فأنا أحب أن أنصت للممثلين إنصاتًا تامًا، وأجري بعض الخيارات، لكن الغلبة تكون لهم؛ لأنني أرى عرضًا أفضل من أي من المشاهدين حين أكون على بعد عدّة أقدام من الممثلين، وحين أستطيع أن أقفز على المسرح، وأقف قريبًا منهم، أراقبهم وهم يحركون عيونهم.

لكنك أيضًا ممثل؟

لم أكن أبداً ممثلاً، لقد ظهرت فقط عدة مرات في مسرحيات. إنه واحد من كوابيسي، أن أمضي إلى خشبة المسرح، وأن أقدم جزءاً من واحدة من مسرحياتي التي لم أعد أذكرها.

في مسرحية «مادونا الحمراء» ارتدى كل الممثلين زيًا موحدًا، كتب اسم كل منهم على ظهره، لماذا الأسماء؟ ولماذا ارتديت جاكتًا مماثلاً في ليلة الافتتاح؟

لقد كان الأمر دعابة، وكان الجاكت هدية قدمها الممثلون لي، لذلك فهو لا يدخل في نطاق الملاحظات التي حددتها للإخراج.كان انطباعاً شخصياً للإخراج في هذه المسرحية، وكما في كل مسرحي، مبدأ لمسرح جديد، مسرح التعارض، مسرح توجد فيه مشكلات اقتصادية، ويعتمد الفرد فيه فقط

على الموهبة والكلمات. لذلك لم يكن اهتمامي بممثل يدعى (مانرو) لعب دور ثور. وقد لعبت إليزابيث ريز Ruiz إحدى ممثلات تلك المسرحية، دور أورورا رودريجز، ولكن وُجد في دورها منبهات ثابتة بأنها رويز، وليست رودريجز. بهذا الأسلوب يكون لدينا مسرح في المسرح، ونكون مخلصين للحاضر. وبعد أربع سنوات أو خمس من الآن، سوف نرى عدة مجموعات تفعل الشيء نفسه، الذي فعلته للمرة الأولى في تاريخ المسرح. ستؤديه مجموعات أخرى بأساليب أخرى، ربما ليس بالتأكيد نفسه، لكنه سيكون نموذجًا لما يجب أن يُستخدم. إنه تفسير ريز لشخصية أورورا رودريجز، فهي لا تريد أن تجعلنا نصدّق أنها أورورا رودريجز، كما يحدث في المسرح العادي. وبسبب ذلك يمكنها أن تكون أكثر إثارة من المسرح الطليعي المعتاد.

أتعني أنك لا تريد أن تتخاصم مع الواقعية؟

إنها مسرحية واقعية، ترتكز على حقيقة واقعية. إنها أهم مسرحية في قطع العلاقات والتخاصم مع مسرح الماضي. لذلك أرى أن المسرح الواقعي هو الذي يقدّم فيه الممثلون مسرحاً اقتصادياً، يعول فيه فقط على الكلمات والخيال. إنه مسرح الحاضر.

لماذا تبيح لنفسك استخدام كثير من الأقنعة والأساطير؟

إنني أستفيد من الحيوانات الخرافية، التي تُعدّ مختلفة، وأبتكر أساطير أدبية، تتطابق مع الأسطورة التي تعني أن تقول أكذوبة. أي أكذوبة على شكل أسطورة. ما أريد أن أفعله في المسرحية، هو أن أقدم حيوانات خرافية، كتلك التي ابتكرها الإنسان عبر العصور، مثل حورية الماء، وأحادي القرن؛ لنراها كجزء من الإنسان. وهذا هو السبب، إنه من المهم جداً أن تعرف أن الحيوان ليس حيوانًا خرافيًا، لكنه أيضًا مخلوق بشري. من أجل ذلك، فإن التمساح في المسرحية، هو البنت التي تظهر على خشبة المسرح ونراها بوضوح تضع قناع تمساح.

إذن، أليس هناك فرق بين المخلوقات البشرية والحيوانات؟!

يوجد الحيوان الخرافي فقط في الخيال. وحتى أكون أكثر تحديداً، فإنه الحيوان الذي يعيش في خيال القاهرين، لأن كل القاهرين رأوا حيوانات خرافية: هرناندو كورتيز، كريستوفر كولمبس. حتى المستكشفون رأوه، لذلك يوجد هناك نص يشير إلى أنه في إحدى رحلات كريستوفر كولمبس، رأى بعض البحارة البرتغاليين عروس البحر واصطادوها، وحين بدأت عروس البحر تغني وتنوح بحزن شديد اضطر البحارة إلى أن يعيدوها إلى الماء. وهناك رواية أخرى تُحكى عن قس من كيزكو رأى شجرة تتحول أوراقها التي تسقط في النهر إلى سمك، أو إلى طيور إذا حملتها الريح.

هل أنت قاهر اللغة؟

لا، أنا قرصان أكثر مني قاهر. ونحن الآن، فعلاً، في اللحظة التي يُرى فيها المجتمع، عبر عيون الماديين، إنه آيل نحو النهاية. ولعل هذا هو السبب في أن مسرحية «مادونا الحمراء» مهمة جداً، لأنه مع نظام المادية الجدلية لدينا الإمكانية، مرّة أخرى، في العودة إلى الحيوان الخرافي، على الرغم من أنه ليس له علاقة بالأساطير.

معظم الشخصيات التي تثير اهتمامي، هي هؤلاء القادمون من العصور الوسطى، تلك الفترة التي رغبت أن أعيشها

هل أنت تتفاءل لأننا ماضون إلى نهاية عصر المادية؟ أو لسنا ذاهبين إلى شيء أفضل؟

شيء مختلف، لكني لا أعرف هل كان سيكون أفضل. وعلى كل حال، كانت جدتي على صواب؛ لأنها اعتادت أن تقول: إننا في وادي الدموع.

هل كتبت أي موسيقى؟

لا، لم أفعل، كما أن الموسيقى، لسوء الحظ، بين أيدي فئة قليلة من البشر؛ لأننا حين كنّا أطفالاً تعلمنا قليلاً من الموسيقى، لذلك فإن قليلاً من البشر لديهم اتصال بها.

أنت كاتب مسرحيات، مخرج مسرحي، صانع أفلام، روائي، شاعر، رسام، متحمس موسيقي.. كيف تعرف آرابال من بين كل هذه الأوصاف؟

أنا لا أعرف، ربما أجد نفسي في الرسم؛ لأنني أحبّ بناء لوحة كالمعادلة الرياضية. أحب الرسم في شكله الخاص، كما أحبّ أن أرسم صوراً في مسرحية.

أعتقد أن الإيقاع مهم جداً في عملك..

إنه أساسي. الإيقاع هو انتقال، هو جسر بين مشهدين يجب أن يتدفقا بيسر، كما في سيمفونية. وهذا هو ما حقق لي معظم العمل مع الممثلين في مسرحية «مادونا

الحمراء»، وإن كانوا غير معتادين عليه؛ لأنه كان لديهم تراث، مبدأ مسرحي تقليدي؛ لذلك أعتقد أن الإيقاع هو أهم شيء، لأنه أسلوب يضفر بين مشهدين، وقد حسن الأداء في هذه المسرحية.

هل تشعر بالتواضع إزاء عملك؟

نعم، أشعر بالتواضع لكل شيء فعلته أو أفعله، فالتواضع مثل شكل أنف أو حجم يدين. إنه أحد تلك الأشياء التي يولد فيها الإنسان. لقد وُلدت كاتباً، وليس لدي ما أفعله إزاء ذلك.

هل أنت كاتب مسرحي أكثر من كونك كاتبًا روائيًا؟

نعم، أنا كذلك. ومع ذلك، فقد كسبت جائزة نادال في إسبانيا عن رواية، وليس عن مسرحية.

هل ترى المسرح كلعبة، أو كانعكاس للحياة؟

أرى أنه كلاهما. وهذا هو السبب في أن المسرح، حتى في شكله البدائي في الحاضر، لديه قوة كامنة لأن يكون أفضل مما كان سابقًا. المسرح يشبه مرآة، كما أنه شذا العالم نفسه والمجتمع كما هو.

هل تحب أن تعيش حياتك كلعبة؟

نعم، لأنني لا أستطيع أن أعيشها بأي أسلوب آخر.

لم لا؟

لأنني لم أتعلم فن المبارزة بالسيف؛ ولذلك لا أستطيع أن أكون قاهراً.

هل رغبت أن تكون قاهرًا؟

نعم، كثيراً جداً، لأنها ستكون مغامرة عظيمة. فأن تقهر أمريكا كما فعل بونك دي ليون، يمكن أن يكون ذلك مغامرة رهيبة، لأن العالم الجديد مثل سيداد رودريجو: كلما زرته أكثر، عرفت أقل. لكنه أمر يدهشني دائمًا. والآن، وأنا أتحدث بواقعية، أشعر أنني مثل قاهر على حصان خشبي ممسك ممسحة كسيف.

لذا لا يوجد أي تشابه مع دون كيشوت..؟

لا، ما عدا أنني، مثل سرفانتس، أتصالح مع الهزيمة. لقد اعتاد سرفانتس أن يتخيل أشياء انقضى عهدها؛ لذلك دافع عن رواية الفروسية في الوقت الذي كان فيه الصفوة وأذكياء الإسبانيين يشجبونها.

هل تحب أن تفعل الشيء نفسه؟

نعم، أختلف مع بعض الأمور، ولدي مشكلات في إسبانيا تبعًا لذلك. وللمثال، حين مات فرانكو اعتقد الناس أنني سأشهر فاتورة الحساب؛ لأنني كنت الكاتب الإسباني الوحيد الذي كتب «رسالة إلى فرانكو» وواحد من ستة فقط حبسوا خلال عصر فرانكو (كان الخمسة الآخرون سياسيين). لكنني لم أشهر الفاتورة؛ لأنني متصالح مع الهزيمة.

هل آرابال هو الولد الفظيع المرعب الذي نسمع عنه كثيرًا؟

لا، مرعب، لا أعرف، ولكن ولد فظيع بالقطع لا، فأنا الآن في الرابعة والخمسين من عمري؛ وذلك من اختراعات بعض الصحفيين. ولكن كما يقول المثل الفرنسي (الأغنياء هم الذين يحصلون على القروض).

ما رأيك في الصحافة؟

على الرغم من أنني لست صحفيًا، إلا أنني أكتب للصحف بانتظام، فأنا مشارك ثابت في صحيفة «إل بايس»، كما أكتب بانتظام في مجلة «لا إكسبريس»، وأتناول فقط الموضوعات التي أعرفها جيداً.

وللمثال، تكتب عن الشطرنج؟

بكل تواضع أقول: إنني لا أظن أنه يوجد في فرنسا كثير من الأفراد يعرفون أكثر مما أعرف عن الشطرنج. في جريدة «إل بايس» أكتب عن سرفانتس ورواية الفروسية، سيداد رودريجز نيويورك. تلك هي الموضوعات التي اهتممت بها طوال حياتي، لذلك لا أظن أن هناك من يستطيع أن يتناولها، على الأقل، كما أفعل.

ميكي روني

هل نقلت تلك الموضوعات إلى المسرح؟

لا، لم أنقل أبدًا سرفانتس إلى مسرحي، مع أنه موضوعي المحبب، وقد كتبت عنه لجريدة «إل بايس»، وللمثال كتبت عن رواية مزيفة لبورخيس عن سرفانتس، كانت تسمى «المرآة والاتصال». لكن كتاباتي عن سرفانتس ليست فقط مجرد حكايات. وقد جاء إلي بعض الأفراد، وقالوا: «الخرافات، تلك المادة التي تحدثت فيها حول سرفانتس في المدرسة. كم كانت خيالية!». لكن تلك الأشياء التي قلتها حول كاردينال آكوا فيفا وغيرها، كانت حقيقية. والحادث، الذي أمر فيه الملك بأن تُقطع يد سرفانتس، هو حقيقي، وهناك شواهد تاريخية تؤيد ذلك.

هل كتبت بعض تلك الشواهد؟

لا، لكنه معروف أنه يوجد مستند حول الحكم على سرفانتس. والأمر أن كتّاب السِّيَر يخافون من سرفانتس، ويريدون جميعاً أن يظهروه كجندي مرعب، وقد ابتكروا أسوأ صورة ممكنة له، عن المحارب السابق. ليس هناك أسوأ مما يكون المرء كذلك. لكن قراءة دقيقة لسير الحياة ستكشف أن كتّاب السيرة لم يصدقوا ذلك فعلاً، لكنهم ظنّوا أن إسبانيا ستلومهم إذا قالوا شيئاً آخر؛ لذلك صوّروه روائياً عظيماً، مقاتلاً عظيماً، مواطناً مناظراً، له أسرة مدهشة.. منذ عهد قريب، تناولت الغداء مع بعض أساتذة اللغة الإسبانية، الذين اعتقدوا جميعاً أن سرفانتس قد درس في جامعة سلامانكا، ذلك الزعم الذي تكرّر دائماً، مع أنه باطل. أما الحقيقة فقد تأخر سرفانتس في مدرسة سيئة جداً في «لوبيز دي هويوز» في مدريد. فبينما كان في التاسعة عشرة من عمره، كان رفاق فصله في الرابعة عشرة.

لماذا أنت مسكون هكذا بسرفانتس؟ كنت أتصوّر أنكما رغبتما أن تكونا صديقين؟

هذا هو موضوع روايتي الأخيرة «ابنة كينج كونج». الشخصية الرئيسة فيها، مثل كل النساء في عملي شديدة الذكاء. كما كانت شخصية جذابة بسبب ذكائها مع أنها لم تكن ذات حسّ أخلاقي، فقد كانت تعيش بعض المغامرات المدهشة في هذا العالم، وتحبّ السفر. وذات يوم، طاردتها الشرطة، فرمت بنفسها من أعلى منصة وثب، وسبحت تحت الماء مدة أربعة قرون، وحين طفت إلى السطح، كان سرفانتس هناك، وتحدثت إليه.

لماذا أخذت امرأة كشخصية روائية؟

إنني أتماثل مع المرأة، وهذا غريب، لأنني لم أكن أبداً شاذاً. أنا رجل، امرأة، إسباني إنجليزي، أحب صراع الثيران وأكرهه في الوقت ذاته. أنا كل تلك الأشياء، وأتماثل معها، ولا أريد أن أكون مجرد عين في بيت للحمام.

لا أستطيع أن أمدّ يد العون، لكن لاحظ أننا مطوّقان بلوحات لأعضاء وثنائيات جنسية لك. لماذا؟

الشكل البشري هو أحد مصادر إلهامي، وأحد مظاهر شخصيتي.

وهكذا، فإن هناك جانباً أنثوياً في شخصيتك؟

نعم؛ لأن معظم من قابلتهم في حياتي إثارة للاهتمام كانوا من النساء؛ زوجتي للمثال، ناتالي ساروت، مارجريت يورسنار، وأنت. كلكن نساء ذات شأن، غير عاديات. كما أحبّ أن أكون مطوّقاً بصوري الشخصية؛ لأنني أحتفي بجنون العظمة.

لماذا ذلك؟

لأنني أعرض شيئاً يتعذّر بلوغه. كما أحبّ التضاد الذي تقدمه تلك اللوحات. لكنك لا تصدقين حقيقةَ أنني مصاب بجنون العظمة. هل تصدقين ذلك؟ طبعاً كنت فقط أمزح؛ لذا لا يجب أن يؤخذ جنون العظمة بشكل جدّي. لكن لو كنت بول نيومان وشيئاً جنسياً، إذن لكان أمراً مختلفاً، ولكن مادام الشخص الكامن وراء تلك اللوحات ليس مجنوناً بالعظمة، فإن الأمر كله يصبح مثيراً للسخرية.

ومن يقف وراء تلك اللوحات؟

هو من يقف أمامك.

من هو؟

ليس وحشاً حسناً؛ لأنه لم يكن حتى مجرد وحش. لقد رسمت تلك اللوحات في الستينيات في فرنسا، حين كنت عضواً في نادي السيرياليين، فقد اعتاد الناس أن يجتمعوا في ذلك الوقت تقريباً كل يوم للاحتفال بالمناسبات. أما في الوقت الحاضر، فلا يجتمع الأفراد في فرنسا. وتلك اللوحات هي نتاج المحاورات، التي اعتدنا الخوض فيها.

من هو آرابال؟

وحدة من القضاء والقدر، وسط العالم المحيط بنا.

الهوامش

* هذا الحوار من كتاب «حوارات مع كتّاب إسبان»: ماريا ـ ليزا جازارين جيتار، الصادر عن Dedkey Archive Press بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩١م.
* من أعمال فرناندو آرابال، التي تُرجمت إلى اللغة العربية، ضمن سلسلة «من المسرح العالمي» بالكويت، ما يأتي:
- «دراما اللا معقول»: فرناندو آرابال وآخرون. العدد ٩.
- «ثلاث مسرحيات طليعية: قرافة السيارات، فاندوليز، والشجرة المقدسة»: فرناندو آرابال. العدد ٣٤.
- «الحبل المتهدل»: فرناندو آرابال. العدد ٢٠٦.



الأمير سلمان بن عبدالعزيز
يرعى ندوة «الوقف في الشريعة
الإسلامية ومجالاته»

الشيخ القاسمي ورؤية جديدة
لتاريخ الجزيرة العربية

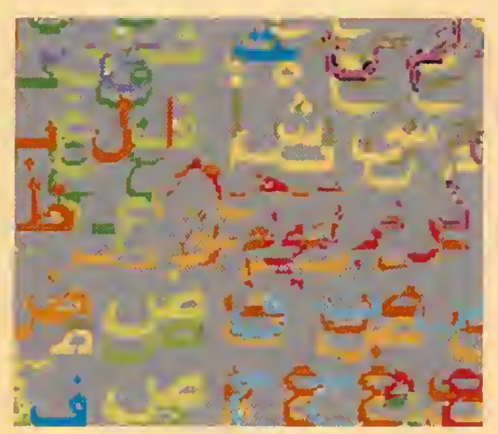
دور التوثيق والمعلومات في بناء
مجتمع المعلومات العربي

ملتقى عالمي للكاريكاتير والاحتفال
باليوم العالمي للشعر

معرض (مئة شهيد ـ مئة حياة)
ودعم التراث الفلسطيني

حوار الحضارات بين العالم العربي ـ
والإسلامي واليابان في البحرين

رحيل العقيلي، وثروت أباظة،
وغادامر، وتدهور صحة نازك الملائكة



خاتمة المطاف

تراكمات
الأساليب
السردية

الوقف في الشريعة الإسلامية ومجالاته

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض في الثاني عشر من المحرم الماضي (الموافق ٢٦ مارس/آذار ٢٠٠٢م) حفل افتتاح ندوة «الوقف في الشريعة الإسلامية ومجالاته» التي نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمناسبة مرور عشرين عامًا على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مقاليد الحكم في المملكة، وذلك خلال الفترة من ١٢ إلى ١٤ من الشهر الماضي، في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بفندق إنتركونتننتال بالرياض.



الأمير سلمان بن عبد العزيز يلقي كلمته

ولدى وصوله افتتح سموه المعرض المصاحب للندوة، واطلع على ما يحويه من مجسمات ونماذج مختلفة للأوقاف في المملكة، إلى جانب عرض لطريقة طباعة المصحف الشريف، وألقى سموه كلمة قال فيها: «إن للوقف في الشريعة الإسلامية مكانة عظيمة تستوجب منا رعايته والمحافظة عليه والعناية به وتأتي هذه الندوة المباركة، عن الوقف في الشريعة الإسلامية ومجالاته التي تنظمها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، تحقيقًا لتوجيهات ولاة الأمر في توعية المواطنين بهذه المكانة».

وأضاف سموه: «وكما تعلمون أيها الإخوة الأعزاء، فإن المملكة العربية السعودية التي تأسست على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والدعوة إليهما منذ تعاضد الإمامان، الإمام محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، رحمهما الله على إقامة دولة الدعوة، وسار على ذلك الأئمة من آل سعود حتى جاء عهد الإمام المؤسس الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الذي أرسى دعائم البناء، بتأسيس دولة جديدة تأخذ من مستجدات العصر، بما يتفق مع الشريعة الإسلامية، مع المحافظة على عقيدتها الإسلامية السمحة، وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، حفظه الله، تحرص الدولة دائمًا على الدعم والرعاية لكل ما فيه الاستقرار والتقدم لهذا الوطن الغالي، والخير والرخاء لمواطنيه والمقيمين فيه، وتضع خدمة الدين والوطن في مقدمة أولوياتها».

وترمي هذه الندوة إلى:

- تعميق مفهوم الوقف، وإبراز مكانته، وتأصيله في حياة المسلمين.
- التعريف بواقع الوقف في تاريخ المسلمين، وأثره في حياتهم.
- توضيح مجالات الوقف ووظائفه العلمية، والدعوية، والاجتماعية، والاقتصادية، ودراسة بعض التجارب، والإفادة منها.
- توعية المجتمع بأهمية الأوقاف الخيرية، وضرورة تنميتها والمحافظة عليها،
- توكيد الوقف في نشر الدعوة إلى الله، وتوجيه المجتمعات.
- حث الأفراد والمؤسسات على الإسهام في أوجه الوقف المختلفة، وبيان فضيلة ذلك وأثره في الدنيا والآخرة.

وقد ناقشت الندوة، على مدار يومين، في سبع جلسات ستة عشر بحثًا في موضوع الندوة، وتم بث جميع وقائعها بثًا مباشراً عبر شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت».

وجاء في أولى جلسات الندوة، برئاسة معالي الدكتور عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، بحثان: قدم الأول الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع وكان بعنوان «الفرق بين الوقف والوصية»، وتناول في البحث الثاني الدكتور عبدالله ابن محفوظ بن بيه «أثر المصلحة في الوقف».

وكانت الجلسة الثانية برئاسة الدكتور أحمد بن علي سير مباركي، واشتملت على ثلاثة أبحاث، إذ تناول الدكتور حسين ابن عبدالله العبيدي «مشروعية الوقف ومذاهب العلماء فيه»، وعدّد الدكتور علي بن عباس الحكمي «شروط الواقفين وأحكامها»، وختم أبحاث الجلسة الدكتور صالح بن عبدالله اللحيدان ببحث عنوانه «أحكام إجازة الوقف وما يجري عليها من التصرفات».

وترأس معالي الدكتور عبدالعزيز بن عبدالمنعم آل عبدالمنعم الجلسة الثالثة التي احتوت على بحثين، جاء الأول عن «أحكام الوقف المشترك» قدمه الدكتور عبدالله بن موسى العمار، وتناول في الثاني الدكتور عبدالعزيز بن مبروك الأحمدي «استبدال الوقف ونقله بين التأبيد والمنع».

وكانت الجلسة الرابعة برئاسة الدكتور صالح بن سعود العلي، ناقشت بحثين، كان الأول عن «الشخصية الحكمية للوقف في الفقه الإسلامي» قدمه الدكتور عبدالرحمن بن معلا اللويحق، والثاني بعنوان «الولاية على الوقف وأثرها في المحافظة عليه» للدكتور عبدالعزيز بن محمد الحجيلان.

وجاءت الجلسة الخامسة برئاسة الدكتور عبدالله بن حمد الغطيمل، وكان بحثها الأول بعنوان «تاريخ الوقف عند المسلمين وغيرهم»، قدمه الدكتور أحمد بن صالح العبدالسلام، والثاني بعنوان «نماذج وقفية من القرن التاسع الهجري» للدكتور عمر زهير حافظ.

وجاءت الجلسة السادسة في ثلاثة أبحاث وترأسها الأستاذ فهد بن عبدالرحمن العبيكان، جاء البحث الأول عن «مجالات الوقف ومصارفه في القديم والحديث» للدكتور حمد ابن إبراهيم الحيدري، وتناول الدكتور محمد بن أحمد الصالح «الوقف الخيري وتميزه عن الوقف الأهلي» وعدّد الدكتور صالح بن عبدالله اللاحم «أسباب انحسار الإيقاف في العصر الحاضر».

وكانت آخر جلسات الندوة برئاسة معالي الدكتور علي بن مرشد المرشد، وجاءت في بحثين، الأول عن «عناية الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية بالوقف» قدمه الدكتور صالح ابن غانم السدلان، وتناول الدكتور مساعد بن إبراهيم الحديثي في الثاني «جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في العناية بالأوقاف».

وأصدرت الندوة في ختام أعمالها توصياتها التي تضمنت الآتي:

- العمل على نشر الوعي الشرعي بأهمية الوقف، وآثاره الجليلة، ومنافعه الخاصة والعامة، وبيان أحكامه، وتوعية المجتمع في ذلك.
- دعوة الهيئات والمؤسسات العلمية والجهات الرسمية والخيرية إلى العناية بالموضوعات المتعلقة بالأوقاف، تأليفًا وتحقيقًا وطباعة ونشراً، لتعريف الناس بهذا الجانب المهم، وأثره في سد حاجات المجتمع وتنمية الحضارة الإسلامية.
- عقد المؤتمرات والندوات، ونشر جميع ما يصدر عنها من توصيات، وتبادلها بين الجهات ذات العلاقة.
- إقامة دورات شرعية وإدارية للقائمين على الأوقاف من نظار وإداريين.
- إصدار مجلة دورية تعنى بالوقف.
- دعوة الجاليات والأقليات الإسلامية إلى العناية بالأوقاف الإسلامية في مجتمعاتهم، وحفظها، وتوثيقها، لحمايتها وتحقيق أهدافها لهم ولأجيالهم من بعدهم، وغير ذلك من التوصيات.

والجدير بالذكر أن هذه الندوة هي الثالثة التي تنظمها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مجال سعيها إلى التوعية بالوقف لإحياء سنته، إذ عُقدت من قبل ندوتان: الأولى بعنوان «المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية»، نظمتها مكتبة الملك عبدالعزيز في المدينة المنورة، في الفترة من ٢٥ إلى ٢٧ من المحرم ١٤٢٠هـ، والثانية عن «مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية»، نُظمت في فندق الشهداء في مكة المكرمة في الفترة من ١٨ إلى ٢٠ شوال ١٤٢٠هـ.

جائزة أمين مدني


أمين مدني

رعى صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة في ٢٠ من المحرم الماضي (الموافق ٣ أبريل/نيسان ٢٠٠٢م) حفل جائزة أمين مدني للبحث في تاريخ المدينة المنورة في فندق المدينة شيراتون بحضور نخبة من رجال الفكر والثقافة والإعلام، وكان موضوع الجائزة في دورتها الرابعة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ضمن مجالين:

- تأثير الدعوة الإصلاحية التي قامت في منتصف القرن الثاني عشر الهجري في النهضة العربية الحديثة.
- المدن الإسلامية في الجزيرة العربية: تاريخ وحضارة.

وقد فاز بهذه الجائزة في دورتها الحالية كل من الاستاذ عاتق بن غيث البلادي الباحث في الجغرافيا والتاريخ والأنساب وجغرافية الجزيرة العربية، وذلك عن موضوع المدن الإسلامية في الجزيرة العربية «تاريخ وحضارة»، ولإنتاجه العلمي المتواصل، وتأليفه سلسلة من المؤلفات عن مكة المكرمة ومعالم الحجاز وتاريخها وجغرافيتها وأوديتها وسكانها ومعالمها وشعرائها.

والفائز الثاني، مناصفة، دارة الملك عبدالعزيز، وذلك عن

موضوع تأثير الدعوة الإصلاحية التي قامت في منتصف القرن الثاني عشر الهجري في وسط الجزيرة العربية في النهضة العربية الحديثة، ولدور الدارة في خدمة تاريخ المملكة العربية السعودية، والمحافظة على آثار مؤسسها وتوثيقها، وتبلغ قيمة الجائزة ١٥٠٠٠ دولار أمريكي.

ولد أمين عبدالله مدني في المدينة المنورة سنة ١٣٢٩هـ، وكان والده، الذي توفي وتركه رضيعًا، من وجهاء المدينة ورجالاتها البارزين، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدارس المدينة، ثم انتقل إلى الحرم النبوي الشريف الذي كانت تدرّس فيه أنواع العلوم والمعرفة، كالفقه، والتفسير، والحديث، واللغة العربية وأصولها، والتاريخ، وعلم الفرائض، ودرس على أيدي شيوخ أفاضل منهم: الشيخ محمد الطيب الأنصاري، والسيد أحمد فيض أبادي، والشيخ إبراهيم بري.

وللراحل عدد من المؤلفات بلغت أكثر من أحد عشر مؤلفًا (بعضها مطبوع وبعضها معد للطبع) في التاريخ، والثقافة الإسلامية، والنحو، وأدب الرحلات.

وقد قررت الهيئة العلمية المشرفة على الجائزة أن يكون موضوع جائزة أمين مدني للبحث في تاريخ الجزيرة العربية في عامها الخامس أحد موضوعين:

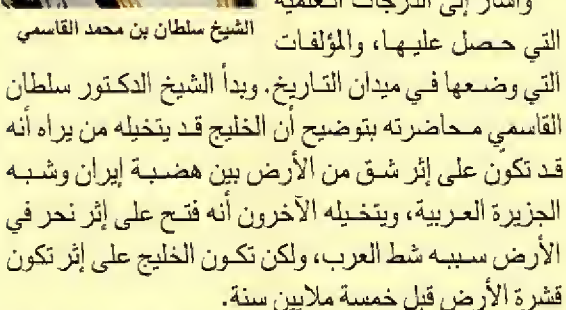
- الصراع الأوربي على الخليج العربي والقوة المحلية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.
- الوضع الاجتماعي في الحرمين الشريفين من واقع ماسجله الرحالون المسلمون خلال العصور الإسلامية.

محاضرتان للفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية ٢٠٠٢م

في إطار احتفالات مؤسسة الملك فيصل الخيرية بتوزيع جائزة الملك فيصل العالمية على الفائزين بها، أقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية محاضرتين ألقاهما اثنان من الحاصلين على الجائزة في هذا العام هما: سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي الذي كانت محاضرته بعنوان «لمحات من تاريخ الخليج العربي»، والدكتور حسام الدين الخطيب، وجاءت محاضرته بعنوان «الأدب الفلسطيني واجهة الأدب العربي في سجال العالمية».

لمحات من تاريخ الخليج العربي

قدم الدكتور عبدالله العثيمين الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي قائلاً: تشرفت بتقديمه منذ يومين - يقصد عند استلامه جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام - رجلاً يكتب التاريخ بأفعاله المجيدة، وفي هذا المساء أسعد بتقديمه باحثًا في التاريخ.



الشيخ سلطان بن محمد القاسمي

وأشار إلى الدرجات العلمية التي حصل عليها، والمؤلفات التي وضعها في ميدان التاريخ. وبدأ الشيخ الدكتور سلطان القاسمي محاضرته بتوضيح أن الخليج قد يتخيله من يراه أنه قد تكون على إثر شق من الأرض بين هضبة إيران وشبه الجزيرة العربية، ويتخيله الآخرون أنه فتح على إثر نحر في الأرض سببه شط العرب، ولكن تكون الخليج على إثر تكون قشرة الأرض قبل خمسة ملايين سنة.

وهذا الجزء تكون من بروزه من تحت قاع البحر، حتى إننا نعثر في الرياض مثلاً على بعض القواقع في بعض الآثار أو في بعض الصخور لأن شبه الجزيرة العربية خرجت من قاع البحر.

أما الساحل الآخر فهو تكوينات صخور بركانية ترجع إلى العصر الحديث، فلا علاقة لهذا الساحل بذاك الساحل.

وأجاب سموه عن سؤال من كان يسكن المنطقة؟ بقوله: إنه قبل ١٥ ألف سنة غطت ثلوج كثيفة قارات آسيا وأوربا وأمريكا، فعُرف ذلك بالزحف الجليدي فأصاب الجزيرة العربية قحط وجفاف شديدان، وبعد ذوبان الجليد بدأت المحيطات بالتبخر، وتكونت عيون كثيرة، فنزلت أمطار كثيفة، وبدأت عملية الزراعة قبل ١٠ - ١٢ ألف سنة، وبدأ هذا التطوّر في ثلاث مناطق هي: أمريكا الشمالية، والهلال الخصيب، والصين.

وكانت هذه المنطقة أسبق في التطور الاجتماعي من المناطق الأخرى، فتكونت الزراعات، وبدأ الاستقرار في القرى، وتدجين الحيوانات مثل الأغنام والماعز والخنزير، وكان حوض البتراء أكثرها ازدحامًا، فرحلت قبائل لا تعرف انتماءاتها، وهي أصول تكوين الأنباط إلى مناطق أوسع.. لم يكن هناك في ذلك الوقت أي تطور في المنطقة الفارسية.

خرجت مجموعة متجهة إلى ساحل البحر الأحمر إلى

منطقة الجفر، فالحجاز فعسير، فجبال اليمن.

وكانت بعض القبائل التي سكنت المنطقة وقاومت الجفاف قد التقت المجموعة التي أتت على طول ساحل البحر الأحمر واختلطت بها.

وهناك مجموعة أخرى أخذت طريقاً آخر، فوصلت إلى الحجاز ثم تابعت السير إلى ساحل الخليج، ثم انتشرت في عمان.

وفي مرحلة لاحقة هاجرت قبائل عربية إلى إيران، ويأتي ذكر ذلك في كتاب سرحان الأسكوي الذي يذكر في «كشف الغمة» أن سليمة بن مالك بن فهم الذي حكم فارس كان عربياً من عمان.

وقال سموه: إنه وجد في مركز وثائق البرتغال مخطوطة كتبها الملك دورون شاه بعنوان «شاهنامة من ملوك هرمز» يذكر فيها أنه محمد درمكة، وأن أصله عربي من سبأ، وكان في عمان، وجمع قومه كلهم، وقال لهم إن أسلافنا كانوا في تلك المنطقة، وكان لهم ملك ولكنهم ضيعوه، فلابد من إعادته - ومن ذلك يستنتج الشيخ القاسمي أن من كان هنا هو سليمة الأسدي.

وذكر أن هناك مؤرخاً إيرانياً اسمه أحمد اقتداري كتب عن ملوك هرمز، وقال: إن جميعهم فرس، اعتماداً على الوثائق البرتغالية، وعندما وجد هذه المخطوطة وخاطب سموه هذا المؤرخ أجاب بأنه كان يكتب التاريخ للسلطة، وأضاف سموه أن البلوش يذكرون أيضاً أنهم عرب، وأنهم أولاد محمد، ويقصدون (محمد درمكة).

وحلق الشيخ القاسمي في موضوع تسمية الخليج العربي بالخليج الفارسي، فأوضح أن هناك أسباباً سياسية من جانب الاستعمار البريطاني تدعوه إلى اتخاذ هذه التسمية، وأورد سموه مجموعة من المخطوطات التي توضح التسميات المختلفة لهذا الخليج، فهو يعرف مثلاً بـ «بحر القطيف، وقلزم العرب، أو بحر فارس، وخليج البصرة»، بل هناك من أسماه بالبحر الأخضر.

ودعا سموه إلى ضرورة البحث في تاريخ الجزيرة العربية، لأنه لا مكان من دون تاريخ، فإنما الأمر يحتاج إلى البحث والتنقيب للوقوف على الحقائق.

ونفى الشيخ القاسمي أن يكون ابن ماجد هو من رافق فاسكو دوجاما إلى الهند، وأنه بالبحث خلص إلى أن مرافقه كان مسيحياً واسمه كاناكة.

وأشار سموه إلى ماتعرضت له المنطقة من محاولات الاختراق والاستعمار، وكان من أخطرها محاولة أفونسو دلبوكيرك الذي قام برحلة استكشافية بدأت منذ عام ١٥٠٦م، وكان من أهدافها السرية نبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، والاستيلاء على مكة المكرمة، وفتح مجرى نهر النيل إلى البحر الأحمر لحرمان مصر من مياه النيل، وقد أرسل الله عليه عاصفة أعاقت خطته فعاد إلى الهند ومات هناك.

وقدم الشيخ القاسمي تفسيراً تاريخياً لقصة ذي القرنين، فعلق عليه بعض الحضور منبهين على ضرورة الاعتماد على التفاسير المعتمدة، فأبدى سموه أن يعلق على المادة التاريخية لينظر المتخصصون في الشريعة فيها وصولاً إلى الحقيقة الناصعة.

وكانت المداخلات التي شارك فيها عدد من المختصين من أسباب إغناء هذه المحاضرة القيمة التي تفتح الباب واسعاً من أجل استيفاء تاريخ الجزيرة العربية من مصادرها الأصلية وهي كثيرة، ولكنها تحتاج إلى البحث الدؤوب والجهد المتصل، وهذا ما اتفق عليه جميع من شاركوا في إغناء جوانب هذا الموضوع الحيوي.

الأدب الفلسطيني واجهة الأدب العربي في سجال العالمية

د. حسام الخطيب

قدم الدكتور عبدالله الغذامي محاضرة الدكتور حسام الدين الخطيب، وأشار إلى أنه شرف كبير أن يكون فوز الخطيب بجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي - عن الأدب الفلسطيني في وقت النضال.

وبدأ د. حسام الخطيب محاضرته بالإشارة إلى فخره بفوزه في هذا الموضوع، مؤكداً أن ارتباط الجائزة باسم الملك فيصل يعطي نوعاً من الأمل أن يقوم أناس ويتابعوا المسيرة التي بدأها، لأن إنقاذ الأمة الإسلامية في إنقاذ فلسطين.

وتناولت المحاضرة العالمية ومقوماتها، وتعريف العالمية الأدبية، وموقع الأدب العربي من سجال العالمية المعاصرة، والأدب الفلسطيني بوجه خاص وعلاقته بالعالمية.

وأوضح الخطيب أن العالمية بوجه عام شيء قديم، لأن الإنسان خلق عالمياً ثم توزعته نوازع الجنس

والقومية والإقليمية وما أشبه ذلك.
أما العالمية الأدبية فقد تبلورت في القرن الثامن عشر في الغرب، ومن أبرز علاماتها هذه الجائزة، وغيرها من الجوائز التي هي سلالم يرتقى بها إلى العالمية وليست هي العالمية ذاتها.
وعرف الخطيب العالمية الأدبية من وجهة نظره بقوله: إنها ارتقاء أدب ما كليًا أو جزئيًا إلى مستوى الاعتراف العالمي العام بعظمته وفائدته خارج حدود لغته أو منطقته، والإقبال على ترجمته وتعرفه ودراسته، بحيث يصبح عاملاً فاعلاً في تشكيل المناخ العالمي في مرحلة من المراحل أو على مدى العصور.
أما مقومات العالمية في رأي الخطيب - فهي نوعان هما: المقومات الذاتية للأعمال الأدبية، والمقومات الخارجية المساعدة.
وتتحدد المقومات الذاتية في الموقف الإنساني والفكري، وهو الأساس، ثم اللون المحض ونكهته الخاصة إذ إن الأدب الذي لا يعبر عن لونه المحلي يظل سابحاً في الهواء، والدليل ما وجده الأدب الروسي من موقع عالمي على يد أدبائه أمثال: ديستوفسكي وتوليستوي.
ومن هذه المقومات عامل التفرد والابتكار والغرابة، والتوازن بين الخاص والعام والثابت والمتحول، والإبداع الفني، ثم المقومات الأدبية كإتقان اللغة والقدرة على إبراز جمالها.
ويؤكد الخطيب أن اللغة لها تأثير كبير في دفع الأدب نحو العالمية، إذ إن من يكتب باللغات الحية فرصته أكبر في بلوغ العالمية من الذين يكتبون بلغات محدودة الانتشار، ومن المقومات الخارجية المساعدة التي ذكرها الخطيب القياس الإطاري العام ويقصد به مدى قوة الأمة وقوة ثقافتها المعاصرة.
وذكر الخطيب بعض المعوقات التي تواجه الأدب العربي، ومنها المركزية الأدبية الغربية، وإن كان قد نوه بجهود اليونسكو في تصحيح قائمة الروائع العالمية، وجعلها رسالة الغفران، عملاً فنيًا يوازي الكوميديا الإلهية وكلفت الفرنسي فانسان مونتييه بترجمته. وقد استغرق عمله فيها ثماني سنوات.
ومن المعوقات التحزبات الرائجة والمواقف السابقة ضد الثقافة العربية، والاهتمام بالعنصر الغرائبي في الأدب العربي استمراراً لتيار ألف ليلة وليلة، وما يحمله الأدب العربي من مرارة من الغرب والاستعمار، وقلة عدد الذين يكتبون مباشرة بالإنجليزية، وقلة عدد الترجمات العربية إلى الإنجليزية.
واستدرك المحاضر أن الوضع تحسن في العقدين الأخيرين، وأن هناك اهتمامًا بالأدب العربي أفضل من السابق، وأشار إلى مشروع المجلس الأعلى للثقافة في مصر لترجمة أعمال نجيب محفوظ وغيره من الأدباء إلى اللغات الأجنبية. كما أشاد بتجربة سلمى الخضراء الجيوسي في الترجمة.
وقال الخطيب: إن هناك اهتمامًا واضحًا بأدب المرأة العربية، كما دعا إلى الاهتمام بالأدب المقارن، متناولاً تجربته في الإسهام في الكتاب السنوي للأدب المقارن في جامعة أنديانا. وركز في أن هناك تقصيراً في هذا الميدان، لأن الأدباء الغربيين يرحبون بالإسهامات، حتى إن الكتاب السنوي خصص للعلاقات الأدبية العربية الغربية في عام ٢٠٠٠م.
ومن المقومات العالمية للأدب الفلسطيني - في رأي المحاضر - أنه يعبر عن تجربة عظيمة، والصيغة العالمية المستمرة في التفكير الفلسطيني، والإرث التاريخي والديني والجغرافي، وعامل سلبي/إيجابي هو أن الغزو الصهيوني ما كان ليتم لولا الدعم العالمي.
ثم أشار إلى المقومات المتصفة بالأدب والثقافة وهي معرفة اللغات الأجنبية، والانتشار الفلسطيني في الشتات وقوة حركة الترجمة، والنهضة المبكرة للترجمات الفلسطينية.
وأكد أن الموقف الإنساني للثقافة الفلسطينية من أهم مقومات العالمية في الأدب الفلسطيني خلافا للنظرة العنصرية الصهيونية.
وأوضح الخطيب توافر عامل التفرد مشيراً إلى أن التجربة الفلسطينية كلها غرائب متوالدة، أما المشكلة التي تواجه الأدب الفلسطيني فهي عملية تحقيق التوازن بين الثابت والمتحول والخاص والعام ولم ينجح في تجاوز هذه المشكلة إلا القلائل أمثال أفنان القاسم في رواية «النقيض»، وجبرا إبراهيم جبرا، وسحر خليفة، وإبراهيم نصرالله.
وصنف المحاضر الأعمال الفلسطينية من حيث الإبداع الفني والتوهج إلى قسمين، قسم متسلق على المأساة، وآخر يخلدها ويدخل فيهما عمقًا، ونوه بشكل خاص بتجربة محمود درويش الذي قال عنه دينيس جونسون ديفيز الذي يعد من المميزين في الترجمة: «إذا استطاع شعر أن يخترق سطور

الترجمة الإنجليزية، فإنما هو شعر محمود درويش».

وانتهى المحاضر إلى أن المقومات الإطارية الأدبية هي أكبر نقطة ضعف أمام مسيرة الأدب الفلسطيني في اتجاه العالمية، وقصد بها القوة السياسية والحضارية للأمة، ومدى السيطرة على وسائل الاتصال والبث الثقافي.

وأعقبت المحاضرة مداخلات وتساؤلات أظهرت مدى تفاعل الحضور مع موضوع المحاضرة.

دورات تدريبية في معهد الفيصل

يقيم «معهد الفيصل لتنمية الموارد البشرية» التابع لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، دورة تدريبية بعنوان «مقدمة للاستخدام الفعلي للمكتبات الإليكترونية» في الفترة من ٣٠ من المحرم إلى ٤ صفر ١٤٢٣هـ (الموافق ١٣ ـ ١٧ أبريل/نيسان ٢٠٠٢م).

وتهتم الدورة بتقديم التقنية بشكل مبسط، والتعريف بشكل عام بالتقنيات الحالية في مجال المكتبات، كما أنها ستتيح المجال للتدريب على تلك التقنيات في معمل الحاسوب بمقر المعهد، وسيقوم المحاضر بتقديم المفاهيم الأساسية، ومن ثم يبدأ الجميع في التطبيق العملي حتى ترسيخ تلك المفاهيم في أذهانهم، إضافة إلى إجراء عدد من الأمثلة الحية على أنماط مختلفة من الاستفسارات المرجعية والببليوجرافية.

وتتضمن هذه الدورة تدريس المواد الآتية:

- كيفية استخدام الإنترنت بشكل عام.
- كيفية البحث عن المعلومات في الإنترنت.
- كيفية البحث عن المكتبات على الإنترنت.
- كيفية البحث عن المعلومات في فهارس المكتبات على الإنترنت، وغير ذلك من المستجدات إلى جانب الإجابة عما يطرحه المشاركون من أسئلة واستفسارات.

ومدة الدورة خمسة أيام برسم قدره ١.٢٠٠ ريال سعودي، ولغة الدراسة خليط من العربية والإنجليزية، ويتولى التدريس نخبة من المحاضرين المتخصصين. والدورة مفتوحة لجميع العاملين والمهتمين بهذا الموضوع.

ويقيم المعهد كذلك دورة أخرى بعنوان «تحقيق المخطوطات باستخدام المصادر الإليكترونية» في الفترة من ١٤ صفر إلى ١٠ ربيع الأول ١٤٢٣هـ (الموافق ٢٧ أبريل/نيسان ـ ٢٢ مايو/أيار ٢٠٠٢م)، وترمي هذه الدورة إلى تعريف المهتمين بالمخطوط العربي بكيفية الإفادة من المصادر الإلكترونية التراثية في مجال تحقيق المخطوطات، وذلك من خلال التعريف بالقواعد والأسس التي ينبغي مراعاتها في تحقيق المخطوطات، والأدوات المساعدة في ذلك، والتعريف بمصادر التراث المنشورة إلكترونياً والتدريب على كيفية الإفادة منها، ثم التعريف بالمصادر في تحقيق المخطوطات، والرفع من أداء هذه العملية.

وتتركز مواد الدورة في محورين عامين: يختص المحور الأول بالقواعد والأسس المرعية في تحقيق المخطوطات، علاوة على الأدوات المساعدة في التحقيق، والمحور الثاني خاص بمصادر التراث المنشورة إليكترونيا والتعريف بها، وكيفية استخدامها، والتدريب على ذلك.

وتشمل الدورة المواد والموضوعات الآتية:

«الخط العربي: أنواعه وفنونه مع نماذج تعريفية»، و«المخطوط العربي: النشأة والتكوين»، و«أسس تقويم المخطوطات»، و«مراكز المخطوطات في العالم»، و«مناهج تحقيق المخطوطات»، و«تطبيق عملي على التحقيق»، و«عرض لتجارب ذاتية لبعض المحققين»، مع «تدريبات عملية على استخدام المصادر التراثية المنشورة إلكترونياً».

وتستغرق مدة الدورة أربعة أسابيع، مشتملة على الجانبين النظري والعملي، وهي مفتوحة لجميع العاملين والمهتمين بهذا الموضوع، ويتولى نخبة من أساتذة الجامعات وأشهر المتخصصين أمر تنفيذ هذه الدورة بإلقاء المحاضرات والتدريب اللازم.

رحيل الأديب محمد العقيلي


محمد العقيلي

توفي في مدينة جدة في الثاني والعشرين من المحرم الماضي الأديب والمؤرخ السعودي الشيخ محمد بن أحمد العقيلي عن عمر يناهز ٨٦ عاماً بعد معاناة مع المرض بدأت قبل شهر، وقد نقل جثمانه إلى منطقة جازان مسقط رأسه حيث دفن هناك. ويعد العقيلي أحد رواد النهضة الأدبية في المملكة العربية السعودية، وكانت حياته حافلة بالتصنيف والبحث والكتابة في الأدب واللغة والتاريخ.

ولد الأديب الراحل في مدينة صبيا بمنطقة جازان سنة

١٣٣٦هـ، وتلقى تعليمه على يد مشايخ بلدته ومنطقة جازان، وعمل موظفاً بفرع وزارة المالية في جازان سنة ١٣٥٦هـ، وتدرج في الوظيفة حتى وصل إلى وظيفة مدير قسم الإيرادات سنة ١٣٦٩هـ، ثم التحق بالعمل في دار الأيتام التابعة لمكتب العمل في منطقة جازان سنة ١٣٧٧هـ، وعيِّن عضواً بالمجلس البلدي والمجلس الإداري، وتقلد منصب رئيس النادي الأدبي في جازان منذ تأسيسه سنة ١٣٩٥هـ حتى سنة ١٤٠٠هـ.

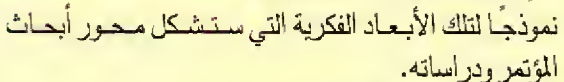
ويعد العقيلي من الشعراء الرواد، وله عدد من المؤلفات تجاوزت الثلاثين كتاباً، منها: «الأنغام المضيئة» شعر ١٣٩٢هـ، و«أفاويق الغمام» شعر ١٤٠٢هـ، و«الشاعر الجيزاني ابن هتيمل» دراسة وتحليل وتحقيق ١٣٨٠هـ، و«الشاعر الجيزاني ابن شاجر» دراسة وتحليل وتحقيق ١٣٨٥هـ، و«نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود العبدالرحمن بن أحمد البهكلي وتكملة الحسن بن أحمد بن عاكش» تحقيق ودراسة ١٤٠٢هـ، و«المخلاف السليماني في التاريخ السياسي والاجتماعي» ثلاثة أجزاء ١٣٧٨هـ، و«التصوف في تهامة» دراسات ١٣٨٩هـ، و«المعجم الجغرافي عن منطقة جازان» ١٣٨٩هـ، و«الأدب الشعبي في الجنوب» دراسات ونصوص ١٣٨٩هـ، و«الآثار التاريخية في منطقة جازان» ١٣٩٩هـ، و«أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان» ١٤٠٠هـ، و«معجم اللهجات المحلية» دراسة لغوية مقارنة ١٤٠٣هـ، و«سوق عكاظ في التاريخ» ١٤٠٤هـ، و«الشيخ محمد عبدالوهاب: حياته العملية والعلمية» ١٤٠٤هـ.

ونال الأديب الراحل عدداً من الأوسمة والجوائز على رأسها وسام الملك عبدالعزيز، وميدالية «الريادة الذهبية» من مؤتمر الأدباء السعوديين الأول عام ١٣٩٤هـ، واختير شخصية سنة ١٤١٦هـ في المهرجان الوطني للتراث والثقافة «الجنادرية»، وله مكتبة ضخمة أهداها لجامعة الملك سعود سنة ١٤٠٨هـ.

مؤتمر أمين الريحاني الدولي

تنظم الجامعة الأمريكية في واشنطن ومعهد أمين الريحاني في الولايات المتحدة الأمريكية في يومي الثامن عشر والتاسع عشر من شهر أبريل/نيسان الحالي مؤتمر أمين الريحاني الدولي في قاعة مؤتمرات كلية الحقوق التابعة للجامعة الأمريكية في واشنطن. وسيشارك أكثر من ثلاثين باحثاً من مختلف دول العالم في أعمال المؤتمر وأبحاثه وفعالياته المختلفة.

ويرمي هذا المؤتمر إلى إظهار الوجه الحضاري العربي، وتعزيز معالم الأدب الأمريكي/العربي بمختلف أبعاده الإنسانية والاجتماعية والروحية والثقافية.



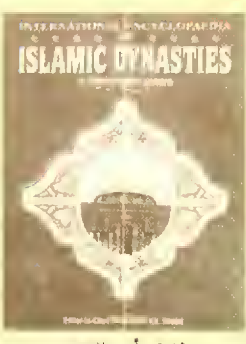
أمين الريحاني

وستكون مؤلفات الريحاني، والإنجليزية منها بشكل خاص، نموذجاً لتلك الأبعاد الفكرية التي ستشكل محور أبحاث المؤتمر ودراساته.

ولد أمين فارس أنطون البجاني المعروف بالريحاني عام ١٨٧٦م في قرية الفريكة في لبنان، وتوفي في القرية نفسها عام ١٩٤٠م، وهو كاتب وباحث ومترجم وروائي، وقد اختير عام ١٩٢١م عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق. وللريحاني عدة مؤلفات باللغتين العربية والإنجليزية غير المقالات والرحلات، وهو أول من كتب الشعر المنثور والشعر المرسل بين شعراء العرب، متأثراً في ذلك بالشاعر الأمريكي «وولت ويتمان». ومن أبرز مؤلفاته العربية: «الريحانيات»، و«ملوك العرب»، و«تاريخ نجد الحديث».

إصدارات جديدة في الهند

صدرت عن دار نشر وتوزيع المخطوطات M.s.Publishers' Distributors في الهند مؤخراً ثلاثة إصدارات جديدة، كان أولها بعنوان «الأسر الإسلامية الحاكمة»، وهو عمل موسوعي من ثلاثين مجلداً، شامل ومهم للسلالات الإسلامية الحاكمة في جميع أنحاء العالم، بدءاً من ظهور الإسلام وإلى العصور الحديثة، صنفت مواده حسب الحروف الأبجدية للبلدان، وهذا العمل من تأليف المستشرق ن. ك. سينخ.



غلاف أحد الكتب

والسلالات الإسلامية التي ازدهرت وحكمت آسيا وإفريقية وبعض أجزاء من أوربا هي من الدولة الأموية (٦٦٠ - ١٠٣١م) حتى الدولة المظفرية (١٣١٣ - ١٣٩١م).

وجاء الثاني بعنوان «قواعد اللغة العربية»، وهو يقع في مجلدين، ويهتم بقواعد (نحو) اللغة العربية، وضعه: دبليو رايت، ويرتكز الكتاب بشكل رئيس على أعمال النحويين البارزين سواء أكانوا عرباً أم أوربيين، وقد لجأ المؤلف إلى إيراد كثير من الأمثلة، وشرح كل قاعدة نحوية بشكل مفصّل.

وكان الإصدار الأخير بعنوان «دراسات موسوعية للثقافة الإسلامية»، وهو أيضاً عمل موسوعي يقع في عشرين مجلداً، يعرض الإسلام في معناه الحقيقي من دون الفصل بين المادة والروح، فيعرض الإسلام على حقيقته بوصفه يوحد القطبين.

والكتاب من تأليف: الدكتور محمد طاهر في مركز بحوث الدراسات الأمريكية في حيدرأباد في الهند، وهو يمتهن علم المكتبات، وقام بتدريس هذا العلم في معاهد مختلفة.

وفاة الكاتب المصري ثروت أباظة

ثروت أباظة

توفي في السابع عشر من مارس/ آذار الماضي الأديب والكاتب المصري ثروت أباظة عن عمر يناهز ٧٥ عاماً بعد صراع طويل مع المرض استمر أكثر من خمس سنوات.

ولد أباظة عام ١٩٢٧م، وحصل على شهادة الليسانس في الحقوق عام ١٩٥٠م من جامعة فؤاد الأول «جامعة القاهرة»، وانتخب رئيساً لاتحاد الكُتّاب عدة دورات، واختير عضواً بالمجلس الأعلى للصحافة منذ تكوينه حتى وفاته، وكذلك عضواً بمجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتلفزيون.

اشتهر أباظة بعدائه الشديد لليساريين الذين كان يسميهم «الحُمر»، وقد بلغ هذا العداء حد الاستقالة من اتحاد كتاب مصر قبل أربع سنوات، وطلب شطب اسمه من قوائمه، بعد نجاح قائمة الأديب الراحل سعدالدين وهبة، التي ضمت غالبية من اليساريين والقوميين، على الرغم من أن أباظة من أوائل المؤسسين للاتحاد مع الكاتب توفيق الحكيم، وقال أباظة يوماً: «لن أدخل إليه (الاتحاد) طالما العناصر الحمراء موجودة فيه».

والمعروف عن الكاتب الراحل أنه غزير الإنتاج، وله عدد من المؤلفات والقصص الأدبية، وقد قام التلفاز والسينما بتحويل كثير من هذه الأعمال إلى مسلسلات وأفلام، ومن هذه الأعمال: مسلسل «هارب من الأيام»، وهو من أوائل الأعمال الفنية في التلفزيون المصري في مطلع الستينيات، و«ثم تشرق الشمس»، والفيلم الشهير «شيء من الخوف»، إضافة إلى مئات المقالات في صحيفة الأهرام وغيرها من الصحف، وقد نال الأديب الراحل عدداً من الأوسمة والجوائز، منها: وسام الدولة للعلوم والفنون من الطبقة الأولى، وجائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٨٢م.

وكان أباظة وكيل مجلس الشورى وأقدم أعضائه، إذ دخل إليه بقرار رئاسي منذ تأسيسه في أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٨٠م، وتولى منصب وكيل المجلس منذ عام ١٩٨٦م حتى وفاته.

تدهور صحة الشاعرة نازك الملائكة


نازك الملائكة

تدهورت صحة الشاعرة العراقية الشهيرة نازك الملائكة تدهوراً خطيراً، إذ دخلت في غيبوبة جديدة بعد غيبوبتين لازمتاها في الأشهر الماضية.

ويتابع الوسط الثقافي العربي بقلق بالغ الحالة الصحية المتدهورة لهذه الشاعرة التي أحدثت ثورة لاتزال قائمة في الشعر العربي الحديث، إذ تعد الملائكة من رواد الشعر العربي الحر في العراق، وتبعها بعد ذلك الشاعر بدر شاكر السياب، ثم عبدالوهاب البياتي وبلند الحيدري وآخرون.

ولدت الملائكة في بغداد عام ١٩٢٦م، وهي السنة نفسها التي ولد فيها الشعراء بدر شاكر السياب، وبلندالحيدري، وعبدالوهاب البياتي، وهم من رواد الشعر الحر أيضاً. ويعتقد أن الشاعر العراقي الراحل مصطفى جمال الدين، هو الآخر ولد في أواخر عام ١٩٢٦م، لكن ميلاده سُجِّل عام ١٩٢٧م. ونُقل عن السياب قوله: «إن العبقرية ولدت في العراق عام ١٩٢٦م».

ونشأت نازك في عائلة أدبية معروفة، فقد كان أبوها، صادق الملائكة شاعراً كبيراً، كما كانت أمها أيضاً شاعرة

معروفة أصدرت ديوان شعر في الثلاثينيات، اسمه «أنشودة المجد» ووقعته بكنيتها «أم نزار الملائكة» وليس باسمها، سلمى عبدالرزاق الملائكة.

كما كان خالاها، جميل وعبدالصاحب الملائكة من الشعراء المعروفين أيضاً، وعرف عن شقيقها الوحيد، نزار الملائكة المقيم في لندن، بأنه شاعر أيضاً.

صدر لنازك الملائكة عدد كبير من الدواوين الشعرية، منها «عاشقة الليل» عام ١٩٤٧م، و«شظايا ورماد» عام ١٩٤٩م، و«قراءة الموجة» عام ١٩٥٧م، و«شجرة القمر» عام ١٩٦٨م، و«مأساة الحياة وأغنية للإنسان» عام ١٩٧٠م.

وعرف عن الملائكة اهتمامها بالموسيقى والأدب العالميين، وإتقانها اللغات الإنجليزية والفرنسية واللاتينية، وكانت الملائكة، بالإضافة إلى تأثيرها الشعري، ناقدة ومنظرة، وقامت بتدريس النقد، ودخلت معترك الحياة الاجتماعية من خلال ما كانت تكتبه من آراء، وتصرح به في كتبها المتعددة عن مظاهر الحياة الاجتماعية.

وتقيم الملائكة منذ عدة سنوات في القاهرة مع ابنها الوحيد، البُراق. وكان زوجها عبدالهادي محبوبة، قد توفي في سبتمبر/أيلول من العام الماضي، ولم يجرؤ أحد على إبلاغها بوفاته بسبب صحتها المتدهورة، بل قيل: لها إنه مسافر إلى العراق.

وفاة فيلسوف التأويلية


هانز غيورغ غادامر

توفي في مدينة هايدلبرغ الألمانية في الرابع عشر من مارس/آذار الماضي الفيلسوف الألماني هانز غيورغ غادامر عن عمر يناهز ١٠٢ عام. ويعد غادامر أحد أشهر فلاسفة القرن العشرين، ارتبط اسمه بمبحث في الفلسفة هو «التأويل» أو «التأويلية» الذي عبر من خلاله عن نقد مفهوم الحداثة وما يتعلق بمشكلة الفهم والتلقي. سطع نجمه بعد نشره كتاب «المنهج والحقيقة» وبعد السجال الذي دار بينه وبين الفيلسوف الألماني هابرماس حول الأهمية المعرفية للعلوم الإنسانية وحول منهجيتها.

ولد الفيلسوف الراحل في ١١ فبراير/شباط ١٩٠٠م من أب متخصص (بروفيسور) في الكيمياء، ودرس في جامعة ماربوغ، وفريبورغ، وميونيخ، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة تحت إشراف الفيلسوف الألماني مارتن هايدجر، وعمل أستاذاً لعلم الجمال في جامعة ماربورغ عام ١٩٣٣م، وأصبح أستاذاً فوق العادة عام ١٩٣٧م، ثم شغل كرسي الفلسفة في جامعة هايدلبرج.

له الكثير من الدراسات الفلسفية منها: أفلاطون والكتابة (١٩٣٤م)، والشعب والتاريخ في فكر هرد (١٩٤٧م)، الدياليكتيك الهيجلي (١٩٧٦م)، والفلسفة التأويلية (١٩٦٧م)، والحوار والدياليكتيك (١٩٨٠م)، والعقل في عصر العلم (١٩٨٢م)، وفكرة الخير في الفلسفة الأفلاطونية ـ الأرسطية وعلائقية الجمال، وآخر إصداراته كتاب بعنوان «معجم القرن» الذي أصدره تلميذه ريكارد دورثوري، والذي يعرض فيه آراءه حول التطورات العالمية.

دور التوثيق والمعلومات في بناء مجتمع المعلومات العربي

يقيم النادي العربي للمعلومات بالتعاون مع جامعة منتوري في الجزائر، ومركز المعلومات القومي في سورية الندوة الخامسة للمعلومات تحت شعار «دور التوثيق والمعلومات في بناء مجتمع المعلومات العربي»، وذلك في قاعة المحاضرات في مركز المعلومات القومي بدمشق في الفترة من ٢ إلى ٢٠٠٢/٧/٤م.

وتجيء الندوة تحت ثلاثة محاور:

المحور الأول: التوثيق والمعلومات ودورهما في التثقيف والتربية والتعليم العالي والذي يشتمل على:

- التوثيق والمعلومات ودورهما في التربية والتعليم ما قبل الجامعي.
- التوثيق والمعلومات في المكتبات العامة ودورهما في تكوين الشخصية.
- الإنترنت في المكتبات المدرسية والعامة والجامعية ومراكز التوثيق.
- المكتبات العربية وتكنولوجيا الإعلام والاتصال.
- التكوين والتكوين المستمر على استخدام تقنيات الإعلام والاتصال.
- المتخصصون في المكتبات والمعلومات ودورهم في

إرساء مجتمع المعلومات.

المحور الثاني: الإنتاج الفكري العربي في المجال الإلكتروني ويتضمن:

- اللغة العربية والفضاء الإلكتروني.
- النشر الإلكتروني في الوطن العربي والمكتبات الإلكترونية.
- التشريعات العربية في مجال التوثيق والمعلومات وحقوق التأليف الرقمية.
- التراث الفكري العربي في عصر العولمة وسبل حمايته.
- تأثير النشر الإلكتروني في خدمات المكتبات ومراكز التوثيق العربية.
- المكتبات ومراكز التوثيق العربية واقتصاد السوق وتسويق الإنتاج الفكري العربي.

المحور الثالث: الإستراتيجية العربية الموحدة للتوثيق والمعلومات في الوطن العربي ويشتمل على:

- المكتبات ومراكز التوثيق العربية على طريق مجتمع المعلومات.
- أسس مجتمع المعلومات العربي وآفاقه في عصر العولمة.
- النظم الوطنية للمعلومات في الدول العربية والشبكات العربية الوطنية.
- التعاون العربي في مجال التوثيق والمعلومات والشبكة العربية الموحدة.
- الضبط الببليوغرافي القومي والمواقع العربية على الإنترنت.
- السياسة العربية الموحدة للتوثيق والمعلومات وثقافة المواجهة.

وحددت اللجنة العلمية للندوة يوم ٢٥ أبريل/ نيسان الحالي آخر موعد لاستلام طلب المساهمة بإلقاء محاضرة، على أن يرفق الطلب بملخص عن المحاضرة، وحدد أول يونيو/ حزيران القادم آخر موعد لاستلام النص الكامل للمحاضرة. ويتكفل منظمو الندوة بنفقات إقامة المحاضر في سورية في الفترة الممتدة من ٣٠يونيو/ حزيران إلى ٥ يوليو/ تموز.

وتوجه جميع المراسلات إلى إدارة الندوة على العنوان الآتي:

د. عبدالمجيد الرفاعي ـ رئيس مركز المعلومات القومي

ـ رئيس النادي العربي للمعلومات

دمشق ص.ب: ٣٣٠٩١ هاتف: ٢١٢٧٥٥١ ناسوخ: ٢١٢٧٥٤٨

ملتقى عالمي للكاريكاتير

شهدت مدينة دبي في الفترة من ١٩ إلى ٢٥ مارس/آذار الماضي الملتقى العالمي الثاني للكاريكاتير الذي افتتحه الشيخ حشر مكتوم آل مكتوم مدير دائرة إعلام دبي بمركز المعارض في مطار دبي الدولي.

وشارك في الملتقى ١٢٠ فناناً من أشهر رسامي الكاريكاتير العرب والأجانب من ٣٨ دولة على مستوى القارات، وعرضت فيه أكثر من ٦٠٠ لوحة ورسم كاريكاتيري.

وضمت فعاليات الملتقى أيضاً ندوات وفرق عمل فنية، وجولات سياحية، وزيارات ميدانية لأهم الهيئات والمؤسسات، وأبرز المعالم الحضارية والعمرانية في دولة الإمارات العربية المتحدة، إضافة إلى منح جوائز تحكيمية لأفضل ثلاث لوحات، وجائزة لأفضل لوحة يختارها الجمهور.

اليوم العالمي للشعر

احتفل العالم في ٢١ من مارس/ آذار الماضي باليوم العالمي للشعر، بعد قرار منظمة اليونسكو ـ بناءً على مبادرة من بيت الشعر في المغرب ـ إعلان يوم ٢١ مارس/ آذار من كل عام يوماً عالمياً للشعر، ففي هذا اليوم تحتفي المؤسسات الثقافية في العالم حيث تزيد نشاطاتها الثقافية، سعياً إلى تقريب الشعر، وتوضيح دوره، بوصفه «عنصراً يسهم في تطويع حساسية الشخص وبنيته».

وكان المجمع العام لليونسكو قد قرر، لدى انعقاد الدورة الثلاثين بباريس في أكتوبر/ نوفمبر ١٩٩٩م، إعلان ٢١ مارس/ آذار يوماً عالمياً للشعر.

ويؤدي تحليل وضعية الشعر في نهاية هذا القرن إلى استخلاص الاعتبارات الآتية:

- توجد في العالم المعاصر رغبات غير ملباة تتعلق بالموضوع الجمالي، ويمكن للشعر أن يساعد على الوصول إلى تلبية ذلك، مادام له دور اجتماعي معترف به في التواصل بين الذوات، ومادام وسيلة لليقظة والتعبير والوعي.
- الشاعر، بوصفه شخصاً، يؤدي دوراً جديداً، فالأمسيات الشعرية توفر له تقديراً يتسع باطّراد وكذلك إلقاء القصائد على لسان الشعراء أنفسهم.
- حركة المجتمع هذه، المتمثلة في الاعتراف بالقيم الراسخة في القدم، هي أيضاً عودة إلى التقليد الشفوي والقبول بالكلمة

كعنصر يسهم في تطويع حساسية الشخص وبنيته.

- ثمة اتجاه ما يزال في وسائل الاعلام والجمهور الواسع يرفض التعامل بجدية مع الشاعر، ومن المفيد العمل للتخلص من هذه الصورة حتى تتغير، ويصبح بإمكان الشاعر أن يقيم ويتكلم في المدينة.

ودعت المنظمة كل دولة من دول العالم إلى إحياء هذا اليوم بطريقتها الخاصة، وذلك بالمشاركة الفاعلة للبعثات الوطنية، للجمعيات غير الحكومية والمؤسسات العمومية والخاصة المعنية بالأمر «كالمدارس، والجماعات المحلية، والجماعات الشعرية، والمتاحف، ودور النشر، والإعلام، والسلطات المحلية...»، وستعمل اليونسكو من جهتها على تشجيع المبادرات المتخذة على المستوى الوطني ودعمها، والهادفة بالخصوص إلى:

- المساعدة على إدخال الشعر ليكون عنصراً مهماً للتربية الفنية في البرنامج الدراسي.
- إشعار المؤسسات المدرسية حتى يتم الاحتفال بهذا اليوم بطريقة تتداخل فيها المواد المعتمدة في المدارس.
- تيسير منح جائزة الشعر.
- تعبئة المسؤولين في الجماعات المحلية حتى يسهموا بفاعلية في إقامة اليوم العالمي للشعر.
- تشجيع إنشاء شبكة توزيع الجوائز في كل دولة عضو (وعضو مشارك).
- بلورة لائحة إليكترونية للمؤسسات أو الجمعيات الشعرية في مختلف الدول الأعضاء والأعضاء المشاركين.

مئة شهيد ..مئة حياة

(مئة شهيد..مئة حياة) هو عنوان المعرض الذي استضافته مدينة دبي مؤخراً، ويضم المعرض مقتنيات لأول مئة قتيل فلسطيني سقطوا في المواجهات مع الجيش الإسرائيلي منذ اندلاع الانتفاضة في نهاية سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٠م، ومن بين مقتنيات المعرض: حذاء الطفل محمد الدرة الذي عرضت محطات التلفاز العالمية مشاهد قتله برصاص جندي إسرائيلي، والمقلاع الذي استخدمه علاء بني نمرة (١٥ عاماً) لرشق قوات الاحتلال بالحجارة، بالإضافة إلى عرض سيرة ذاتية للشهداء، وبعض المقتنيات الأخرى.

وقالت مديرة مركز خليل السكاكيني الثقافي في مدينة رام الله بالضفة الغربية عادلة العايدي: إن فكرة المعرض جاءت



الشهيد محمد الدرة

«بعد توالي سقوط الشهداء الذين ليسوا مجرد أرقام كما يجري تقديمهم في وسائل الإعلام، بل بشر كانت لكل منهم حياته الخاصة وطموحاته وأحزانه وأفراحه وخصوصياته وحتى بؤسه وفقره».

وقالت العايدي في الكلمة التي افتتحت بها المؤتمر: إنه يشكل «محاولة لتكريم الشهداء لإضاءة شمعة الحياة وسط الموت الذي يحيط بنا، وكسر الخدر المتسلل إلى دواخلنا عبر إحصائيات الموت اليومية».

وكان هذا المعرض قد أقيم من قبل في كل من البحرين وأبوظبي، وسوف ينتقل إلى عدد من الدول العربية والأجنبية فيما بعد.

دعم التراث الفلسطيني

اختتم مؤتمر الآثار والتراث الحضاري دورته السادسة عشرة في الكويت بتخصيص مبالغ مالية لتطوير متحف الآثار الفلسطينية بالقدس، وترميم قصر الخليفة الأموي هشام ابن عبدالملك في أريحا. وتضمنت توصيات المؤتمر الذي شارك فيه ممثلو ١٥ دولة عربية تكليف دائرة الآثار الفلسطينية بتزويد المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة بتقرير مفصل ومدعم بالوثائق والصور عن الانتهاكات الإسرائيلية للمواقع الأثرية والمباني التاريخية، وأشار البيان الختامي إلى أن توصياته جاءت نتيجة محاولة إسرائيل تسجيل مواقع عربية وإسلامية في فلسطين ضمن قائمة التراث العالمي كمواقع إسرائيلية.

حوار الحضارات في البحرين

اختتم مفكرون وأكاديميون من اليابان والعالم الإسلامي والعربي حواراً هو الأول من نوعه بين الحضارتين، أقيم مؤخراً في البحرين، ووصفوه بأنه كان ناجحاً. وقال ممثلون

عن المتحاورين في مؤتمر صحفي بعد انتهاء جلساتهم: إنهم اتفقوا على الإبقاء على الاتصالات بين الطرفين، وإنهم سيعقدون حوارهم القادم في اليابان العام المقبل.

وقال يوزو ايتاجاكي، وهو أستاذ بجامعة طوكيو: «أشعر بأن حلمي قد تحقق بعد نصف قرن من الزمان»، مشيراً إلى أنه كان يطمح دائماً إلى حوار بين اليابان والعالم العربي والإسلامي. وأضاف: «عقدنا مناقشات معمقة بأن قسمنا أنفسنا تسع مجموعات. أعتقد أن هذه بداية جيدة جداً لحوار بين اليابان والشرق الأوسط والدول المسلمة».

وقال المشاركون: إن الحوار عالج موضوعات ثلاثة هي «التعايش والتفاعل بين الإسلام واليابان»، و«الإسلام والعلاقات الدولية»، إلى جانب «الإسلام والعولمة». وحضر الجلسات نخبة من المفكرين والأساتذة الجامعيين من اليابان و١٢ دولة هي دول مجلس التعاون الخليجي ومصر والأردن وإيران والمغرب وتونس واليمن.

إصدارات ثقافية عربية

شهدت الساحة الثقافية العربية مؤخراً صدور عدد من الإصدارات الثقافية الجديدة. ففي بغداد صدر العدد السابع والثلاثون من مجلة «الموقف الثقافي» التي تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، وضم العدد كثيراً من الأبواب في مختلف فروع المعرفة، ففي باب قضايا وأفكار كتب الدكتور بكري خليل عن «مشروع النهضة ومنهج نقده للآخر»، وأجاب الدكتور جواد مطر الحمد عن سؤال «كيف تصبح مؤرخاً علمياً؟»، وشرح الدكتور ناجي التكريتي «مفهوم اللذة في فلسفة أبيقور»، وختم الباب الدكتور عبدالوهاب التحافي بمقالة عن «الحقوق الثقافية والدستور العراقي».

وجاء في باب القصة «حديث العائلة» لصبري الحيدري، وفي القصة المترجمة نقرأ لفرانكو بيوندي قصة بعنوان «وهاهم يبعدونني»، ترجمها: طارق حيدر العاني، بالإضافة إلى الأبواب الأخرى: الدراسات، ورسائل جامعية، وتشكيل، ومسرح، وموسيقى، كما أجرت الدورية حواراً مع عالم الآثار العراقي الدكتور بنهام أبوالصوف.

وفي الرباط أصدر الدكتور محمد عابد الجابري العدد الأول من سلسلة ثقافية جديدة تحمل اسم «مواقف»، ويضم العدد شهادات عن مرحلة من تاريخ المغرب تعود إلى انتفاضة عام ١٩٥٩م، ومؤلفات من الذاكرة السياسية كتبها المؤلف شملت عدة موضوعات منها: تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، واعتقال البصري واليوسفي، وإقالة حكومة عبدالله إبراهيم، واندلاع الأزمة بين الاتحاد والحكم، وغير ذلك من الموضوعات.

وتقع الدورية في ١١٢ صفحة من حجم كتاب الجيب.

وفي القاهرة صدر العدد الجديد من مجلة «سطور» المصرية، وتضمن العدد ملفاً عن مثقفي هذا الزمان شارك فيه عدد من الأدباء منهم: عزت القمحاوي، ورضا البهات، والمفكر الإيراني الراحل علي شريعتي بمقالة سابقة منشورة له.

وقدم الناقد السينمائي أحمد رأفت بهجت تحقيقاً عن مخرجي السينما العرب الذين يقعون تحت وطأة الإنتاج المشترك مما يضطرهم إلى مغازلة إسرائيل طمعاً في الدعم المالي من أوربا.

دراكولا في مزاد علني

تُطرح للبيع في مزاد علني في نيويورك في ١٧ أبريل/نيسان الجاري النسخة الأصلية الوحيدة المكتوبة على الآلة الكاتبة لرواية الكاتب البريطاني برام ستوكر «دراكولا» التي نشرت أول مرة عام ١٨٩٧م.



غلاف الرواية

وأعلنت دار «كريستين» صاحبة المزاد أن الوثيقة التي ستظهر للعلن أول مرة والتي لم يعلم بوجودها إلا في عام ١٩٨٤م قد قدر الخبراء قيمتها بمبلغ يراوح بين مليون ومليون ونصف مليون دولار.

وتتألف المخطوطة من ٤٣٠ صفحة مكتوبة بالآلة الكاتبة عليها عدد من الملاحظات بخط يد المؤلف، وكان اسمها الأصلي «ليس ميتاً»، عُدل فيما بعد إلى «دراكولا»، وتتضمن الرواية مشهداً يروي قصة تخريب قصر مصاص الدماء، ولكن المؤلف شطب عليه تمهيداً لإنجاز الجزء الثاني من الرواية.

وبرام ستوكر روائي بريطاني، ولد في إيرلندا عام ١٨٤٧م، وتوفي عام ١٩١٢م، وله عدد من المؤلفات أشهرها «دراكولا» التي أخرجها للسينما هنري أرفن.

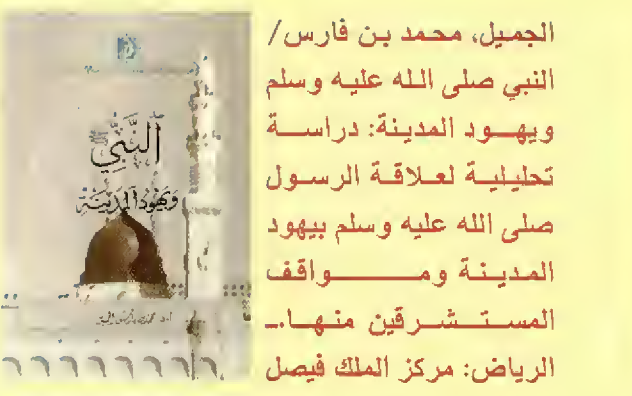


لانكستر، فردرك ولفرد، ويث ساندور/ التقنيات والإدارة في خدمات المكتبات والمعلومات، ترجمة:حشمت قاسم.- الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٤٥٦ ص.

يرصد هذا الكتاب مظاهر التحول الجذري التي تمر بها خدمات المكتبات والمعلومات في جميع مقوماتها ومكوناتها نتيجة لتطورات التقنية المتلاحقة، كما يتناول في الوقت نفسه تقنيات الإدارة في هذه المؤسسات، ويتعرض لنوعيات البيانات الإحصائية التي تكفلها النظم الآلية، والتي يمكن أن تستثمر في التقويم والمفاضلة بين الأبدال واتخاذ القرارت.

جاء الكتاب في ثلاثة أقسام: بدأ القسم الأول ببعض القضايا الإدارية العريضة التي تؤثر فعلاً في استخدام التقنيات في جميع المكتبات ومرافق المعلومات، وركز القسم الثاني من الكتاب فيما للتقنيات من تأثيرات متفاوتة في المستفيدين من خدمات المكتبات والمعلومات، وألقى القسم الثالث نظرة على بعض القضايا المتخصصة في إدارة التقنيات، كما حاول تلخيص المحتوى الأساسي وما انتهى إليه الكتاب من نتائج عامة، وختم بمناقشة الاتجاهات المحتملة في المستقبل.

ولاتساع موضوع الكتاب وتشعبه فقد تحرى المؤلفان الإيجاز، ومهدا الطريق لمن يريد المزيد في هذا الموضوع بقائمة المراجع الانتقائية الشاملة التي تضم خمسمئة وثلاثة وثلاثين مدخلاً، موزعة على مقالات الدوريات، والكتب، وفصول الكتب التجميعية، وبحوث المؤتمرات، وتقارير البحوث، والوثائق الإلكترونية، والأطروحات، والاتصالات الشخصية.



الجميل، محمد بن فارس/ النبي صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة: دراسة تحليلية لعلاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بيهود المدينة ومواقف المستشرقين منها.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ٣٢٩ص.

ترمي هذه الدراسة إلى تعرف تاريخ العلاقة التي كانت سائدة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة ونوعيتها منذ هجرته إليها حتى لحق بالرفيق الأعلى في السنة الحادية عشرة للهجرة، ومن ثم التعرف إلى وجهات نظر بعض المستشرقين الذين درسوا تلك العلاقة من وجوهها المختلفة، ثم أدلوا بآرائهم فيها، وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها ربما تكون أول دراسة ناقشت مواقف بعض المستشرقين من علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بيهود المدينة.

اختار المؤلف عينة من أعمال بعض المستشرقين من ذوي الاهتمام بالنبي صلى الله عليه وسلم وسيرته خاصة في المرحلة المدنية، واستطاع من خلال دراسة تلك الأعمال معرفة مواقف أولئك المستشرقين من سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه يهود المدينة وتفسيرهم لتلك السياسة، كذلك معرفة هل كان للتصور الغربي الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم أثر في نظرة بعض المستشرقين إلى طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين النبي واليهود، والتعرف كذلك إلى معرفة المسوغات التي كثيراً ما كان يسوقها المستشرقون لإظهار ادعائهم لعدالة قضية يهود المدينة.

وخلص المؤلف في نهاية البحث إلى إخفاق الكثير من المستشرقين في تطبيق المنهج العلمي والمعالجة الموضوعية لبعض القضايا البالغة الأهمية في السيرة

النبوية، وعلى رأس تلك القضايا علاقة النبي بيهود المدينة، وأكّد انحياز بعض المستشرقين الكامل إلى الطرف الآخر - أي اليهود - دون وجه حق، واعترف المؤلف: «أن سلامة الدراسات الاستشراقية من الأخطاء الفكرية والميول الذاتية المتوارثة منذ قرون ليس من السهل تجاوزها أو السيطرة عليها كلياً». على الرغم من إسهامهم في تنمية الثقافة الإنسانية، «بل إن من المستشرقين النزهاء من تركوا أثراً عميقاً في الرأي العام الإسلامي والأوربي على السواء».

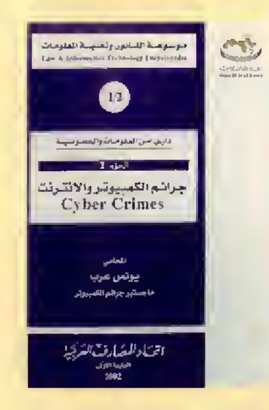
ودعا الباحث في ختام بحثه إلى إعادة النظر في كل ما يكتبه المستشرقون في السيرة النبوية؛ ابتغاء تقويم المعوج، والإشادة بالمستقيم منها.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر/ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد.- لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، مج١، ٧٧٢ص.

يعد هذا الكتاب - بإجماع آراء الباحثين - أهم كتاب في تاريخ مصر وجغرافيتها وطبغرافية عاصمتها في العصر الإسلامي، فهو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا، ويقدم لنا - اعتماداً على المصادر الأصلية - عرضاً شاملاً لتاريخ مصر الإسلامية ولتأسيس عواصمها منذ الفتح الإسلامي حتى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

اعتمد المحقق على أقدم نسخ الكتاب وأهمها المنقولة عن خط المؤلف، وأضاف إليه شروحاً وتعليقات غنية اعتماداً على ما ظهر من نصوص جديدة ودراسات متخصصة حديثة، وركز جهده الأكبر «الأجزاء الثاني والثالث والرابع» للحديث عن العمران المدني لمسقط رأسة القاهرة، فلم يترك أثراً إلا ووصفه بدقة متناهية، وحكى بإسهاب تاريخ بنائه وماطرأ عليه من تغييرات، كما روى سير حياة الأمراء والكبراء الذين باشروا بناءه أو أقاموا فيه، حتى قال المستشرق الفرنسي إيتيان كاترمير: «لاتوجد مدينة شرقية يمكن أن تفخر بمؤلف يبلغ مرتبة (الخطط) من حيث الاكتمال والطرافة كما هو الحال مع القاهرة».

ويدل على اهتمام المؤرخين بهذا الكتاب احتفاظ مكتبات العالم بعدد كبير من مخطوطاته تعدت المئة والسبعين مخطوطة بينها خمس وثلاثون مخطوطة في مكتبات إستانبول وحدها، كما اهتم به الدارسون أيضاً إذ كان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي أخرجتها مطبعة بولاق التي أصدرت طبعة كاملة له في سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م، وهي نسخة شابها كثير من الأخطاء على الرغم من الجهد الذي بذله مصححها الشيخ محمد عبدالرحمن قُطّة العدوي (ت: ١٢٨١هـ/١٨٦٤م).



عرب، يونس/جرائم الكمبيوتر والإنترنت.- الكويت: اتحاد المصارف العربية، ٢٠٠٢م، ٧٤٨ص.

أثرت تقنية المعلومات بجناحيها: الحوسبة والاتصالات المندمجين معاً في إطار المفهوم الشامل لنظام الكمبيوتر في مختلف فروع القانون: المدني، والتجاري، والجنائي، والإجرائي، والمالي، والإداري، وتشريعات حماية المستهلك، وقوانين الخدمات والمرافق وغيرها.

يقصد هذا الكتاب إلى تقديم الإطار العام والشامل لحزمة قواعد قانون الكمبيوتر في فروعه المختلفة، وأيضاً فض الخلط الحاصل بين فروع هذا الفرع القانوني في مسائل أمن المعلومات وقوانين الملكية

الفكرية والقواعد الخاصة بالتجارة الإلكترونية وجرائم الكمبيوتر وسلوكيات الإنترنت والبنوك الإلكترونية وغيرها. وتشكل هذه الموسوعة إطلالة على نشاط تشريعي وقضائي مقارن في مختلف دول العالم، ليكون عونًا للدول العربية على رسم استراتيجيات التشريع الفاعلة في بيئتنا العربية.

يبحث الكتاب كذلك في إستراتيجيات حماية المعلومات وأمنها المخزنة في الحواسيب ووسائط الحفظ أو المنقولة عبر الإنترنت، ومعالجة أنماط الأجرام المستخدمة في عصر الكمبيوتر والإنترنت، والاتجاهات الدولية والإقليمية للمكافحة.

و يستعرض الكتاب أيضًا الجهود التشريعية في مختلف الدول، ويقف أمام اتجاهاتها القضائية، في حصر المنظمات والهيئات العاملة في هذه الحقول، ويشتمل على وثيقة للاتفاقيات والمعاهدات الدولية والإقليمية، والقوانين الوطنية ذات العلاقة باللغتين العربية والإنجليزية.

واقع الطفل العربي: التقرير الإحصائي السنوي ٢٠٠١/المجلس العربي للطفولة والتنمية.ـ القاهرة: المجلس العربي للطفولة والتنمية،٢٠٠١م،٢٤٠ص.

كان أحد الأهداف الرئيسة لتأسيس مركز معلومات الطفولة الذي أصدر هذا التقرير هو توفير البيانات والمعلومات وتبادلها مع الهيئات ذوات الصلة على الصعيدين العربي والدولي، لسد الفراغ المعلوماتي عن أوضاع الطفل العربي في مختلف المجالات.

هذا الكتاب هو التقرير الإحصائي السنوي لواقع الطفل العربي لعام ٢٠٠١م «العدد السابع». ويستعرض التقرير الواقع الإحصائي للطفل العربي من النواحي السكانية والصحية والتعليمية والثقافية والإعلامية والاجتماعية والتغذية، وقد اعتمد في إعداد التقرير على قواعد البيانات المتوافرة بالمجلس، وعدد من مصادر البيانات الموثقة على المستوى الإقليمي والدولي.

يضم التقرير ثمانية فصول رئيسة: يدور الفصل الأول منها حول منهجية دراسة الوطن العربي، متضمنًا عرضًا للمقومات البشرية والطبيعية والاقتصادية للعالم العربي، وأهداف هذا التقرير، وأنواع ومصادر بياناته الأساسية والثانوية، والصعوبات التي واجهت عملية جمع البيانات، كما تتضمن بقية الفصول المجالات التي يشملها التقرير وهي: السكان، والاقتصاد، والتعليم، والصحة، والثقافة، والإعلام، والشؤون الاجتماعية، لما لهذه المجالات من ارتباط وعلاقات تؤثر في شرح الظواهر المتعلقة بالطفولة ومسبباتها وتشخيصها، حتى يمكن تحليلها في حزم متكاملة من الحلول والاقتراحات بغرض تنمية الطفولة في الوطن العربي.

المعلومات الواردة في هذا التقرير تهم الباحثين، ومتخذي القرار، وواضعي السياسات التي تهم الطفل في العالم العربي.



رستون، جيمس (الابن) / مقاتلون في سبيل الله: صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ترجمة: رضوان السيد.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٥٢٧ص.

يعيد المؤلف في هذا الكتاب رسم تصادم الحروب المسيحية المقدسة والجهاد الإسلامي في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، إنه سيرة ثنائية لشخصية صلاح الدين الأيوبي البطل النموذج لدى العالم الإسلامي،

وشخصية ريتشارد قلب الأسد الأسطورية، كما يعيد رواية حياة كل من الرجلين ويكشف عن روح تلك الأزمنة، والتي نصبتهما وجهاً لوجه في الحرب الصليبية الثالثة، كما يكشف الكتاب الغايات التي قاتل من أجلها القائدان والتي لم تكن متماثلة في نبلها دائماً.

يظهر ريتشارد قلب الأسد، الذي يجسد عامة النموذج الرومانسي للفروسية بكامل شخصيته المعقدة والحافلة بالتناقضات، والتي يكشف المؤلف عن جانبها المظلم بوصفه قائد الحروب الصليبية الدموية، والمبتلى في الوقت نفسه بالجنسية المثلية. أما صلاح الدين فإن المؤلف يكشف في هذه السيرة عن حياة رجل حكيم وقائد واسع الثقافة حقق الحلم العربي بتوحيد الشام ومصر، وأدى فتحه للقدس إلى اندلاع الحروب الصليبية الثالثة، كما إنه ألهب الحركة الجهادية الأولى وصير منه بطلاً أسطورياً.

وقام الكاتب بنسج صورة مكتملة المعالم للمواجهة الهائلة التي أوصلت الجيشين إلى الضواحي الخارجية للقدس وأسوارها، وهناك أدت تكتيكات صلاح الدين الماهرة التي قابلها إخفاق من جانب ريتشارد في الحفاظ على أعصابه، إلى تغيرات في مصير المعركة والحرب.

حلّ النزاعات العربية بالطرق السلمية/ مجموعة باحثين.ـ عمّان: منتدى الفكر العربي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢١٨ص (سلسلة الحوارات العربية؛ ٤/٢٠٠١).

تعد إشكالية النزاعات بين الدول من أهم القضايا التي لابد من دراستها والعمل على حلها في سبيل دعم العلاقات الطبيعية بين أطراف النزاع، وليس من الغريب أو العيب أن تدب النزاعات بين دولة وأخرى ترتبطان بعلاقات تاريخية ثقافية وأصول حضارية واحدة، لكن الغريب أن تلجأ الأطراف المتنازعة إلى حل خلافاتها عن طريق استعمال القوة العسكرية أو حتى التهديد بها، كما أنه من العيب أن تستمر النزاعات بين الدول الشقيقة، وتنتقل من جيل إلى آخر، دون التوصل إلى حلول مقبولة متجانسة تسمح بتطوير العلاقات التنموية والأمنية بين الأقطار المتاخمة والمتجانسة. ينطبق هذا على النزاعات العربية التي تعطل مسيرة التعاون العربي من أجل البناء والإعمار المشترك القادر على تحقيق طموحات الشعوب العربية في مواجهة ما يحيط بها من مخاطر خارجية ومتطلبات أمنية عاجلة لا تحتمل المزيد من التأجيل والإهمال.

يحتوي هذا الكتاب على بحوث ومداولات وتجارب حول إمكانية حل النزاعات العربية بالطرائق السلمية، وذلك من خلال وقائع الندوة التي عقدت في صنعاء في نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٩٩م، وشارك في مداولاتها عدد من المسؤولين العرب والباحثين وغيرهم من أهل المعرفة والخبرة في مجال حل النزاعات بالطرائق السلمية.

وقد ساهمت الندوة في توضيح مصادر النزاعات العربية وتحديد طبيعتها، كما ساهمت في تقديم الحلول الملائمة والتجارب الناجحة في حل النزاعات الحدودية، كما ألقت الضوء على بعض الحالات التي تم التوصل فيها إلى حلول سلمية مقبولة لأطراف النزاع في الدول العربية.



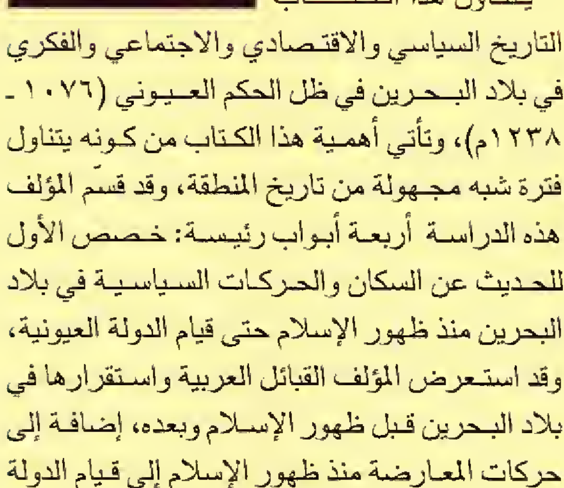
فندلي، بول/ لا سكوت بعد اليوم: مواجهة الصور المزيّفة عن الإسلام في أمريكا.ـ بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،٢٠٠١م،٣٩٦ص.

كانت الرحلة التي قام بها عضو الكونغرس بول فندلي إلى اليمن الجنوبية عام ١٩٧٤م، وسعى فيها إلى

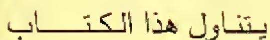
إطلاق سراح مواطن أمريكي سجين هناك، بداية رحلة غير متوقعة في عالم الإسلام. استغرقت الرحلة خمسة وعشرين عامًا، تعرّف فندلي خلالها إلى ديانة توحيدية عالمية متعددة الأعراق والثقافات، تربطها عرا وثيقة بالديانات التوحيدية الأخرى. كما تعرف إلى أقلية كبيرة نامية في الولايات المتحدة، يجاوز تعدادها سبعة ملايين نسمة، تعيش في مواجهة يومية مع التحديات الناشئة عن التمييز والانحياز.

وضع فندلي الإصبع على الجرح، عندما نسب إلى الأفكار النمطية المزيّفة مسؤولية المفاهيم الخاطئة، والصور المشوّهة عن الإسلام والمسلمين، التي تسود مجتمعًا أغلبيته الساحقة من غير المسلمين. وقد أوقف القسم الأكبر من عمله هذا، ليعرض لتلك الأفكار النمطية، بوصفها وليدة الجهل والتضليل المنهجي الذي يصور الإسلام، زورًا، قوة رجعية خطرة؛ ويقدم المسلمين، على غير حقيقتهم، جماعة غريبة متخلفة تشكل خطرًا على قيم المجتمع الأمريكي، ناسبًا إليهم كل ما من شأنه استعداء الرأي العام ضدهم.

فهذا الكتاب هو إحدى ثمار عهد قطعه فندلي على نفسه بالعمل على كسر حاجز الجهل، بتصحيح المفاهيم والصور الخاطئة، وتفنيد الأضاليل التي تسكن أذهان العامة من الأمريكيين. فهو يرى أن تبديد الأفكار النمطية المزيّفة عن الإسلام مهمة ملحة، لكونها مسؤولة عن تشويه صورة المسلمين الأمريكيين وتغييب مساهماتهم وطاقاتهم الكبيرة في مجال الخدمة العامة، ولأنها تحول دون تعزيز التسامح والتفاهم والتعاون بين معتنقي الديانات المختلفة. وهو، في هذا السياق، يحث المسلمين على المزيد من التصدي المنظم لهذه الأفكار النمطية، وعلى توسيع نطاق انخراطهم في العمل السياسي، لتخطي الحواجز، واحتلال المكانة التي يستحقونها في المجتمع الأمريكي.



المديرس، عبدالرحمن بن مديرس/الدولة العيونية في البحرين (٤٦٩ - ٦٣٦هـ/ ١٠٧٦ - ١٢٣٨م).ـــ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ، ٢٦٨ص (سلسلة الرسائل الجامعية؛ ٩).



يتناول هذا الكتاب التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري في بلاد البحرين في ظل الحكم العيوني (١٠٧٦ - ١٢٣٨م)، وتأتي أهمية هذا الكتاب من كونه يتناول فترة شبه مجهولة من تاريخ المنطقة، وقد قسّم المؤلف هذه الدراسة أربعة أبواب رئيسة: خصص الأول للحديث عن السكان والحركات السياسية في بلاد البحرين منذ ظهور الإسلام حتى قيام الدولة العيونية، وقد استعرض المؤلف القبائل العربية واستقرارها في بلاد البحرين قبل ظهور الإسلام وبعده، إضافة إلى حركات المعارضة منذ ظهور الإسلام إلى قيام الدولة العيونية.

أما الباب الثاني فيتضمن الحديث عن ثورتي أوال والقطيف ضد سلطة القرامطة، وقيام إمارتي بني الزجاج في أوال، وبني العياش في القطيف، كما تناول ثورة عبدالله بن علي العيوني على القرامطة وبسط نفوذه على البحرين وإقامة دولته.

بينما يتحدث الباب الثالث عن مراحل تطور الدولة العيونية التي مرت بأربع مراحل: الأولى تمثلت في دور التأسيس والقوة التي يمثلها المؤسس عبدالله بن علي العيوني، والثانية الانقسام والصراع بين أفراد البيت العيوني إذ أصبحت سلطتان في كل من الأحساء والقطيف، والمرحلة الثالثة: مرحلة الانتعاش التي تولى فيها السلطة محمد بن أحمد العيوني، والرابعة مرحلة الانحلال والسقوط.

أما الباب الرابع: فيناقش الأحوال الحضارية في

الدولة العيونية، وقد تناول المؤلف نظام الحكم والاضطراب في أسماء حكام الدولة، وتسلسلهم، والألقاب، والكنى، والإدارة، والمناصب الإدارية.

وتناول المؤلف أيضًا الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي تمثلت في النشاط التجاري والزراعي ونمط الحياة الاجتماعية، وأخيرًا الحياة الفكرية التي تمثلت في الاتجاهات المذهبية وظهور الأدباء.

الأنصاري، محمد جابر/ مساءلة الهزيمة: جديد العقل العربي بين صدمة ١٩٦٧ ومنعطف الألفية.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١م، ١٥٨ص.

لاتقتصر هذه الدراسة الجديدة للدكتور الأنصاري على مساءلة العقل العربي لهزيمة ١٩٦٧م بآثارها العميقة في الوجدان والكيان العربيين، لكنها تقف أيضًا بصراحة متوازنة بين المعسكرين العربيين في محنة الكويت والعراق، راصدة نقد النفط إذ انقلب هجاءً للخليج، ثم تعرض لثقافة المراجعة في زمن التراجع بما تضمنته من اهتمام غير مسبوق بتشخيص بنية التخلّف العربي، وشيوع نقد العقل العربي الذي استحوذ عليه محمد عابد الجابري، لتعيد القيمة لرواده الأوائل وصولاً إلى أحمد أمين في «فجر الإسلام».

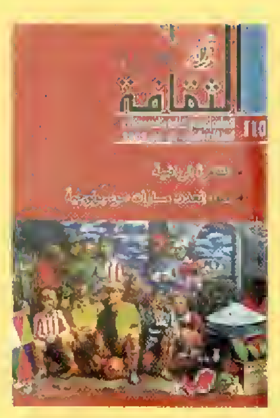
ومن الفكر إلى الواقع: لتشخيص الانفجار السكاني والأصولي، ومستقبل «الظاهرة الإسلامية»، منتهية إلى المسكوت عنه في مشكلة العرب الأولى ألا وهي.. التخلف الذي يمثل الأساس لنكبة فلسطين واستقواء كل طامع.

يتضمن الكتاب تمهيدًا وخمسة أقسام رئيسة: فقد وصف المؤلف الفكر العربي في تمهيده للدراسة بأنه «فكر تحت الحصار»، وجاء القسم الأول تحت عنوان «الهزيمة وجهاً لوجه»، والقسم الثاني «النفط وانعكاسات حربه الأهلية»، والقسم الثالث «الخطر الأصولي..محاولة فهم»، والقسم الرابع بعنوان «ثقافة المراجعة زمن التراجع»، والقسم الأخير بعنوان «في وعي التخلف».

جُمْران، محمد أديب عبدالواحد/ مُعْجَمَا الجموع التي لا مُفرد لها والأسماء التي لا أفعال لها.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ١٩٨ص.

يحتوي هذا الكتاب على معجمين، جاء الأول عن الجموع التي لا مفرد لها، أو لم يذكر العلماء لها واحدًا جمعت عليه، أو أنها أنكرت مفرداتها من قبل بعض العلماء، أو أن مفردها جاء على غير لفظ الجمع، أو أنها جموع جاءت اسمًا للنوع، أو للجنس ولا واحد لها، أو أنها عُرف واحدها ولم ينطق به، وهو مقدرٌ معروف، أو أنها أسماء جموع لا واحد لها من لفظها، أو أنها جموع لا تكاد العرب تعرف واحدها، أو غير ذلك من الأحكام التي أطلقها العلماء على تلك الجموع.

وجاء المعجم الثاني عن «الأسماء التي لا أفعال لها»، وفيه جمع المؤلف عددًا لا بأس به من الأسماء التي لم تشتق منها أفعال، أو لم تسمع أفعالها، أو أن أفعالها أُميتت، أو أن هذه الأسماء جاءت على باب «أحنك الشاتين» و«أحنك البعيرين»، أو هي من باب «الكاهل والغارب»، أو أنها محمولة على النسب، أو أن العرب لم تبن منها أفعالاً لكونها لا مادة لها، ولا أصل ولا اشتقاق.



الثقافة العالمية (ع١١٠، س٢١، يناير ـ فبراير ٢٠٠٢)

مجلة ثقافية تترجم الجديد في الثقافة العالمية، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

تنوعت موضوعات هذا العدد من المجلة بين الدراسات السوسيولوجية والعلمية، فجاء البحث الأول بقلم ريموند توماس وترجمة رشيد غفران عن الظاهرة الرياضية والمكانة التي حصلت عليها في المجتمع المعاصر ، وكتب لورانس ب.كينج عن الاستثمار الأجنبي المباشر ومرحلة الانتقال من الاشتراكية إلى الراسمالية، وترجم المقال د.شهرت العالم، وناقش كوامي أنتوني آبياه «مفهوم الليبرالية والفردية والهوية»، وترجمه محمد يونس.

واحتوى العدد على ملف عن الطاقة ومصادرها الجديدة، بدأ بحوار مع جان ـ ماري شوفالييه الأستاذ في جامعة باريس دوفين وخبير الجغرافيا السياسية للطاقة، أجراه جان إسكوفيكس ونشر في مجلة العلم والحياة، وترجمه محمد الدنيا، وراجعه حازم صابوني.

واشتمل العدد على البحوث العلمية الآتية: «هل يتناقص الذهب الأسود؟» بقلم: فرانسوا لوغراند، و«الغاز الطبيعي يعيد الوضع إلى نصابه» بقلم: جان برنارد، وبحث «هل يحل الهيدروجين المشكلة؟» بقلم: رياض اللومي ونيكولاس فورغيت، وبحث بعنوان «مايَعِدُ به البحر» بقلم: فريدريك مونير.

وجاء ملف العدد بعنوان «مسارات سوسيولوجية» وتضمن أربع مقالات رئيسة، كانت أولاها بعنوان «العقلانية والانفعال في سوسيولوجيا ماكس فيبر» بقلم ج . م .باربااليت، وترجمة د. عاطف أحمد، والثانية بعنوان «هل يمكن إقامة علم اجتماع نيتشوي؟» بقلم: و. ج. رونسيمان، وترجمة د.شوقي جلال، والثالثة بعنوان «تحدي العصرنة للقيم التقليدية: من يخشى رونالد ماكدونالد؟» بقلم: وين إي بايكر ورونالد إنجل هارت، وترجمة: عدنان جرجس، ومراجعة: د. خالد النوري، والرابعة بعنوان «الرابطة الذكورية في تاريخ الصين وثقافتها» بقلم:سوزان مان، وترجمة: هشام الدجاني، ومراجعة د. زهرة أحمد حسين.

العنوان: ص.ب: ٢٣٩٩٦ـ الصفاة ـ الرمز البريدي: ١٣١٠٠ دولة الكويت.



عالم المخطوطات والنوادر (مج ٧، ع١، المحرم ـ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ/مارس ـ أغسطس ٢٠٠٢م)

ملحق محكّم نصف سنوي يصدر عن عالم الكتب بدعم وتعضيد من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض.

جاءت موضوعات هذا العدد من الملحق في إطار تخصصه «المخطوطات، والوثائق، والمسكوكات، والشواهد، والأختام، والكتب النادرة»، ففي باب المخطوطات (تحقيق) كتب حمد بن عبدالمحسن التويجري عن «قلائد العقيان في اختصار عقيدة ابن حمدان»، وأورد جليل إبراهيم العَطيّة «أخبارٌ وإنشاداتٌ وحِكَمٌ وفِقَرٌ ونوادرٌ مختارةٌ منتخبةٌ»، واختتم الباب عبدالكريم صالح الحبيب بمقالة عن «مقامة العشاق أو فصاحة المسبوق في ملاحة المعشوق». وفي باب المخطوطات (مراجعات) تناول توفيق العبقري «أبوالحسن الحصري وقصيدته العصماء في قراءة نافع»، وعرضت آسيا وعيل في باب المخطوطات (فهارس) لـ «مخطوطات السيوطي بالمكتبة الوطنية بالجزائر»، واستعرض صادق العبادي وجبريل دوكوري إسماعيل في باب المخطوطات (مراكز) لـ «المخطوطات في جمهورية طاجيكستان» و«المخطوطات في مالي (مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية)».

وفي باب المسكوكات (دراسات) كتب فيصل بن علي الطميحي عن «النقود ودورها في تصحيح أوهام المؤرخين»،

وقدّم ناصر بن علي الحارثي في باب الشواهد (نصوص - تحقيق) دراسة عن «شاهد قبر من مقبرة المعلاة بمكة المكرمة يؤرخ لمتوفاة من أسرة الصحابي الجليل عمرو بن العاص»، وفي باب الدوريات النوادر أرّخ محمد بن عبدالرزاق القشعمي لـ «جريدة أخبار الظهران».

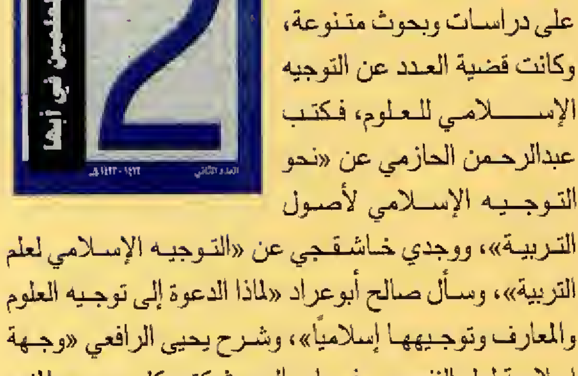
وجاء في ختام الدورية باب مناقشات وتعقيبات، وفيه قدّم عباس هاني الجراخ «قراءة نقدية في مقال (الآثاري وديوانه المنهل العذب)» أوهام وحقائق.

العنوان: ص.ب: ٢٩٧٩٩ الرياض

الرمز البريدي: ١١٤٦٧ - هاتف: ٤٧٧٧٢٦٩ - ناسوخ: ٤٧٦٣٤٣٨

المملكة العربية السعودية

حولية كلية المعلمين في أبها (العددالثاني، الفصل الثاني، ١٤٢٢/ ١٤٢٣هـ).



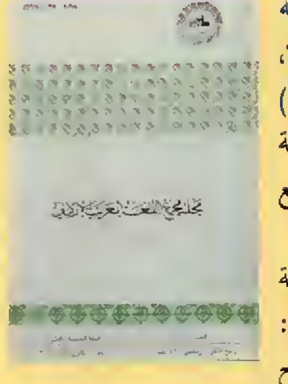
احتوى هذا العدد من المجلة على دراسات وبحوث متنوعة، وكانت قضية العدد عن التوجيه الإسلامي للعلوم، فكتب عبدالرحمن الحازمي عن «نحو التوجيه الإسلامي لأصول التربية»، ووجدي خاشقجي عن «التوجيه الإسلامي لعلم التربية»، وسأل صالح أبوعراد «لماذا الدعوة إلى توجيه العلوم والمعارف وتوجيهها إسلامياً»، وشرح يحيى الرافعي «وجهة إسلامية لعلم النفس»، وفي باب البحوث كتب كل من: عبدالمنعم محمد سعدابي عن «التلوث البيئي خطر يهدد الشعوب»، وعبدالباري محمد الطاهر عن «الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة: من الاصطفاء إلى التربية»، وشرح قسيم الكفارنة «القول المفيد في حكم التجويد»، وتناول علي الشهراني «القيم الفنية والجمالية في الزخارف الشعبية»، وأوضح عبدالسلام مصطفى عبدالسلام «دور مناهج العلوم في مساعدة أطفالنا ليصبحوا مفكرين»، وغير ذلك من البحوث والدراسات.

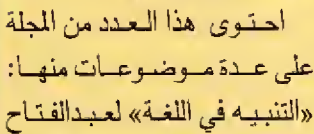
وفي باب المقالات والموضوعات كتب مصطفى رجب عن «أصالة التربية الإسلامية (السمعاني نموذجاً)»، وتناول خلف أحمد حسن «بعض مظاهر النمو الديني لدى المراهقين»، وسأل إبراهيم عسيري عن «كيفية الاستفادة من الإنترنت»، وعلاءالدين معصوم حسن «لماذا دبّ إلينا داء الأمم؟»، إضافة إلى ملخصات لبعض الرسائل الجامعية التي بلغت نحو عشر رسائل في مختلف العلوم.

وسيكون موضوع العدد القادم من هذه الحولية عن كليات المعلمين ودورها في إعداد المعلم.

العنوان: ص.ب: ٢٤٩ - أبها - هاتف: ١٧٦/ ٢٢٧٠٤١٩ - ناسوخ: ٢٢٧١١٠٣ - المملكة العربية السعودية.

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (ع ٦١، س ٢٥، تموز/كانون الأول ٢٠٠١)





مجلة متخصصة محكّمة تصدر مرتين في السنة عن مجمع اللغة العربية الأردني.

احتوى هذا العدد من المجلة على عدة موضوعات منها: «التنبيه في اللغة» لعبدالفتاح محمد، و«العلة النحوية في شرح الكافية للرضي الأستراباذي (ت٦٨٦هـ)» لمحمد وجيه تكريتي، و«طريقة القراءة عند المكفوفين بصرياً في قصائد من الشعر الأندلسي» لصلاح جرار، و«التذكير والتأنيث في العربية والاستعمالات المعاصرة» لمحمود إسماعيل عمار، وفي باب الكتب قدم محمد جواد النوري تنبيهات وتصويبات في الشواهد الشعرية لمعجم «التكملة والذيل والصلة» للحسن بن محمد الصغاني (الجزء الرابع) تحقيق عبدالعليم الطحاوي ومراجعة عبدالحميد حسن.

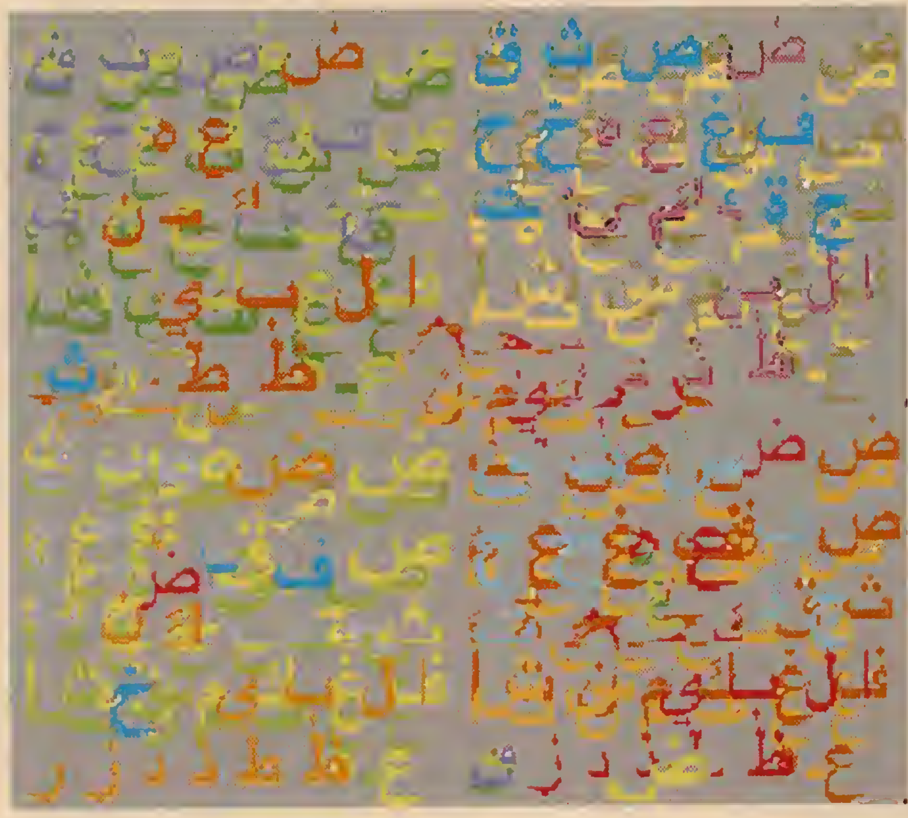
كما يحتوي العدد على تعليقات ومناقشات «حول ديوان النابغة الشيباني» لمحمد يحيى زين الدين، و«الأنباء في تجويد القرآن» لأبي الأصبغ السماتي لحاتم صالح الضامن، إضافة إلى باب أخبار مجمعية يرصد أنشطة المجامع العربية والندوات المتخصصة في اللغة العربية.

العنوان: ص.ب: ١٣٢٦٨- عمان - هاتف: ٥٣٤٣٥٠٠ - ناسوخ: ٥٣٥٧٠٦٤ المملكة الأردنية الهاشمية.

تراكمات الأساليب السردية

إبراهيم الناصر الحميدان
الرياض - السعودية

تختزن ذاكرة الشعوب فيضًا لا يستهان به من المرويات السردية على مدى العصور، وهي تختلف من قطر إلى آخر أو بالأحرى من ثقافة إلى أخرى تتعلق بمدى صلتها أو تلاحمها مع اهتمامات تلك المجتمعات، فبينما نجد أن التراث الشعبي لدى العرب يركز في الشجاعة والجسارة، كما أنه يحتفي بمواقف العشق وأساليب الغرام نجد أن الشعوب الأخرى تعنى بالخرافي، وربما بالعلمي الذي ينسجم مع المنطق غير أنها تتفق على الرغم من الاختلاف الثقافي في البحث عن المثير من تلك الأحداث التي سجلتها ذاكرة تلك الشعوب تتداولها في المرويات السردية فقد اتضح أن لكل شعب أبطاله المغاوير وإن تأكد أن بعض المرويات متقاربة، وتروى بطريقة متشابهة على الرغم من استبدال بعض الأسماء، أو اختراع مواقع مغايرة لتكون أكثر واقعية وتشويقًا باللهجات التي تجد الإقبال أو بالأحرى ذات الأكثرية التي تتداول النطق بها، على الرغم من الضرر الذي يلحق باللغة الأصلية التي تعدّ هي الرابط الأساسي في التفاهم، وتبادل الآراء، والمناهج الدراسية التي ترسخ تلك اللغة؛ لأن للمناهج علاقة تراثية بتلك الشعوب، ولعل العرب هم من بين الشعوب التي تضررت لتباين اللهجات المحلية التي هي في الأساس عبء ثقافي وضع على عاتق تلك الشعوب عبر تاريخها الممتد إلى مئات السنين وبديهي أن اللهجات إنما جاءت بوصفها لغة المخاطبة بين أصول تلك الشعوب حتى ليصعب على المدى القصير التوصل إلى إخفائها أو اضمحلالها لكونها ضاربة في الأعماق التراثية ومتداولة بين عدة أجيال، لذا ينظر إليها على أنها جزء من تاريخ قديم له موقعه الثقافي. ويحتاج التفكير باجتثاثها إلى نشر الوعي بين الشرائح الاجتماعية كافة إلى حين الاقتناع بالبديل عنها كما هو الحال بالنسبة إلى الشعوب العربية في شمال إفريقية عندما حاول الاستعمار زرع لغاتهم بين تلك الأقطار. وتسعى الآن الفئات المتعلمة والواعية إلى كنس تلك اللغة الدخيلة وتركيز اللغة العربية لتكون لغة المخاطبة والكتابة أيضًا، مع أن اللهجة المحلية مازالت قائمة هناك، وهذا يعني أن للسرديات المروية أثرها في تشكيل ثقافة الشعوب وربطها بتراثها الذي يسفر عن اهتماماتها وما تتعلق به من عقائد وطباع، واللغة العربية أصابها الضرر من اللهجات المحلية؛ لأنها ركام ليس بالقليل يحاول أن يخفي الوجه الناصع لتلك اللغة بافتعال صعوبات النحو والنطق إلى غير ذلك مما يزرعه الأعداء في وجه انتشار اللغة العربية على حساب تراجع اللهجات المحلية لأن الشعوب العربية ترتاح إلى لهجاتها لكونها تنطوي على الأمثال، وتعج بالأحداث المرتبطة بالتراث المحلي مع اختلافات في النطق أيضًا. ومع أن وسائل الإعلام إلى حد ما والإبداعات المحلية التي تعرضها - إذاعة وتلفازاً - تحاول تحاشي ترسيخ اللهجات المحلية، فإن الكثير منها مازال يحتفظ بالنزوع إلى المحلية المغرقة بالمفردات التي لا تفهمها الأقطار العربية الأخرى. ومع استنكارنا لهذه اللهجة المحلية عن طريق الفضائيات العربية التي تنفث هذا السم المحلي فإننا نعتقد أن تدخل جهة ما رسمية



مثل الجامعة العربية كفيل بإيقاف هذه اللهجة الفاسدة التي تنتسب إلى شعارات معادية للعربية بصورة عامة بغية استمرار هذه الشرذمة بعيداً عن خطوات الاتحاد أو الوحدة العربية التي هي أمل الشعوب العربية الثابت للوقوف في وجه الاتجاهات المطروحة مثل العولمة وسواها التي تحاول قطع الشريان ما بين الشعوب وتراثها. وصعوبة إلغاء اللهجات المحلية تعود إلى التاريخ البعيد لبعض الشعوب العربية التي تنتسب بشكل أو بآخر لأقوام بادت حضارتهم منذ مئات السنين، وهم الأقوام الذين استوطنوا بعض المناطق العربية بصفتهم قبائل رحل ينتقلون من مكان إلى آخر سعياً وراء الماء والكلأ فيما مضى - كما هو شأن الأمم والقبائل الأخرى الرحل منذ آلاف السنين - ومع علمنا بأن الأمة العربية مستهدفة لكونها تدين بالإسلام الذي كان من بين العوامل الرئيسة لتقارب الشعوب العربية وتفاهمها والذي وحّدها منذ نزول الوحي على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، فإن هذا العامل يبقي جذوة الأمة العربية والإسلامية مستقلة ومتمسكة بأواصر هذه الصلة داعية إلى تدعيمها وترسيخها لأن الدين - كما هو معروف - من أقوى وسائل الإخاء والامتزاج بين جميع شعوب العالم خاصة، وأن الإسلام يمتاز من غيره بأنه يؤكد هذه الأواصر بالشعائر الدينية التي هي همزة وصل متينة بين الشعوب العربية كافة من خلال الصلاة والحج وسواهما من الجذور التي ترتبط بهذا الدين الحنيف. ولذا لا خوف من وهن العلاقات بين الأفراد مهما فعل أعداء هذا الدين مادام الإيمان بالله قائماً، بل إن الصحوة الإسلامية تزداد انتشاراً في الأعوام الأخيرة مما يضيع أي فرصة على الأعداء لمحاولة اختراق هذا السياج المكين خصوصاً أن القرآن العظيم إنما نزل بلغة قريش العربية التي هي عماد اللغة وموحد الأمة الإسلامية من خلال الدستور الإلهي، وهو ما يجعلنا لا نفقد الثقة بأن اللهجات الشعبية سوف تضمحل في نهاية المطاف، ويحل بدلاً منها اللهجة العربية المخففة التي تتحاشى التقعر باللغة ذات النطق الصعب على بعض الشعوب العربية التي امتدت ثقافتها فتمازجت مع ثقافة الآخرين، ومع ذلك فإن مساعي التقارب لابد من طرحها خاصة في وجه هذه الهجمة التي تنطلق من القنوات الفضائية بحسن نية لترسخ اللهجات المحلية باسم الفلكلور وغيره من العقائد الشعبية التي لابد من دفعها نحو استعمال اللغة العربية الفصحى كتابة، والمخففة تخاطباً بوصفها أمل الشعوب العربية كافة في الوحدة مستقبلاً إن شاء الله.

دعوة للمشاركة في

جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج للبحوث التربوية

موضوعات الجائزة

- توظيف تقنية المعلومات والاتصالات لتطوير التعليم .
- تمويل التعليم .
- الجودة الشاملة في التعليم .
- المشاركة المجتمعية في التعليم .

قيمة الجائزة

تمنح جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج للبحوث التربوية للفائز وقدرها (١٠٠.٠٠٠) مائة ألف ريال سعودي ، وشهادة للفائز بها ، في احتفال يقام لهذه المناسبة .

على أن تصل طلبات الترشيح إلى المكتب في موعد لا يتجاوز ٢٩ رجب ١٤٢٣هـ الموافق ٦ أكتوبر ٢٠٠٢م .

للاستعلام يرجى الاتصال بمكتب التربية العربي لدول الخليج :
ص.ب (٩٤٦٩٣) - الرياض ١١٦١٤ - فاكس : ٤٨٠٢٨٣٩
المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني : E-mail: abegs@abegs.org موقعنا على الإنترنت : www.abegs.org

أو زيارة المواقع التربوية لوزارات التربية والتعليم والمعارف بدول الخليج العربية